

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

ASPEM S

W. Arthur Jeffery

Carroll Jeffrey

5167

جماعة الأزهر للنأيف والترجمة والنشر

المهذب في الأسلا

مُنذ أقدام العصور حتى اليوم

دراسة وافية لتاريخها العقدي والسياسي والأدبي

تأليف

سعد محمد حسن

من علماء الأزهر ومدرس بوزارة المعارف

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م

طابع

دار الكتاب العربي بمصر

محمد بيبي إنيادي

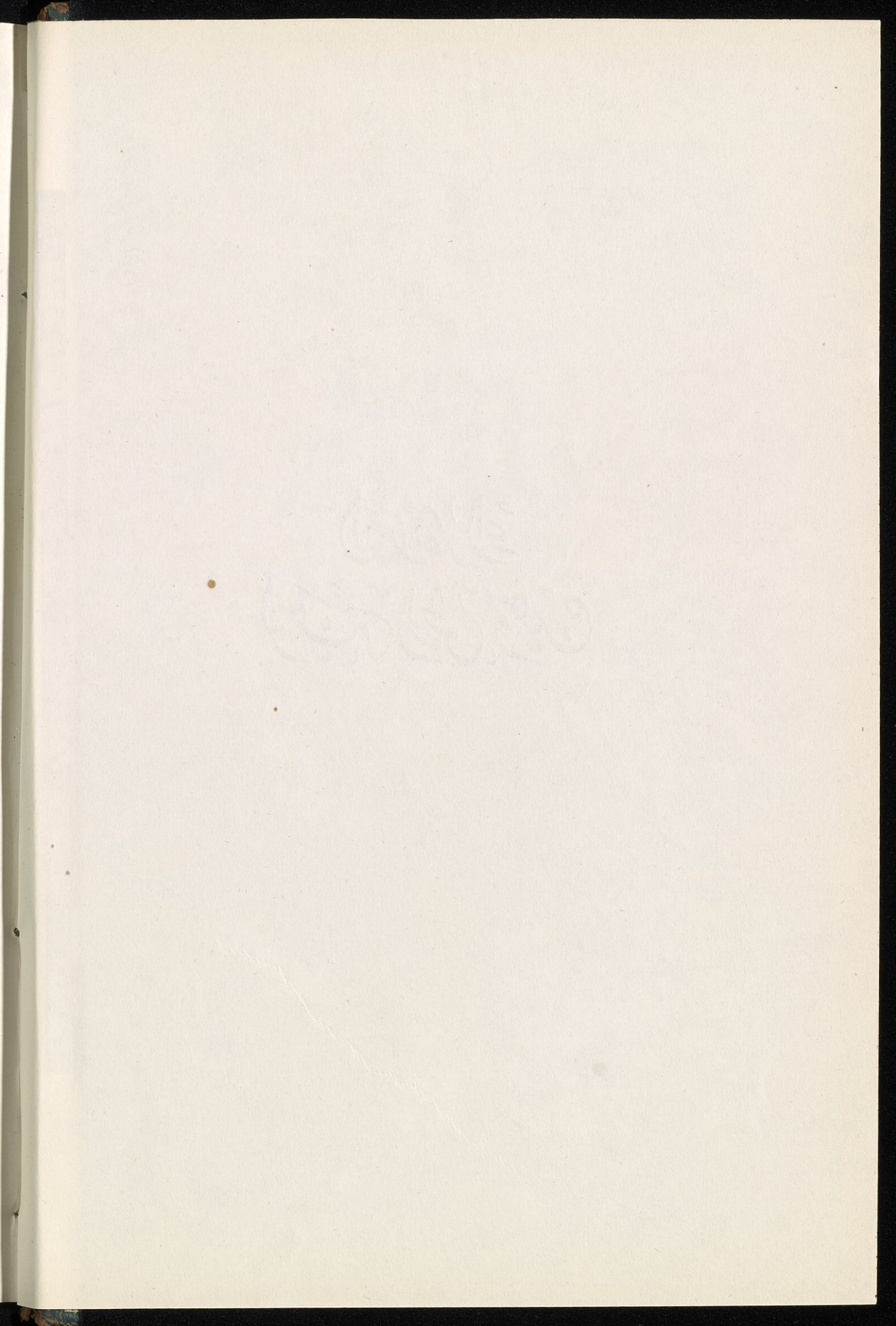
BP
166.93
.H37

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

MS. P. 18. 75. 189166

الهدايا
لوحية الحق وحيه



فهرست الكتاب

صفحة

ح	تقرير عن الكتاب للأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي
ك	تصدير بقلم الدكتور عبد الحلیم النجار الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة
ن	مقدمة المؤلف
١	الفصل الأول
١	الإمامة في الإسلام
٥	القرابة عند الشيعة
٩	الإمامة عند الفرق الإسلامية
٩	الإمامة عند أهل السنة
١٣	الإمامة عند الخوارج
١٣	الإمامة عند الشيعة
٣٥	الفصل الثاني
٣٥	الرجعة
٣٨	يهودية الرجعة وتسربها إلى الشيعة
٤٢	عقيدة المخلص في الشرق القديم وأثرها في معتقد المهدي
٤٥	الفصل الثالث
٤٥	المهدي في الإسلام
٤٥	لفظة المهدي
٤٨	الشيعة وعوامل الفكرة عندهم
٦٩	مستندات الشيعة
٧٥	غلاة الشيعة وأوهية الأئمة

صفحة	
٨١	المهدى عند الشيعة
٩١	الفصل الرابع
٩١	فرق الشيعة إزاء هذا المعتقد
٩١	السبأية
٩٥	الكيسانية
١٠٧	الزيدية
١١٢	النفس الزكية محمد بن عبد الله مهدي الجارودية
١٢٩	الإمامية
١٢٩	الإثنا عشرية
١٣٧	الإسماعيلية
١٤٩	الفصل الخامس
١٤٩	أدب المهدي عند الشيعة
١٥٠	كثير عزّة
١٥٣	السيد الحميري
١٦٠	بهاء الدين العاملي
١٧٠	الفصل السادس
١٧٠	المهدية عند بقية الفرق الإسلامية
١٧٠	المهدية والقرامطة
١٧٢	المهدية والخوارج
١٧٣	المهدية والصوفية
١٧٤	المهدية وأهل السنة
١٧٦	آثار عقيدة المهدي في المجتمع الإسلامي
١٧٦	القحطاني والكلبي والتميمي

صفحة	
١٧٧	السفياني المنقظر
١٨٢	المهديون من غير آل البيت
١٨٢	إجمال
١٨٥	ابن تومرت مهدي الموحدين
١٩٧	الفصل السابع
١٩٧	المهدية في العصر الحديث
١٩٩	محمد أحمد مهدي السودان
٢٣٧	البابية والبهائية
٢٣٧	التشيع في فارس
٢٤٠	الشيخية
٢٤٤	البابية
٢٥٧	البهائية
٢٦٤	المهدية في الهند
٢٦٤	الإسلام في الهند
٢٦٨	الباريلية
٢٧٠	الأحمدية أو القاديانية
٢٧٥	مراجع الكتاب
٢٨٩	فهارس الأعلام

تقرير عن الكتاب

للأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي (*)

موضوع « المهديّة » من الموضوعات الطريفة في التاريخ الإسلامي ، وهو يجمع بين طرافة التاريخ وطرافة القصة ، هذا فوق ما له من خطورة تاريخية نلاحظها في جميع عصور التاريخ الإسلامي وجميع أقطار الدول الإسلامية على وجه التقريب . ومع أن المصادر العربية التاريخية فيأضة بأخبار « المهديّة » ومن ادّعوا في مختلف العصور ، ومع أن غير واحد من المستشرقين قد كتب في موضوع المهديّة والمتمهدين كتابات تختلف إيجازاً وتفصيلاً ، فإنه لم يظهر بعد كتاب عربي واحد^(١) يجمع شتات هذه « النظرية » أو « الفكرة » أو « الأسطورة » ويؤلف منها قصة تاريخية محكمة البنية حسنة العرض سهلة الأسلوب .

من أجل ذلك لا يسع محب الثقافة الإسلامية إلا أن يستقبل مع الابتهاج كتاب « المهديّة في الإسلام » لمؤلفه الأستاذ سعد محمد حسن ؛ فقد جاء الكتاب في الوقت الذي أخذ الجمهور الإسلامي المثقف يتطلع فيه إلى ماضيه ليفهم حاضره ويدرك الاتجاهات التي يسير فيها العالم الإسلامي بوعي أو على غير وعي منه .

(*) كان من سوائف الأفضية أن تقدمت بكتابي هذا إلى « لجنة التأليف والترجمة والنشر » لطبعه ، فأحالته « اللجنة » على الأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي ، وكان وقت ذلك عميداً لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ؛ وذلك لكتابة تقرير عنه ، فظفرنا من الأستاذ الجليل — وهو حجة في التاريخ الإسلامي — بهذا التقرير ، وأصله مودع في سجلات « اللجنة » وتحت أيدينا صورة منه ، وكان بعد ذلك أن اعتذرت « اللجنة » عن الطبع !...

(١) أخرج الأستاذ الكبير أحمد أمين بعد كتابة هذا التقرير بسنوات كتيباً صغيراً للناس بعنوان « المهدي والمهدوية » ونشره في سلسلة « اقرأ » وقد قمنا بنقده في مجلة « الثقافة » العدين (٦٦٤ ، ٦٦٧) فارجع إليهما إن شئت .

وموضوع « المهديّة » مع طرافته التاريخية السالفة موضوع شائك ، يقتضى فيمن يعالجه تعمقاً في الفهم ولباقة في العرض ؛ لأنه يتصل بشعور أقوام يدينون بالمهدية في العراق وإيران والهند ، ولاشك أن الأستاذ سعد محمد حسن قد استوفى كثيراً من الشروط الأساسية اللازمة للإقدام على الكتابة في هذا الموضوع ؛ فهو ذو ثقافة فقهية إسلامية أصيلة تمكنه من أن يخوض عباب هذا البحث دون أن يتورط في الأخطاء التي قد يتورط فيها من ليست له هذه الثقافة متى تعرض لمثل موضوع « المهديّة في الإسلام » ، ثم إن الأستاذ قد أحاط بمادة الموضوع الواردة في المراجع العربية واطّلع على ما وسعه الاطلاع عليه من المراجع الأجنبية المتعلقة بالمهدية والمترجمة إلى اللغة العربية ، ثم إن الأستاذ قد عرض هذه المادة عرضاً حسناً وفي أسلوب واضح لا تكلف فيه .

بقيت مأخذ يسيرة على الكتاب أرى من واجبي التنبيه عليها :

أولاً : أن الموضوع كما قدمت دقيق وشائك ؛ لذلك أرى أن يستبعد المؤلف من كتابه الصفات النائية التي وصف بها بعض من ادعوا « المهديّة » من جهل أو شعوذة أو تخريف أو نحو ذلك ، حتى لا يؤلم شعور أقوام يعتقدون المهديّة .

ثانياً : أن المؤلف فرّق بين كلامه على المهديّة والشيعيّة وكلامه على المهديّة والقرامطة ، والواقع أن القرامطة شعبة من الشيعة الإسماعيلية والباطنية ، وأرى أنه يحسن أن يجمع الموضوعين في فصل واحد .

ثالثاً : يقول المؤلف (صفحة ٢٨^(١)) إن ابن السوداء هو الذي نقل هذه النظرية (نظرية الجزء الإلهي) من المسيحية المفلسفة وزعمها في عليّ وذريته ، وسبق أن ذكر (في صفحة ١٤^(٢)) أن ابن السوداء كان يهودياً ثم دخل في الإسلام ونقل إليه عقيدة « الرجعة » من اليهودية !

(١) هذا الرقم للمخطوط ويقابله في المطبوع ص ٧٩ .

(٢) يقابل هذا الرقم في المطبوع ص ٣٨ ، وليس هنالك تناقض ؛ إذ هما نظريتان نقلهما ابن السوداء ، إحداها وهي نظرية « الجزء الإلهي » نقلها عن المسيحية المفلسفة ، والأخرى وهي « الرجعة » نقلها عن اليهودية .

رابعاً : فى صفحة (٣٧^(١)) : وعندئذ أخذ ابن الزبير يفتك بآل على ، والثابت أن ابن الزبير لم يفتك بآل على وإنما اضطهدهم وشتان بين الأمرين .

خامساً : فى صفحة (٣٩^(٢)) : تغلب المختار بمكره وسياسته المكيافيلية على بساطة ابن الحنفية ، والأولى أن يقال : تغلب بمكره ودهائه على بساطة ابن الحنفية . وسواء أخذ المؤلف بهذه الملاحظات أم لم يأخذ فإنى أرى أن كتاب « المهدي فى الإسلام » كتاب قيم وأنصح أن تنشره اللجنة^(٣) ضمن ما ينشر .

عبد الحميد العبادى

الإسكندرية فى ١٩٤٨/٤/٥

لقد صوره طوس الأصيل رتبته صفة صاحب الفرة عبد الحميد العبادى

مؤيد النفا

١٩٤٩/٤/٢٩



-
- (١) يقابلها فى المطبوع ص ٩٧ ، ومع أن كلمة « يفتك » قد تستعمل فى معانى الاضطهاد على الحجاز ، فقد أصلحنا العبارة كما أرادها الأستاذ الجليل .
- (٢) يقابلها فى المطبوع ص ١٠٢ ، وقد أصلحنا العبارة كما أرادها الأستاذ الكبير .
- (٣) يقصد الأستاذ العبادى باللجنة هنا « لجنة التأليف والترجمة والنشر » .

تصدير

بقلم الدكتور عبد الحلیم النجار

الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

إن الله يأتي بالشمس من المشرق ، وكما تفتحت عين الإنسان — بادی ذی بدء — على النور الحسی فی مشرق الأرض قبل مغربها ، كذلك شاءت حكمة الله أن تفتح القلوب والعقول على النور المعنوی بهذا الترتیب ، وكذلك كان المشرق مهبط الحكمة الإلهية ، والهداية السماوية ، والدين الذي ينفع الناس ويمكث في الأرض .

و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، فهو — سبحانه — يصطفى من الناس رسلاً يصنعهم على عينه ، ويؤدبهم فيحسن تأديبهم ، ويؤتيهم الحكمة وفصل الخطاب ، ليكونوا جديرين بحمل ما ينوط بهم من أمانة ، وتبليغ ما يبعثهم به من رسالة : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير » .

وهكذا شهد الشرق منذ نشأة الحياة وفجر التاريخ مُثلاً علياً للإنسانية ؛ ينتمى إليها جماع الحكمة وصواب الكلمة ، وتعلو بها راية الحق ، وتتم مكارم الأخلاق ، يبعثها الله نوراً للناس تنصلح به أمور دينهم ودنياهم ، وتشرق نفوسهم وعقولهم ، وتخطو الإنسانية على هديه خطواتها المسددة في مراحل الحضارة والعلم ، إلى أن يبلغ الكتاب أجله .

كانت هذه المثل العليا للإنسانية كالماء الزلال يتدفق من الفيض الإلهي فلا يصيب أرضاً خصبة صالحة إلا أحيها ، وطهرها وزكاها ، وبدلها من وحشة الجذب والإفقار ، نضرة الحضرة ونعشة الازدهار .

وكانت هذه المثل العليا — وهي في الأرض كالنجوم والكواكب في السماء — معقد آمال الناس ، ومناطق رجائهم للخلاص من شر النفوس الأمارة بالسوء ، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، ولإشاعة العدل والمساواة ، ونشر المحبة والسلام في العالمين . فلاجرم كانت تترك أبعاد الآثار في نفوس الناس ، وتحتل أسمى مكانة من قلوبهم وأفئدتهم ؛ وسرعان ما تصير قيد الأبصار ، ومنتهى ما تبلغه التصورات والأفكار ، فتصبح صورها الحسية أو المعنوية خالدة في النفوس يتوارثها جيل عن جيل ، حتى لسكان الفتنة بجبها ، والتعلق بها ، كانت تعمي الأبصار والبصائر دائماً عن مطلع النور الجديد ، ومبعث النبي العظيم :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ومن تمكن هذا الحب ، وتغلب ذلك الهوى ، حاول الناس في كل عصر مكابرة الواقع ، ومغالبة الحق ، ومدافعة اليقين ، فأبوا أن يقبلوا على مثلهم العليا ما يجري على سائر الناس من أطوار الحياة والممات بل أخذت فلسفتهم تفتن في التماس الخلود الحقيقي لها أولتعاليمها على وجوه شتى : فمن قائل بالرجعة ، ومن ذاهب إلى الاختفاء ، ومن آخذ أخيراً بالحيلة في أمره مكثف بتقرير أن وفاة الجسد لن تحول دون بعث شخص آخر ، موافق في الاسم والرسم ، يحيى الفكرة ، ويهدهى الأمة ، ويملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً .

بيد أن فكرة المهدي قد احتلت عند المسلمين محلاً مكيناً ؛ وحسبك أن علماء الحديث يرون أنها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، وإن ثبتت برواية الأحاد فحسب ، وتجردت منها أصح كتب الرواية .

وليس المجال هنا مجال القبول أو الإنكار ، وإن حصل التشكك في كثير من الأخبار والآثار ، ولكن الأمر لا يعدو الانطلاق في مسارح الفكر ،

والاستغلال بحرية العقل ، وتسليط الأضواء من كل جانب على هذا الموضوع لبعثه من جميع أقطاره ، ليؤمن من آمن عن بيئته ، وينكر من أنكر عن بيئته .

وقد اضطلع الأستاذ سعد محمد حسن بالبحث في جملة نواح من هذا الموضوع فوفّر على الناس كثيراً من عناء الدرس والتنقيب ، والاستدلال والاستنتاج . وليس ذلك على الأستاذ بجديد ؛ فقد عرفته عندما اشتد ساعده ، وامتد باعه ، ورسخت قدمه ، معنياً بتتبع الزوايا الغامضة من مسارب الفكر ، ومسالك النظر ، يطلق عليها أنواراً مركزة من التفسير والتحليل تهتك عنها الحجب ، وتكشف القناع ، فتسفر كالصبح لدى عينين .

فعل ذلك من قبل في بحثه القيم عن : « ذى النون المصرى » ، وهو ذا الآن يقدم إلى القراء دراسته الممتعة للمهدى والمهدية ، فله جزاء العاملين المخلصين ، وأجر العلماء المجتهدين ، وإن كنا نخالفه في بعض ما وصل إليه من نتائج ، بعد الإفادة من المراجع القيمة التي لم يأل جهداً في الاستناد إليها .

دكتور عبد الحلیم النجار

الأستاذ بكلية الآداب — جامعة القاهرة

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم منك العون وعليك التكلان وبك وحدك نعتمد ، ولا علم لنا إلا ما علمتنا
« وقل رب زدني علماً » وبعد .

فهذه دراسة شاملة للتاريخ العقدي والسياسي والأدبي لمعتقد « المهديّة »
في الإسلام أقدمها للقراء بعد أن شغلت نفسي بها سنوات متمطيات بأصلاها
من أزهري أيام العمر وأنصرها ، عاملاً — ما وسعني الجهد والقوة — على أن تكون
دراسة علمية دقيقة ، نشداناً منّا للحق وحده وخدمة للمكتبة العربية .

ولا يسعني في نهاية المطاف — وعند الصباح بحمد القوم السرى — إلا أن أقدم
أعمق الشكر وأصدقاه للأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي على حسن رأيه في كتابنا ،
وللأستاذ الدكتور عبد الحلیم النجار لتفضله بكتابة « التصدير » ، ولا يفوتني أن أوجه
أجزل الشكر لجماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر ، وعلى رأسها الدكتور البهائية
محمد يوسف مومى فعن طريقتهم عرف الكتاب سبيله إلى النور ، كما لا يفوتني أيضاً
أن أقدم الشكر الخالص من الأعماق لرجال « مطابع دار الكتاب العربي » وعلى
رأسهم مديرها وصاحبها الشاب المؤمن الحاج محمد حلمي المنياوي ، والله نسأل أن
يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه .

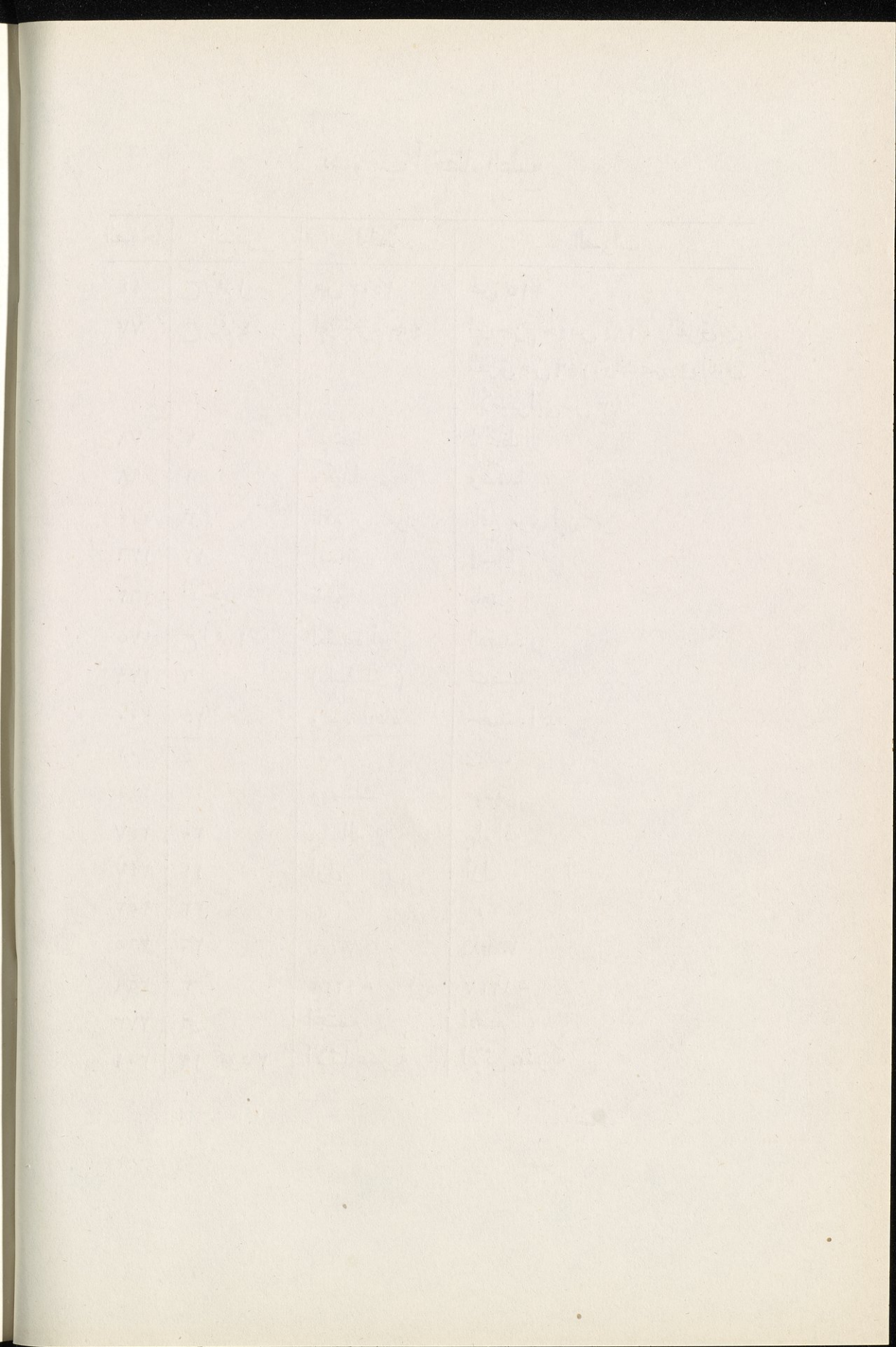
سعد محمد حسين

من علماء الأزهر ومدرس بوزارة المعارف

الحرم ١٣٧٣
القاهرة في }
سبتمبر ١٩٥٣ }

تصويب أخطاء الطبع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤	ح رقم ١	ص ١٥٠٢	ص ٢١٥
٧٧	ح رقم ٤	ابن حزم ح ٤	ابن حزم ح ٤ ص ١٨٤ ، والفرق بين الفرق ص ١٤٦ ، والتبصير في الدين للأسفرايبي ص ٧٣
٧٨	٢	لم تحظ	لم نحظ
٩٨	١	وكهكذا	وهكذا
١١٤	٣	نافع بن عمر	نافع مولى ابن عمر
١٣٦	١٢	إنساناً	إنسانا
١٦٢	الأخير	فاض	فاضل
١٧٥	ح رقم ١	لعقيدة أو	العقيدة و
١٧٩	٦	(السفياني)	تشطب
٢٠٠	١٥	ولد ، أسماء	حفيد ، اسمه
٢٠١	٤	آمنة	زينب
٢١١	١٣	مهديتك	مهديتي
٢٤٧	١٠	بهاء الدين	بهاء الله
٢٤٧	١١	أزل	أزل
٢٥٢	٢٢	«	،
٢٦٥	٢٦	Word	World
٢٦٩	٣	١٢٣٢ هـ	١٢٣٧ هـ
٢٧٣	٦	المجتمع	الجميع
٣٠١	١٩ عمود ٢	الإثنا عشرية	الإثني عشرية



الفصل الأول

الإمامة في الإسلام

لابد لنا قبل الدخول في موضوع البحث ، أن نلمّ الإمامة وجيزة بالإمامة الإسلامية ؛ لما لها من وشيخ الصلة ولحمة القرابة القريبة بموضوعنا ، ولما لها أيضاً من عظيم الأثر فيما نشب بين أهل السنة والشيعة من خلاف ، حتى لتكاد تصبغ معتقدات كل من الطائفتين بصبغة خاصة ولون خاص .

لما كان « القرآن » الكريم — وهو دائماً المصدر الوثيق الهام للشريعة الإسلامية — لا يحدثنا بشيء عن هذا الموضوع الخطير ، ولما كان الرسول صلوات الله عليه قد لحق بالرفيق الأعلى دون أن يدلى فيه برأى صريح ينقله إلينا مصدر موثوق به ، فقد تشعبت الآراء وتباينت الأهواء وتحركت العصبية القبلية — التي لم يفلح الإسلام قط في القضاء عليها وإنما فقط هذبها أو كبتها إلى حين — فظهرت كأشد ما تكون قوة وعنفاً تحت سقيفة بنى ساعدة ، ورسول الله مسجى في بردته لم يدفن بعد !

وقد تمخض مؤتمر السقيفة — بعد صراع في الرأي وجدال في القول ولجاج — عن إمامة أبي بكر ، التي جاءت على حد تعبير ابن الخطاب « فلتة »^(١) ، والتي لم

(١) قال عمر بن الخطاب « فلا يغرنّ امرءاً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك ، غير أن الله وقى شرها » الطبري : ٣ ص ٢٠٠ ط الحسينية ، وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ٥ ص ٢٤٥ ط السعادة ، وفي ابن الأثير « كانت فلتة » أنظر الكامل : ٢ ص ١٢٤ ط الحلبي ، وفي شرح النهج « إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه » مجلد ١ ص ١٢٣ وما بعدها ط القاهرة ، ومع ذلك فابن أبي الحديد يروي لنا أن أول من وصف أبا بكر بهذا الوصف « فلتة » هو أبو بكر نفسه ؛ ففي شرح النهج : « قام أبو بكر فخطب الناس فاعتذر إليهم ، وقال إن بيعتي كانت فلتة وقى الله شرها ، وخشيت الفتنة ، وأيم الله ما حرصت عليها يوماً قط ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية قط ، ولقد قلت أمر أعظيماً ما لي به طاقة ولا يدان ، ولقد وددت أن أقوى الناس عليه مكاني » ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ١٩ .

ترض بعض الأنصار ؛ فقد امتنع سعد بن عبادة عن مبايعة أبي بكر حتى مات^(١) ،
كما لم ترض بنى أمية بن عبد شمس . أما بنو هاشم فقد سخطوا عليها كأشد ما يكون
السخط ، وعدوها اغتصاباً لحقوقهم وإهداراً لوجودهم ، فقد كانوا القرا بتهم من الرسول
يتوقون إلى هذا الأمر من بعده .

وأ كبير الظن أن علياً وحده هو الذى كان يطعم فى هذا الأمر إلى حد كبير ،
ولقد نعم على مؤتمر السقيفة الذى أضاعه منه ، فتمثل بقول الشاعر :

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهاوا ويطغون لما غال زيدا غوائله
وفى هذا الصدد أنشد أبو القاسم الحسين بن على الوزير المغربى (المتوفى عام ١٨ هـ)
قصيدة طويلة ، مألها بالسخط والإنكار على المهاجرين الذين أبعدوا الأنصار عن
الخلافة أولاً ثم أبعدوا علياً عنها ثانياً ، وفيها يقول متحيزاً للأنصار :

نحن الذين بنا استجار^(٢) فلم يضع فينا وأصبح فى أعز جوار
بسيوفنا أمست « سخيفة^(٣) » برّكاً فى بدرها كمنحائر الجزار
ولنحن فى أحسد سمحنا دونه بنفوسنا للموت خوف العار
فنجبا بمهجته فلولا ذنبنا عنه تنشب فى مخالب ضار

(١) قال ابن أبى الحديد « وحمل سعد بن عبادة وهو مريض فأدخل إلى منزله فامتنع من البيعة
فى ذلك اليوم وفيها بعده ، وأراد عمر أن بكرهه عليها ، فأشبر عليه ألا يفعل ، وأنه لا يبايع حتى
يقتل ، وأنه لا يُقتل حتى يُقتل أهله ، ولا يقتل أهله حتى يقتل الخزرج ، وإن حوربت الخزرج
كانت الأوس معها وفسد الأمر ، فتركوه ، فكان لا يصلى بصلاتهم ، ولا يجتمع بمجامعتهم ،
ولا يقضى بقضائهم ، ولو وجد أعواناً لضاربهم ، فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر ، ثم لقي عمر
فى خلافته وهو على فرس وعمر على بعير ، فقال له عمر : هيهات يا سعد ، فقال سعد : هيهات
يا عمر ، فقال : أنت صاحب من أنت صاحبه ، قال : نعم أنا ذاك ، ثم قال لعمر : والله ما جاورنى
أحد هو أبغض إلى جواراً منك ، قال عمر : فإنه من كره جوار رجل انتقل عنه ، فقال سعد :
إنى لأرجو أن أخليها لك عاجلاً إلى جوار من هو أحب إلى جواراً منك ومن أصحابك ، فلم يلبث
سعد بعد ذلك إلا قليلاً ، حتى خرج إلى الشام ، فأت بجوران ولم يبايع لأحد ، لا لأبى بكر
ولا لعمر ولا لغيرهما » شرح النهج مجلد ٢ ص ٤ . (٢) يقصد النبى .

(٣) السخينة : طعام كانت تعمله قريش من دقيق وهو الخزيرة فكانت تسب به ، وفيه يقول
حسان بن ثابت :

زعمت سخينة أن ستقلب ربها وليقلبن مغالب الغلاب
أنظر : العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٤٦٢ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

إلى أن يقول :

ولنا يوم حنين آثار متى
لما تصدع جمعه فعدا بنا
عطفت عليه كماننا فتحصنت
أفنحن أولى بالخلافة بعده
ما الأمر إلا أمرنا وبسعدنا
لكنا حسد النفوس وشحها
أفضى إلى هرج ومرج فانبرت
وتداولتها أربع لولا أبو
من عاجز ضرع ومن ذى غلظة
ثم ارتدى المحروم فضل رداها
فتأكلت تلك الجذى وتلظت
تالله لو ألقوا إليه زمامها
ولو أنها حلت بساحة مجده
هو كالنبي فضيلة لكنّ ذا
والفضل ليس بنافع أربابه
ثم امتطأها عبد شمس فاغتدت
وتنقلت في عصابة أموية
ما بين مأفون إلى متزندق
تذكر فهنّ كرائم الآثار
مستصرخاً بعقيرة وجوار
منا جموع هوازن بفرار
أم عبد تيم حاملو الأوزار؟
زُفت عروس الملك غير نوار
وتذكرُ الأذحال والأوتار
عشواء خابطة بغير نهار
حسن لقلت لوئت من أستار
جاف ومن ذى لثة خوّار
فقلت مراحل إحنة ونفّار
تلك الظبا ورقى أجيح النار
لمشى بهم سمحى بغير مِهار^(١)
بادى بدا سكنت بدار قرار
من حظه كاسٍ وهذا عارى
ألا بمسعدة من الأقدار
هزواً وبدل ربحها بخسار
ليسوا بأطهار ولا أبرار
ومداهن ومضاعف وجمار^(٢)

(١) قال صاحب القاموس : « المهار ككتاب : العود يجعل في أنف البختي » والمعنى أن إمامة على لو ألقى الناس زمامها إليه أسارت بهم آمنين مطمئنين في سهولة ويسر .
(٢) أورد ابن أبي الحديد هذه القصيدة في شرحه للنهج وختمها بقوله : « فهذه الأبيات هي نظيف القصيدة ، التقطناها وحذفنا الفاحش ، وفي الملتقط المذكور أيضاً ما لا يجوز ، وهو قوله نحن الذين بنا استجار — وقوله فنجبا بمهجته البيت ، وقوله عن أبي بكر : عبد تيم ، وقوله لولا على لقلت في الأربعة إنهم أستار لؤم ، وذكره الثلاثة بما ذكرهم ونسبهم إليه ، وقوله إن عليا كالنبي في الفضيلة ، وقوله إن النبوة حظ أعطيه وحرمه على عليه السلام » شرح النهج مجلد ٢ ص ٦ و ٧ .

وفي ذلك يقول أيضاً الشاعر المتشيع مهيار الديلمي (المتوفى عام ٤٢٨ هـ) :

أَللّٰهُ يَا قَوْمُ يَقْضِي « النَّبِيَّ » مُطَاعًا فَيُعْضَى وَمَا غُسَّلاً ؟ !
ويجتمعون على زعمهم وينبئك « سعدٌ » بما أشكلا
فيعقب إجماعهم أن يبيد ت مفضولهم يقدم الأفضلا
وأن يُنزع الأمر من أهله لأن « عليّاً » له أهلا
وساروا يحطون في آله بظلمهم ككلاً ككلا
تدب عقاربُ من كيدهم فتفنيهم أولاً أولاً
أضاليل ساقَت مصاب « الحسين » وما قبل ذلك وما قد تلا
« أمية » لابسة عارها وإن خفي الثأرُ أو حُصَّلا
فيوم السقيفة يا ابن النبى سى طرَّق يومك فى « كربلا »
وغضبُ أبيك على حقه وأمك حسن أن تُقتلا

ثم توجه إلى الرسول بقوله :

قضيت فأرْمضنا ما قضيت وشرعك قد تم واستكملنا
فإم ابن عمك فيما سنفد ت أن يتقبل أو يمثلا
فخانك فيه من الغادريـ ن من غير الحق أو بدلا
إلى أن تحلَّت بها « تيمها » وأضحت بنو هاشم عطلا
ولما سرى أمر « تيم » أطا ل بيت « عدى » لها الأحبلا
ومدت أمية أعناقها وقد هُوّن الخطب واستسهلا (١)

ومهما يكن من شيء ، فقد نغم على علي مؤتمر السقيفة ، فامتنع عن مبايعة أبي بكر ،
تؤيده في ذلك وتشدد أزره زوجه فاطمة ابنة الرسول ، ونفر من بنى هاشم ، وكثير
من صحابة النبي ، منهم الزبير وعتبة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد

(١) ديوان مهيار طبع دار الكتب المصرية > ٣ ص ٤٨ وما بعدها .

ابن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبوذر ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب ، وأبوسفيان ، وقد قال عتبة بن أبي لهب في ذلك :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم عنهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقةً وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عونٌ له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن (١)

القراءة عند الشيعة :

ولمسألة « القراءة » عند الشيعة أهمية كبرى ، ليس فقط في إثبات حقهم في « الإمامة » بل وفرض موالاتهم على الناس كافة ، متلمسين بذور ذلك فيما حاولوا — جاهدين — من تفسير قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » زاعمين — وهم في زعمهم واهمون — أن القرآن يفترض على جميع المسلمين مودة قربي الرسول عليه السلام ، وهم هنا على وفاطمة والحسن والحسين ثم ذريتهم من بعدهم . وفي هذا الصدد يقول صاحب « الهاشميات » شاعر الشيعة الكميّ بن زيد :
وجدنا لكم في « آل حامي » آية تأولها منا تقى ومُعرب (٢)
والحق أن هذا التفسير للآية الكريمة قد أملاه الهوى والغرض ، ولم يجد سنداً من التاريخ وصحاح الأحاديث ، كما أنه بعيد كل البعد عن مادة اللغة وروح الإسلام ، كما أوضح ذلك بحق العلامة محمد إسعاف النشاشيبي (٣) .

فالآية من سورة « الشورى » وهي وشقيقتها « آل حامي » مكيات باتفاق ، فكيف يقصد بها عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، مع أن عليّاً لم يتزوج بفاطمة

(١) أنظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء - ١ ص ١٥٦ ط الحسينية بالقاهرة وانظر أيضاً تاريخ ابن الوردي - ١ ص ١٤١ ط المطبعة الوهيبية بالقاهرة .

(٢) الهاشميات طبع الرافضى ص ٤٠ ، وتقوى : متكلم متستر ، ومعرب أى : جاهر مفسح صاعد .

(٣) الإسلام الصحيح - ١ ص ٥٩ وما بعدها ط القدس .

إلا بالمدينة بعد غزوة بدر وقد وُلد له الحسن في السنة الثالثة من الهجرة والحسين في الرابعة ؟ !

فالآية قد نزلت قبل وجود هذه القرابة ، فكيف يسألها الرسول — حاشاه —
أجراً لدعوته ؟ !

وقد روى البخارى ومسلم في صحيحيهما « عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت طاوساً عن ابن عباس أنه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : قربي آل محمد . فقال ابن عباس : عجبت ، إن النبي لم يكن بطن من قريش إلا كان له منهم قرابة فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » .

وفي مسند أحمد « سمعت طاوساً يقول : سأل ابن عباس المعنى عن قوله عزَّ وجل (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : قرابة محمد . قال ابن عباس : عجبت ، إن رسول الله لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله فيهم قرابة فنزلت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم » .

وفي تيسير الوصول وسنن النسائي وغيرهما مثل ذلك ، ويقول الطبري في تفسيره : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال : معناه قل لا أسألكم عليه أجراً — يا معشر قريش — إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم . وإنما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية لدخول (في) في قوله (إلا المودة في القربى) ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال : إلا أن تودوا قرابتي أو تقرّبوا إلى الله ، لم يكن لدخول (في) في الكلام في هذا الموضع وجه معروف ، ولما كان التنزيل (إلا مودة القربى) إن عني به الأمر بمودة قرابة رسول الله » (١) .

على أن مسألة « القرابة » وحدها ليست مبرراً كافياً لمزاعم الشيعة عند غيرهم

(١) تفسير الطبري - ٢٥ ص ١٧ ط بولاق .

من الطوائف الإسلامية ، وقد حدثنا ابن قتيبة أن المأمون قال يوماً لعلي بن موسى الرضى : « بم تدعون هذا الأمر ؟ قال : بقرابة علي من النبي وبقرابة فاطمة . فقال المأمون : إن لم يكن ها هنا شيء إلا القرابة فقيه من هو أقرب إليه من علي ومن هو في القرابة مثله ، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله ، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلي في هذا الأمر حق وهما حيّان ، وإذا كان الأمر على ذلك فإن علياً قد ابتزها جميعاً وهما حيّان صحيحان واستولى على ما لا يجب له ، فما أحر علي بن موسى نطقاً^(١) . »

ومهما يكن من شيء فقد أغفل مؤتمر السقيفة هذه القرابة ، وأسقطها من حسابها ، ولم يثرها أحد من المؤتمرين أنصاراً كانوا أم مهاجرين ، وكانت فرصة لأبي سفيان فرفع عقيرته منادياً : « أين الأذنان علي والعباس^(٢) ؟ »

(١) عيون الأخبار - ٢ ص ١٤٠ وما بعدها ط الدار .

(٢) حدثنا الطبري قال : « قال أبو سفيان لعلي : ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ؟ والله لئن شدت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ، قال فقال علي يا أبا سفيان : طال ما عادت الإسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً . »

وفي رواية أخرى يقول ابن جرير : « لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول : والله أنى لأرى بحاجة لا يطفئها إلا دم آل عبدمناف ، فيما أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ؟ أين الأذنان علي والعباس ؟ وقال : أبا حسن أبسط يدك حتى أبايعك ، فأبى علي عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتأسس :

ولن يقيم علي خسف يراد به إلا الأذنان غير الحمى والوتد
هنا على الخسف معكوس برمته وذا يشج فلا يبكي له أحد
قال فزجره علي ، وقال : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طال ما بقيت الإسلام
شراً ، لا حاجة لنا في نصيحتك » الطبري : ٣ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ط الحسينية .
وفي شرح النهج :

« لما بايع بشير بن سعد أبا بكر وازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه ، مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب عليه السلام ، فوقف وأشد :

بى هاتم لا تظموا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدى
فما الأمر إلا فيكم وليلكم وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم فأنتك بالأمر الذي يرتجى ملي
وأى امرى هـ يرى قصياً ورأيها منيع الحمى والناس من غالب قصى

فقال علي لأبي سفيان : إنك تريد أمراً لسنا من أصحابه ، وقد عهد إلى رسول الله صلى الله =

وبإمامة أبي بكر ، وبامتناع سعد بن عباد عن مبايعته حتى قضى ، وبتلكؤ
على وشيعته ، يذكيه تعصب فاطمة^(١) وخصومتها لأبي بكر ، ابتداءً المسلمون تتباين
آراؤهم في ماهية هذا المنصب ، وفي صحة إمامة أبي بكر أو بطلانها ، ثم في أحقية عمر
وعثمان في الخلافة ، وفي موقف عليّ وزوجه وأنصاره . وقد بدأ هذا الخلاف ضعيفاً
ثم أخذ سبيله في القوة والعنف مسلحاً بالسيف ، كما بدأ دينياً ، ثم تطور سريعاً إلى
أن صار سياسياً عنيفاً ، وقد كان أول نتاجه أن أودى بحياة الخليفة السيئ الطالع
عثمان ، الذي كان قتله فصلاً من فصول هذا الخلاف المتسق الحلقات ، وقد زاده
سعيراً واشتعالاً ما بثه ابن السوداء عبد الله بن سبأ في نفوس الجماهير ، فصبغ تاريخ
الخلافة الإسلامية بلون أحمر بما أشاع على جوانبها من دماء .

= عليه وآله عهداً فأنا عليه ، فتركه أبو سفيان وعدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله ، فقال
يا أبا الفضل : أنت لها أهل وأحق بميراث ابن أخيك ، امدد يدك لأبايعك فلا يختلف عليك الناس
بعد بيعتي إليك ، فضحك العباس وقال : يا أبا سفيان ، يدفعها علي ويطلبها العباس ، فرجع
أبو سفيان خائباً « ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٧ .

(١) في شرح النهج : « أن علياً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم
النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا
الرجل ، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ، ما عدلنا به ، فقال علي : أ كنت أترك رسول الله
ميتاً في بيته لا أجهزه ، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه ؟! وقالت فاطمة : ما صنع أبو حسن
إلا ما كان ينبغي له ، وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه « ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٥ .

وفي الطبري : « إن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فديك وسهمه من خيبر . فقال لهما أبو بكر : أما إنني سمعت
رسول الله يقول : لا نورث ما تركناه فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال ، وإنني والله
لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته ، قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت ،
فدفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر ، وكان لعلي وجه من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة ،
انصرفت وجوه الناس عن علي . فكثرت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم توفيت ، قال معمر فقال رجل للزهري : أفلم يبايعه علي ستة أشهر ؟ قال لا ، ولا أحد من بني
هاشم حتى يبايعه علي ، فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ، ضرع إلى مصالحة أبي بكر «
الطبري - ٣ ص ٢٠٢ ط الحسينية ، وانظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء - ١ ص ١٥٦
ط الحسينية بالقاهرة ، وكذلك « تمة المختصر » أو تاريخ ابن الوردي - ١ ص ١٤١
ط الوهيبية بالقاهرة .

الإمامة عند الفرق الإسلامية

يخضع السادة الفقهاء لقب « الإمام » على رأس الجماعة الإسلامية ويسمى عادة « بالخليفة » ، وهو زعيم ديني وديني ، ويطلق على هذا المنصب اسم « الإمامة الكبرى » تمييزاً له عن « الإمامة الصغرى » وهي وظيفة من يؤم الناس في الصلاة .
وسنعرض هنا لهذا المنصب وطريق ثبوته وشروط القائم به من وجهة نظر أهل السنة والجماعة والشيعية .

الإمامة عند أهل السنة :

يحدثنا الإيجي - عضد الدين صاحب المواقف^(١) - أن الإمامة ليست من أصول الديانات والعقائد ، بل هي عند أهل السنة من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين ، وهي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص ، وهي واجبة سماعاً لتواتر إجماع المسلمين في المصدر الأول ، بعد وفاة الرسول على امتناع خلو الوقت عن إمام ، حتى قال أبو بكر في خطبته : « ألا إن محمداً قد مات ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به » . فبادر الكل إلى قبوله ، ولما في الإمامة من دفع ضرر مظنون ، وهو واجب إجماعاً ؛ قال الإيجي :

« بيانه أننا نعلم علماً يقارب الضرورة أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمنكحات والجهاد والحدود والمقاصات ، وإظهار شعار الشارع في الأعياد والجمعات ، إنما هو مصالح عائدة إلى الخلق معاشاً ومعاداً ؛ وذلك لا يتم إلا بإمام يكون من قبل الشارع ، يرجعون إليه فيما يعنون لهم ، فإنهم - مع اختلاف الأهواء ، وتشتت الآراء وما بينهم من الشحناء - قلما ينقاد بعضهم لبعض ، فيفضى ذلك إلى التنازع

(١) المواقف ص ٣٩٥ وما بعدها ط مطبعة العلوم عام ١٣٥٧ هـ .

والتواضع ، وربما أدى إلى هلاكهم جميعاً ، ويشهد له التجربة والفتن القائمة عند موت الولاية إلى نصب آخر^(١) .

وتثبت الإمامة عند أهل السنة بالنص من الإمام السابق ، وبيعة أهل الحل والعقد . ولا بد في القائم بها من شروط تؤهله لهذا المنصب فاشترطوا أن يكون^(٢) :

١ - عالماً بأحكام الله منفذاً لها ، مجتهداً في علمه ، لأن التقليد نقص والإمامة تستدعي الكمال .

٢ - عادلاً ؛ لأن الإمامة منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي اشترطت فيها العدالة ، فكانت العدالة بذلك أولى باشتراطها في الإمام .

٣ - كفئاً ؛ أي جريئاً في إقامة الحدود واقتحام الحدود ، والقوة على معاناة السياسة ؛ لكي يصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين ، وجهاد العدو ، وإقامة الأحكام وتدبير المصالح .

٤ - سويباً في خلقه : سليم الحواس والأعضاء من النقص والتعطيل كالجنون والعمى والصمم والخرس وفقدان كتفا يديه أو قدميه ، فلا بد للإمام من السلامة منها جميعاً لتأثير ذلك في تمام عمله . أما إذا كان النقص يشين منظره فقط كفقده إحدى عينيه أو إحدى يديه أو قدميه ، فشرط السلامة منه شرط كمال .

يقول صلاح الدين الصفدي :

« الإمام لا يجوز أن يكون أعمى ؛ قال الرافي رحمه الله تعالى : وينعزل بالعمى

والصمم والخرس ، ولا ينعزل بتمتة اللسان ، ولا ثقل السمع .

« وقال الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى في شروط الإمامة : وهي كونه

مكلفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً عالماً مجتهداً شجاعاً ذا رأي وكفاية سميعاً بصيراً ناطقاً قرشياً .

« وقال ، قال الماوردي : عشا العين لا يمنع انعقاد الإمامة ؛ لأنه مرض في زمن

(١) المواصف ص ٣٩٦ .

(٢) أنظر مقدمة ابن خلدون ص ٩٤ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

الاستراحة ويُرجى زواله ، وضعف البصر إن كان يمنع معرفة الأشخاص ، مَنَعَ انعقاد الإمامة واستدامتها وإلا فلا .

« قلت [الصفدى] : . ولهذا كان بنو بويه وغيرهم إذا خلعوا الخليفة سملوه حتى لا يعود تُرجى له الخلافة ، ولا انعقادُ الإمامة ، كما فعل بأمير المؤمنين المتقي إبراهيم بن جعفر ، وبأمير المؤمنين المستكفي بالله عبد الله بن علي ، وبأمير المؤمنين الطائع عبد الكريم بن الفضل ، وبأمير المؤمنين القاهر محمد بن أحمد ، وكما فعل الإمام الناصر بابنه الإمام الظاهر محمد بن أحمد ، وحاول من فساد بصره ولم يقدره الله تعالى^(١) » .

وهناك شرط خامس تنوزع فيه ، وهو كون الإمام « قرشياً » فقال به بعض العلماء لما ورد عن الرسول أنه قال : « الأئمة من قريش » ، ولاحتجاج أبي بكر بذلك على الأنصار وحجّهم ، وأنكره آخرون كالتقاضي أبي بكر الباقلاني^(٢) .

والمؤرخ الاجتماعي الكبير العلامة ابن خلدون حديث في هذا الصدد لم يسبق إليه ؛ إذ يقول :

« ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ، ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور ، وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلًا ، لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت ، فلا بد إذا من المصلحة في اشتراط النسب هي المقصودة من مشروعيتهما ، وإذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها إلا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب ، فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها ؛ وذلك أن قريشًا كانوا أنف مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم ، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف ، فكان

(١) نكت الهميان في نكت العميان ص ٥٦ ط الطبعة الجمالية عام ١٩١١ م .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٩٥ ط بولاق .

سائر العرب يعترف لهم بذلك ، ويستكيفون لغلبيهم ، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ، ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردم عن الخلاف ولا يحملهم على الكره ، فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة ، والشارع محذر من ذلك حريص على اتقاقهم ورفع التنازع والشقات بينهم ، لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية ، بخلاف ما إذا كان الأمر في قريش ؛ لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم ، فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة ؛ لأنهم كفيولون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها ، فاشتراط نسبهم القرشي في هذا المنصب ، وهم أهل العصبية القوية ، ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة ، وإذا انتظمت كلمتهم ، انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع ، فأذن لهم سائر العرب ، وانقادت الأمم سواهم إلى أحكام الملة ، ووطئت جنودهم قاصية البلاد»^(١)

وطاعة الإمام عند أهل السنة واجبة على الرعية لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، بيد أنها مقيدة بطاعة الإمام نفسه لله ، فإن حاد قومٌ فإن تمادى عُزل ، وقد قال الإمام الأول أبو بكر في خطبته الأولى التي تعد دستوراً لسياسته :

« أما بعد أيها الناس فإنني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله ؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم »^(٢) .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٩٥ .

(٢) تاريخ الطبري - ٣ ص ٢٠٣ ط الحسينية .

الإمامة عند الخوارج :

هي عندهم صالحة لأي إنسان يُحسن القيام بها ، عالماً بالكتاب والسنة منفذاً لأحكامهما ، وإن لم يكن على النسب ، سواء في ذلك القرشي والعجمي « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، و « كلكم من آدم وآدم من تراب » ، « ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ، و « اسمعوا وأطيعوا ولو وُلّي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » ، و « سلمان منا أهل البيت » ، وقد قال عمر بن الخطاب في شكائته التي مات فيها : « لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته » (١).

لهذا كله ولتلك الروح الديمقراطية التي هي من وحي الإسلام الحق ، بايعت الخوارج أناساً ليسوا من قریش ، واعتبروهم أئمة كمنافع بن الأزرق وقطرب بن الفجاءة وغيرها (٢).

أما « النجدات » (٣) منهم فلم تعترف بالإمامة أصلاً ، ورأت أن الأمة ليست في حاجة إلى إمام ؛ لأن نصبه يثير الفتنة ؛ فالأهواء مختلفة وقد يدعى كل قوم إمامة شخص وصلاحه لها دون الآخر ، فيقع التشاجر والتناجز ، والتجربة شاهدة بذلك ، وعلى الناس أن تقيم كتاب الله فيما بينهم وهو حسبهم ، قال الشهرستاني : « وأجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط ، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز » (٤).

الإمامة عند الشيعة :

رأينا من هذا العرض أن « الإمامة » عند أهل السنة أسيت من أصول الدين ، وهي عند الخوارج ليست بذات خطر ، أما في الإسلام الشيعي فهي كل شيء ،

(١) أنظر الطبري - ٥ ص ٣٤ ، وابن الأثير - ٣ ص ٢٥ .

(٢) أنظر أصول الدين لعبد القاهر البغدادي - ١ ص ٢٧٥ ط استانبول .

(٣) النجدات إحدى فرق الخوارج وهي منسوبة إلى زعيمهم نجدة بن عامر .

(٤) الملل والنحل - ١ ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ على هامش « الفصل » لابن حزم ط المطبعة

الأدبية عام ١٣١٧ هـ .

وهي قطب الرحي في معتقداته ، مفلسفة كل التفلسف معقدة كل التعقيد ، ومع ذلك فهي تيمت العقل وتشل التفكير .

جاء في « النهج » : « لما سمع (أى على) قولهم (أى الخوارج) لا حكم إلا لله ، قال عليه السلام : كلمة حق يراد بها الباطل . نعم لا حكم إلا لله ، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله . وإنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر ، يعمل في إمرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويُبَلِّغُ الله فيها الأجل ، ويجمع به النية ، ويُقاتل به العدو ، وتأمّن به السبل ، ويؤخذ للضعيف من القوى حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر » .

قال ابن الحديد - شارح النهج وهو من معتدلى الشيعة - « هذا نص صريح منه (أى من على) عليه السلام بأن الإمامة واجبة »^(١) .

ويحدثنا المجلسي - العالم المتشيع المتوفى عام ١٧٠٠ م - في كتابه « حياة القلوب » حديثاً عن الإمامة طريفاً حيث يقول :

« الإمام لغة : المقتدى به ، ومعناه في اصطلاح الفرقة الناجية في باب الصلاة غالباً من يؤمها ، أما في علم الكلام ، فالمراد بالإمام هو الشخص المعين من الله للخلافة ، ونيابة حضرة صاحب الرسالة ، وقد يطلق في بعض الأحوال على النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، وتدل بعض الأخبار المتيسرة التي سنذكرها فيما بعد إن شاء الله ، أن مرتبة الإمامة أعلى حتى من مرتبة النبوة ؛ فإن الله تعالى بعد أن أعطى النبوة لإبراهيم خاطبه بقوله (إني جاعلك للناس إماماً)^(٢) !! »

والمجلسي كمتشيع يوجب على الله نصب الإمام لحفظ الشريعة من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ؛ فأيات القرآن مجمة ، وأكثر الأحكام غير معلوم من ظاهر القرآن ، لذلك وجب وجود مفسر من جانب الله لاستنباط الأحكام من الله فالإمامة لطف من الله ، واللطف واجب عليه ؛ لأنه لا يفعل إلا الأصلاح لعباده^(٣) .

(١) شرح النهج مجلد ١ ص ٢٠٠ - ١٥

(٢) عقيدة الشيعة لمؤلفه « دوايت دونلدسن » Donaldson ص ٣٠٤ نشر مكتبة الحانجي بالقاهرة . (٣) الشيعة في الأصول معتزلة وفي الفروع أحناف .

وهكذا نرى أن الإمامة عند الشيعة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ، لا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم .

حدثنا الشيخ أبو جعفر الأعمش محمد بن يعقوب السكيني - المتوفى عام ٣٢٨هـ - في كتابه « الكافي » - بخارى الشيعة - نقلاً عن الإمام الرضا قال : « إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء ، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ، ومقام أمير المؤمنين ، وميراث الحسن والحسين ، إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلح الدنيا وعز المؤمنين ، إن الإمامة أسس الإسلام النامي وفرعه السامي ؛ بالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وتوفير النىء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف . . . الخ (١) » .

فالإمام في الإسلام الشيعي هو الرئيس الأوحد من الوجهتين الدينية والدينيوية ، وقد تلقى إمامته مباشرة من الله ، لا كذلك الذي يتقلد السلطة عن طريق اختيار المسلمين ، وبحق ما يقوله الأب لامنس Lammens من أن الخليفة عند السنة هو رئيس السلطة الزمنية فحسب ، فهو مجرد من كل سلطة تتعلق بالعقيدة ، وليس الخليفة سوى حامى الشريعة والذائد عن حياض الإسلام ، وهو لا يشبه الإمام عند الشيعة الذى هو حبرها الأكبر ومعلمها المعصوم ، وهو ليس خليفة محمد الزمنى فحسب ، بل وارث مركزه والمنصوص عليه منه ومفسر وحيه ، وهو بكلمة مختصرة الزعيم الدينى والدينيوى ، ومركزه أسمى من مركز البابا فى الكنيسة الكاثوليكية ؛ إذ يمتاز فضلاً عن العصمة بالتنزيه ، والنصب من الله ، فهو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة الله .

وتؤثر الشيعة لقب « الإمام » على « الخليفة » لما يدل عليه الأول عندهم من معنى لا يلاحظونه فى الثانى ، وأمامهم ليس من عامة الناس وأفنائهم ، بل هو عربى

(١) الكافي للسكيني - ١ ص ٩٦ و ٩٧ ط طهران عام ١٢٨١ هـ .

قرشي هاشمي ؛ جاء في (النهج) : « إن الأئمة من قریش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم »^(١) ، ومن الشيعة من حجّر هذا الواسع بعض الشيء فقصرها على ولد فاطمة .

والإمام في الإسلام الشيعي يُوحى إليه كالأنبياء والرسل ؛ جاء في (الكافي) : « كتب الحسن بن العباس المعروف إلى الرضى : جعلتُ فداك ، أخبرني ما الفرق بين الرسول والإمام والنبي ؟ فكتب أو قال : الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول هو الذي ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع ، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص »^(٢) . ومن هنا جاءت عصمة الإمام عند الشيعة ، فهو عندهم معصوم من الكبائر والصغائر بيد أن له التقيّة ، وقال غلاتهم : لا بد من ظهور المعجزة على يديه ليُعلم صدقه في دعوى الإمامة ، ولا غرو فالإيمان به عندهم جزء من الإيمان ؛ جاء في (الكافي) :

« عن أبي حمزة قال لى أبو جعفر : إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبد هكذا ضلالاً . قلت : جعلتُ فداك فما معرفة الله ؟ قال : تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله وموالاته على والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام ، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ، هكذا يُعرف الله^(٣) ، « ومن لا يعرف الله عز وجل ويعرف الإمام من أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله »^(٤) ، « وقال أبو جعفر : إن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له ، أصبح ضالاً تائهاً ، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق »^(٥) .

(١) ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٤٢١ .

(٢) الكافي ج ١ ص ٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ٨٥ .

(٥) الكافي ج ١ ص ٨٦ .

وإمام الشيعة الأول هو « علي بن أبي طالب » قد اختاره النبي وعيَّنه صراحة ليخلفه بعد موته ، وذلك بنص أعلن عند غدير « خُم » « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » قال السكيت في « هاشمياته ^(١) » :

ويومَ الدَّوْح دوح غدير خُمَّ أبان له الولاية لو أطيعا
ولكنَّ الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا
فلم أبلغ بها لعناً ولكن أساء بذاك أولهم صنيعا
تناسوا حقه وبغوا عليه بلا تريرة وكان لهم قريبا
وفي هذا الصدد أيضاً يقول الشاعر المتشيع مهيار الديلمي ^(٢) :

وقائل لي « عليٌّ » كان وارثه بالنص منه فهل أعطوه أم منعوا ؟
فقلتُ كانت هَنَاتُ لست أذكرها يجزى بها الله أقواماً بما صنعوا
واسألهم يوم « خُمِّ » بعد ما عقدوا له الولاية لمْ خاوا ولمْ خلعوا ؟
وخُمُّ هذا موضع بين مكة والمدينة به غدير أو بطيحة ؛ قال صاحب القاموس :
« وخُمُّ بئر حفرها عبد شمس بن عبد مناف بمكة ، وغدير خُمِّ موضع على
ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين » .

وقال الوزير أبو عبيد الله البكري الأونبي في معجمه « معجم ما استعجم ^(٣) » :
« وغدير خُمِّ على ثلاثة أميال من الجحفة يسرةً عن الطريق ، وهذا الغدير
تصب فيه عين ، وحوله شجر كثير ملتف ، وهي الفيضة التي تسمى « خُمِّ » وبين
الغدير والعين مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهناك نخلُ ابن المعلّى وغيره ،
وبغدير خُمِّ قال النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ : (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ،
اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه) ، وذلك منصرفه من حجة الوداع ، ولذلك
قال بعض الشيعة :

(١) الهاشميات ص ٨١ و ص ٨٢ طبع الرافعي

(٢) ديوان مهيار = ٢ ص ١٨٣ ط الدار .

(٣) معجم ما استعجم للبكري = ٢ ص ٣٦٨ ط القاهرة .

ويوماً بالغدير غدِير خُمَّ أبان له الولاية لو أطيعا
ويقول البكري أيضاً في موضع آخر من معجمه :
« قال السكوني : موضع الغدير ، غدِير خُمَّ ، يقال له الخرار ، وقال النُصيب :
وقالت بالغدير غدِير خُمَّ أُخِيَّ إلى متى هذا الركوبُ ؟
ألم ترأني مادمتَ فينا أنامُ ، ولا أنام إذا تغيبُ ؟
وقال الزبير : عن الأثرم عن أبي عبيدة ، خُمُّ : بُرّ احتفرها عبد شمس بالبطحاء
بعد بُره العجول ، قال : ومن حفائره أيضاً زُمُّ ، وفي ذلك يقول :
حفرتُ خُمًّا وحفرتُ زُمًّا حتى ترى المجد لنا قد تمًّا
خُمُّ : عند ردم بني جُمح ، وزُمُّ : عند دار خديجة بنت خويلد » (١) .
والشيعة تزعم أن النبي ، عند عودته من مكة بعد حجة الوداع ، وقف في هذا
الموضع وأخى بينه وبين علي بن أبي طالب ورشحه بعده للأمامة قائلاً : « عليّ مني
كهرون من موسى ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ،
واخذل من خذله » (٢) .
قال القلقشندي :

« قد ابتدعت الشيعة عيداً ثالثاً وسموه عيد الغدير ، وسبب اتخاذهم له ، مؤاخاة
النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ كرم الله وجهه يوم غدِير خم . وهو غدِير على ثلاثة أميال
عند الجحفة يسرة (٣) الطريق ، تصب فيه عين ، وحوله شجر كثير ، وهي الغيضة
التي تسمى خُمًّا ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رجع من حجة الوداع
نزل بالغدير ، وأخى بين الصحابة ، ولم يواخ بين عليّ وبين أحد منهم ، فرأى النبي
صلى الله عليه وسلم منه انكساراً ، فضمه إليه وقال : « أما ترضى أن تكون مني
بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ » والتفت إلى أصحابه وقال : « من

(١) معجم ما استعجم - ٢ ص ٥١٠ .

(٢) أنظر الشهرستاني - ١ ص ٢٢٠ على هامش ابن حزم ط الطبعة الأدبية .

(٣) في نهاية الأرب للنويري - ١ ص ١٨٤ : « بسرة الطريق » .

كنت مولاة فعلى مولاة ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » ، وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة ، والشيعنة يجيئون ليلة هذا العيد بالصلاة ، ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال ، وشعارهم فيه لبس الجديد وعتق العبيد ، وذبح الأغنام ، وإلحاق الأجانب بالأهل في الإكرام ، والشعراء والمترسلون يهنتون الكبراء منهم بهذا العيد^(١) .

وابن واضح اليعقوبي ، وهو مؤرخ متشيع ، يحدثنا حديث الغدير ؛ فيقول : « وخرج صلى الله عليه وسلم ليلاً منصرفاً إلى المدينة ، فصار إلى موضع بالقرب من الجحفة يقال له (غدير خم) ؛ لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، وقام خطيباً وأخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فمن كنت مولاة فعلى مولاة ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٢) . » الخ

ويقص علينا الملام محمد باقر المجلسي — أحد أعلام الشيعة في القرن السابع

عشر — خلاصة لهذا الحدث ذى الأهمية البالغة في الإسلام الشيعي ، فيقول :

« لما انقضت مناسك الحج ، قفل النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً من مكة إلى المدينة ومعه عليّ عليه السلام والمسلمون ، فلما بلغ غدير خم نزل هناك ، وهو مكان لم يكن نزول المسافر متعارفاً فيه ، والسبب في نزوله هناك ، ما أنزل عليه من القرآن بلزوم نصب عليّ عليه السلام خليفة من بعده ... ! ، وقد أنزل ذلك عليه عدة مرات ... ! ، غير أن الوقت لم يُعَيَّن لتبليغه ، وقد أخرج ذلك خشية اعتراض الناس ، ولو جاوز ذلك المسكان ، أمي غدير خم ، لتفرق الناس وذهبت كل قبيلة ناحية ، فأمر محمد صلى الله عليه وسلم الناس بالاجتماع ليقول لعليّ عليه السلام ما يجب أن يبلغهم جميعاً ، وقد أنزل الله عليه « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن

(١) أنظر صبح الأعشى - ٢ ص ٤٠٧ ط الدار .

(٢) تاريخ اليعقوبي - ٢ ص ٩٣ ط النجف بالعراق عام ١٣٥٨ هـ ، وانظر أيضاً ابن كثير ،

البداية والنهاية - ٧ ص ٣٤٦ ط السعادة بالقاهرة .

لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » ، وكان لذلك الأمر بنصب عليّ عليه السلام خليفة ، أن نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه في ذلك المكان ، وكان الهواء في غاية الحرارة ، والمكان مملوءاً بالأشواك ، حتى كان الرجل يضع الرداء تحت قدميه من شدة الرمضاء ، وأمر الرسول أن ينصب له منبر من أقتاب الإبل ، فلما نصب له واجتمع الناس ، ارتقى محمد صلى الله عليه وسلم المنبر ، ودعا عليّاً إلى يمينه ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ، أخبر الناس بدنوّه أجله قائلاً : ولقد دُعيت إلى ربي وإني مجيب ، وإني مغادركم من هذه الدنيا ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترته أهل بيتي — ثم قال : ألسن أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : نعم ، فأخذ بيد عليّ عليه السلام ورفعها حتى بان بياض إبطه وقال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » ، فلما نزل النبي من على المنبر ، صلى صلاة الظهر ، ثم ذهب إلى خيمته ، وأمر بنصب خيمة بجانب خيمته لأمير المؤمنين ، فجلس عليّ في خيمته ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس أن يبايعوه بالإمامة ، ويسلموا عليه بأمره المؤمنين ، ففعلوا نساء ورجالاً ، وسُرَّ عمر بذلك مثل غيره (١) . . . » !!

وقد نظم شاعر الشيعة السيد الحميري ، حادثة خيم هذه في قصيدة ضافية ، قال فيها (٢) :

عجبتُ من قوم أتوا أحداً بخِطَّةٍ ليس لها موضعُ
قالوا له لو شئتُ أعلمتُنا إلى من الغاية والمفزعُ
إذا توفيتَ وفارقتنا وفيهم في الملك من يطمع
فقال لو أعلمتكم مفزَعاً كنتم عسيتم فيه أن تصنعوا
كصنَع أهل العجل إذ فارقوا هارونَ فالتركُّ له أروع

(١) عقيدة الشيعة لدونالدسن ص ٢٥ وما بعدها وقد نقل هو عن حياة القلوب للمجلسي ص ٢٦ ص ٣٣٩

(٢) انظر تفسير الألوسي شهاب الدين (روح المعاني) ص ٢٤٩ ط بولاق ، وانظر أيضاً

ضحى الإسلام لأحمد أمين ص ٣٠٩ وما بعدها .

ثم أتته بعده عزيمة من ربه ليس لها مدفع
أبلغ وإلا لم تكن مبلغاً والله منهم عاصم يمنع
فَعْندها قام النبي الذي كان بما يأمره يصدع
يخطب مأموراً وفي كفه كفّ عليّ نورها يلمع
رافعها أكرم بكفّ الذي يرفع والكف التي ترفع
من كنت مولاه فهذا له مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا
وظل قوم غاظهم قوله كأنما آناهم تجدع
حتى إذا واروه في لحده وانصرفوا عن دفنه ضيعوا
ما قال بالأمس وأوصى به واشتروا الضر بما ينفع
وقطعوا أرحامهم بعده فسوف يجزون بما قطعوا
وأزمعوا مكرأ بمولاهم تبأ لما كانوا به أزمعوا
لاهم عليه يردوا حوضه غداً ولا هو لهم يشفع

والحق أننا لا ندرى من أى مصدر موثوق به استقى المتشيعون هذه الحادثة ،
التي لم تروها كتب التاريخ المعتمدة ، والتي لو وقعت حقاً - كما يزعمون - أمام هاتيه
الآلاف من الناس ، لتحدث بها كل لسان ، ولما أجمع المؤرخون الثقات على إغفالها
وإسقاطها ، ولما كانت نصاً صريحاً من النبي بخلافة عليّ من بعده ، فتكون بذلك
حداً فيصلاً حاسماً في هذا الأمر ، فلا يكاد يختلف فيه بعد وفاة صاحبه اثنان !؟

وابن أبي الحديد - وهو متشيع - ينكر وجود نص من النبي بإمامة أحد
من بعده ، علياً كان أو غيره ، ويقول : لو كان هناك نص لاحتج به أبو بكر على
الأنصار لو كان يعنيه ، أو لاحتج به عليّ على أبي بكر لو أنه عثر عليه ، ولما كان ذلك
من أكبر حججه ؛ ففي شرح النهج :

« ولقد قال أبو عبيدة لعليّ ، لما امتنع عن المبايعه : يا أبا الحسن إنك حديث
السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجر بهم ومعرفتهم بالأمر ، ولا أرى

أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً له واضطلاعاً به ، فسلم له هذا الأمر وارض به ، فإنك إن تعش ويطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق ، في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك .

« فقال عليّ : يا معشر المهاجرين ، الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ، أما كان منا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعية ؟ والله إنه لقينا ، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً .

« فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان ، ولكنهم قد بايعوا » .

قال ابن أبي الحديد :

« وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع ، ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع . قلت (ابن أبي الحديد) : هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره ، لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ، ولم يجز للنص ذكر ، وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب ، فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين ، أو على أبي بكر ، لاحتج به أبو بكر أيضاً على الأنصار ، ولاحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر ؛ فإن هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة ، يدل على أنه (عليّ) قد كان كاشفهم ، وهتك القناع بينه وبينهم ، ألا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه وظلمه ؟ وتمنع من طاعتهم وأسمعهم من الكلام أشده وأغلظه ؟ فلو كان هناك نص لذكره ، أو ذكره بعض من كان من شيعته وحزبه لأنه لا عطر بعد عروس^(١) .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد المجلد ٢ ص ٥ ط القاهرة ، وانظر أيضاً ابن كثير : البداية والنهاية - ٥ ص ٢٥٢ .

نعم لا عطر بعد عروس ، فلو صحت حادثة الغدير هذه ، لاحتج بها عليّ ما في ذلك شك ، وأهل السنة ينفكرون وجود عليّ يوم الغدير ، كما ينفكرون بحق نصوص^(١) الشيعة وأحاديثهم . وقد قال في حقها المؤرخ العلامة ابن خلدون :

« لا يعرفها جهاذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع ، أو مطعون في طريقه ، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة^(٢) » .

وقال العلامة ابن حزم : « وأما من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فلا يصح من طريق الثقات أصلاً ، وأما سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة ، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها^(٣) » .

على أن نفس النص الذي أورده الشيعة — على فرض صحته — لا يفيد مدعاهم ؛ قال الإمام أبو بكر بن الباقلاني في كتابه « التمهيد » :

« أما معنى مولى فإنه ينصرف على وجوه : فمنها المولى بمعنى الناصر ، ومنها المولى بمعنى ابن العم ، ومنها المولى بمعنى الموالى المحب ، ومنها المولى بمعنى المالك والقرار ، ومنها المولى بمعنى الممتق المالك للولاء ، ومنها المولى بمعنى المعتق الذي ملك ولاؤه ، ومنها المولى بمعنى الجار ، ومنها المولى بمعنى الصهر ، ومنها المولى بمعنى الخليف ؛ فهذا جميع ما يحتمله قوله مولى . وليس من معنى هذه اللفظة أن المولى إمامٌ واجب الطاعة .

« قال الله تعالى في المولى بمعنى الناصر : « وإن تظاهروا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » يعنى ناصره ، وقال الأخطل :

فأصبحت مولاها من الناس كلهم وأحرى قریش أن تُهاب وتُحمدا

(١) أنظر ما كتبه العلامة ابن حزم في هذا الصدد في كتابه « الفصل » - ٤ ص ٩٦ وما بعدها ط مطبعة التمدن .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٩٦ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ ، وانظر أيضاً تفسير الألويسي - ٢ ص ٣٤٩ وما بعدها ط بولاق .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل - ٤ ص ١٤٨ .

أى فأصبحت ناصرها وحامى ذمارها . وأما المولى بمعنى ابن العم فمشهور ؛
قال الله تعالى : « وإني خفتُ الموالى من ورأى » يعنى بنى العم ، وقال الفضل
ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب يخاطب بنى أمية :

مهلاً بنى عمنا مهلاً موالينا لا تُنبتوا بيننا ما كان مدفوناً
لا تحسبوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نسكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أننا لا نُحبُّكم ولا نلوؤمكم إلاَّ نُحبُّونا

« وأما المولى بمعنى المعتق والمعتق ، فأظهر من أن يكشف ؛ يقال : فلان مولى
فلان يعنى معتقه ومالك ولائه ، وفلان مولى لفلان يراد به مُعتق له . وأما المولى
بمعنى الموالى المحب فظاهر فى اللغة ؛ يقال فلان مولى فلان أى محبُّ له وولىُّ له ؛
وقد روى فى قول النبي صلى الله عليه : « مَزِينَةٌ وَجُهَيْنَةٌ وَأَسْلَمٌ وَغِفَارٌ مَوَالَى اللَّهِ
ورسوله » أى مُحِبُّونَ مَوَالُونَ لَهَا . وأما المولى بمعنى الجار فعروف فى اللغة ؛ قال
مِرْبَعُ بْنُ دَعْدَاءَةَ ، وكان جاور كُليِّبَ بن يربوع فأحسنوا جواره :

جزى الله خيراً والجزاء بكفِّه كُليِّبَ بن يربوع وزادهم حمداً
هُم خلطونا بالنفوس وألجوا إلى نصر مولاَهُمْ مُسَوِّمَةً جُرُداً

أى إلى نصر جارهم . وأما المولى بمعنى الصهر فعروف أيضاً ؛ قال أبو الختار
يزيد بن قيس السكلابى فى ظلامته إلى عمر فى أمرائه :

فلا تنسينَّ النافعين كليهما وهذا الذى فى الشوق مولى بنى بدر
وكان الرجل صهراً لبني بدر . وأما المولى بمعنى الخليف فمذكور أيضاً ؛
قال بعض الشعراء :

مَوَالِي حِلْفٍ لِمَوَالِي قَرَابَةٍ وَلَكِنْ قَطِيْمًا يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَ
« فأما ما قصد به النبي صلى الله عليه بقوله : « من كنتُ مولاة فعلىُّ مولاة »
فإنه يحتتمل أمرين ، أحدهما : من كنتُ ناصره على دينه وحامياً عنه بظاهرى
وباطنى وسرى وعلائقى ، فعلىُّ ناصره على هذا السبيل ؛ فتكون فائدة ذلك الإخبار

عن أن باطن عليّ وظاهره في نصرته الدين والمؤمنين سواءً ، والقطع على سريرته وعلو رتبته ، وليس يُعتقد ذلك في كل ناصر للمؤمنين بظاهره ؛ لأنه قد ينصُر الناصر بظاهره ، طلبَ النفاق والسمعة وابتغاء الرّفد ومتاع الدنيا ؛ فإذا أخبر النبي صلى الله عليه أن نصرته بعض المؤمنين في الدين والمسلمين كنصرته هو ، صلى الله عليه ، قُطع على طهارة سريرته وسلامة باطنه ؛ وهذه فضيلة عظيمة .

« ويُحتمل أيضاً أن يكون المراد بقوله : « فمن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » أى من كنتُ محبوباً عنده وولياً له على ظاهري وباطني ، فعليٌّ مولاه ، أى إن ولاءه ومحبته من ظاهره وباطنه واجب ، كما أن ولأئى ومحبتى على هذا السبيل واجب ، فيكون قد أوجب مولانته على ظاهره وباطنه ؛ ولسنا نوالى كل من ظهر منه الإيمان على هذه السبيل ، بل إنما نواليهم في الظاهر دون الباطن ^(١) . »

وأما الأبيات التي رواها لنا ابن الشيخ أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى في كتابه « ألف با ^(٢) » والتي يقول فيها عليٌّ معدداً مفاخره :

محمد النبي أخى وصهرى وحمة سيد الشهداء عمى
وبنت محمد بيتى وعرسى منوط لحمها بدى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها فأيكُم له سهم كسهمى ؟
وجعفر الذى يمسى ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمى
سبقتكُم إلى الإسلام طفلاً صغيراً ما بلغت أوان حلمى
وأوجب لى الولا حقاً عليكم رسولُ الله يوم غدير خم

أقول أما هذه الأبيات فأكبر الظن أنها ليست لعليّ وإنما هى لعلوى ، وإن صحَّ إسناد الأبيات الأولى لابن أبي طالب ، فالبيت الأخير — بيت القصيد — منقول عليه ما فى ذلك ريب ، يؤيدنا فى ذلك ياقوت الحموى حينما حدثنا فى معجمه

(١) التمهيد للقاضى أبى بكر الباقلانى ص ١٧١ وما بعدها ط القاهرة ، وانظر أيضاً ما كتبه العلامة الألوسى الكبير فى تفسيره فى هذا الصدد ص ٢٠٠ وما بعدها ط بولاق .

(٢) ألف با - ١ ص ٤٣٩ ط القاهرة .

— معجم الأدباء^(١) — حديث هذه الآيات ؛ إذ لم يرو هذا البيت الأخير المنحول وكذلك فعل ابن كثير^(٢) .

وأهل السنة يحترمون علياً ويعتبرونه — دون مساس بحق أسلافه في الخلافة — رجلاً ذا فضائل ومعارف تفوق المألوف ، وهو « رباني هذه الأمة » كما لقبه بذلك الحسن البصرى ، بيد أن الشيعة لم ترضهم هذه المرتبة المتواضعة ، فرفعه المعتدلون منهم إلى أخرى ، لا يدانيه فيها أحد ، حيث قالوا إن النبي قد بثه علوماً كان يخفيها عن جمهور صحابته ؛ لأنهم لم يكونوا لها أهلاً ، وإن كان عليٌّ نفسه ينكر ذلك ؛ ففي مسند أحمد : « عن مخارق عن طارق (يعني ابن شهاب) قال سمعت علياً يقول : ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا ما في القرآن وما في هذه الصحيفة (صحيفة كانت في قراب سيف كان عليه ، حلته حديد) ، أخذتها من رسول الله ، فيها فرائض الصدقة » .

وأكبر الظن أن علياً قد رُمى بذلك حال حياته حتى لينكره أشد الإنكار ، على أننا بذلك نجد مزاعم الشيعة تصعد بذورها إلى العصر الإسلامي الأول ، وفي هذا الصدد نجد أيضاً شخصيتين كبيرتين — صحابياً وتابعياً — هما ابن عباس وابن الحنفية ، من ولد عليٍّ ، يُسألان عن ذلك ، فيؤكدان أن النبي لم يترك سوى القرآن ؛ ففي « الجامع الصحيح » لحمد بن إسماعيل البخارى الجعفي :

« حدثنا قتيبة بن سعد ، حدثنا سفيان (يعني ابن عيينة) عن عبد العزيز بن رفيع قال : دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس ، فقال له شداد بن معقل : أترك النبي من شيء ؟ (زاد الإسماعيلي سوى القرآن) قال : ما ترك إلا ما بين الدفتين ، قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه ، فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين » .

وقد زعمت الصوفية هذا الزعم نفسه في الصحابي « حذيفة بن اليمان » الذي

(١) معجم الأدباء > ١٤ ص ٤٨ ط دار المأمون .

(٢) البداية والنهاية > ٨ ص ٨ .

يشغل في حياتهم ما يشغله عليّ عند شيعته ، وقد وصفه الخطيب البغدادي بأنه :
« كان صاحب سرّ رسول الله ؛ تفر به منه وثقته به وعلو منزلته عنده ^(١) » ، ولكننا
مع ذلك نجد أن عليّاً قد أربى فزاحم حذيفة لدى الصوفية ، حتى ليقول ابن الفارض
في « تأييده الكبرى » :

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً عليّ بعلم ناله بالوصية
وقد قالوا بخلوده ورجعته ؛ روى الشعراني عن الصوفي « علي وفا » أنه كان
يقول : « إن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى عليه السلام ،
وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام » ثم قال الشعراني : « وبذلك قال سيدي عليّ
الخواص رضي الله عنه فسمعتة يقول : إن نوحاً عليه السلام أبقى من السفينة
لوحاً على اسم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يُرْفَعُ عليه إلى السماء ، فلم يزل
محموظاً في صيانة القدرة حتى رُفِعَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فالله
أعلم بذلك ^(٢) » .

والإسلام السنّي يرفض بحق رفضاً باتاً أن يكون الرسول — حاشاه —
قد خصّ أحداً من الناس بعلم كتّمه عن جمهور صحابته ؛ قال العلامة ابن حزم :

« واعلموا أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سرّ تحته ، كله برهان
لا مسامحة فيه ، واتهموا كل من يدعو أن يتبع بلا برهان ، وكل من ادّعى للديانة
سرّاً وباطناً ، فهي دعاوى ومخارق ، واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكتب من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم
أو ابن عم أو صاحب ، على شيء من الشريعة ، كتّمه عن الأحمر والأسود ورعاة
الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سرٌّ ولا رمز ولا باطن ، غير ما دعا الناس كلهم إليه
ولو كتّمهم شيئاً لما بلغ كما أمر ^(٣) » .

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - ١ ص ١٦١ وما بعدها ط القاهرة .

(٢) أنظر طبقات الشعراني - ٢ ص ٥٠ ط بولاق عام ١٢٧٦ هـ .

(٣) الفصل - ٢ ص ١١٦ ط المطبعة الأدبية .

وعلى شئ عند الشيعة هو وصي محمد؛ إذ لا بد الأنبياء عندهم من أوصياء، كما تنص على ذلك تعاليم أستاذهم عبد الله بن سبأ، و باختيار النبي لعليّ خليفة له أصبح هذا وصيّه، قال ابن سبأ: « إن لكل نبي وصيًّا وإن عليا وصي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمداً خير الأنبياء^(١) ». .

وقد روت الشيعة عن النبي أنه قال: « من الذي يبايعني على ماله؟ فبايعته جماعة، ثم قال: من الذي يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي؟ فلم يبايعه أحد حتى مدّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يده إليه فبايعه على روحه^(٢) ». وهم بأمثال هذا الخبر الخلق يحملوننا على تصديق اختيار النبي لعليّ لولاية الأمر من بعده، كما يريدون إيهامنا بأن لفظ « الوصي » جرى على لسان النبي وأنه من وضعه، بيد أن هذا القول الفسل المنسوب إليه عليه السلام، ليس له من القوة ما يحملنا على شيء من ذلك، فهو ضعيف متهدم متهاك لا يكاد يقف على قدميه ودلائل نحلّه ظاهرة. وقد أنكرت عائشة ذلك كل الإنكار؛ ففي صحيح البخاري: « ذكروا عند عائشة أن عليًّا رضي الله عنهما كان وصيًّا، فقالت متى أوصى إليه؟، وقد كنت مسندته إلى صدرى - أوقالت حجرتى - فدعا بالطست، فلقد انخث في حجرتى، فما شعرت أنه قد مات، فتي أوصى إليه^(٣)؟ »

وقد لقب الخوارج عليًّا بهذا اللقب (الوصي) فيما دار بينهما من جدال بعد التحكيم، وقد قبله منهم عليّ وارتضاه إذ يقولون له في جدالهم، كما يحدثنا ابن واضح اليعقوبي: « وزعم أنه وصي فضيِّح الوصية »، فيجيبهم عليّ بقوله: « وأما قولكم إني كنت وصيًّا فضيِّحت الوصية، فإن الله عز وجل يقول: (والله على الناس حجج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)

(١) مختصر الفرق بين الفرق للرسعنى ص ١٤٣ ط القاهرة .

(٢) أنظر الملل والنحل للشهرستاني ص ١٠٠ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٣) أنظر البخاري ص ٤٠٣ و ٦٠٦ ص ١٤ ط بولاق، وأنظر أيضاً ابن كثير: البداية

والنهاية ص ٥٠١ .

أفرايتم هذا البيت لو لم يحجج إليه أحد كان البيت يكفر؟ إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر؟ وأنتم كفرتم بترككم إياي، لا أنا كفرت بتركي لكم^(١) .
وحن أمام هذا النص الذي جاءنا به اليعقوبي ، وهو مؤرخ متشيع ، إزاء فروض ثلاثة ؛ فيما أن يكون على نفسه قد ابتدع هذا اللقب ابتداءً وزعمه لشخصه ، حتى يقول له الخوارج « وزعم أنه وصي » ، وهذا أضعف الفروض وأبعدها ، وإما أن يكون الناس في عصره قد خلعوه — مع فلسفته — عليه خلعاً ، بتأثير عناصر أجنبية كتعاليم ابن السوداء مثلاً ، فلم يتردد هو في قبوله ولو سياسياً لا دينياً . وقد يكون هذا الفرض قريباً إلى المعقول ، ولكن يمنعنا من الأخذ به دين عليّ وعدم معرفته بالسياسة ، التي أخفق فيها إخفاقاً تاماً . وأكبر الظن أن الاختلاق جاء في نسبة هذا النص لعليّ كدأب أشياعه دائماً ، عادة معروفة من أخدم ، ولنا في لغته الركيكة — التي لا تناسب بلاغة عليّ المعترف بها — وحججه الواهنة الصبائية ، ورمى عليّ للخوارج بالكفر لجرد تركهم له ، ما يقوى كثيراً من هذا الظن ، وما آفة الأخبار إلا رواتها .

وابن أبي الحديد يحدثننا في شرحه للنهج فيقول :

« لا ريب عندنا أن عليّاً عليه السلام كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد ولسنا نعي بالوصية النص على الخلافة ، ولسكن أموراً أخرى ، لعلها إذا لمحت أشرف وأجل^(٢) » .

وأكبر الظن أن ابن أبي الحديد يقصد بهذه الأمور التي هي أشرف وأجل ، ما يزعمونه من اختصاص النبي لعليّ بعلوم لا يشركه فيها غيره . وقد أورد شارح النهج أبيات قيلت في الوصية^(٣) ، نقلها عن أبي مخنف لوط بن يحيى ، وعن نصر

(١) أنظر تاريخ ابن واضح اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٨ ط النجف .

(٢) شرح النهج مجلد ١ ص ٤٦ ط القاهرة .

(٣) المصدر السابق مجلد ١ ص ٤٧ وما بعدها .

ابن مزاحم بن يسار المنقري ، منها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب :

ومنا عليٌّ ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتابه
وصيُّ النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه
وقول أبي الهيثم بن التيهان وكان بدرياً :

قل للزبير وقل لطلحة إننا نحن الذين شعارنا الأنصار
نحن الذين رأيت قريش فعلنا يوم القليب أولئك الكفار
كفنا شعار نبينا ودثاره يفديه منس الروح والأبصار
إن الوصيَّ إمامنا ووليننا برح الخفاء وباحت الأسرار
ويقال إن رجلاً من قبيلة « الأزدي » قال يوم الجمل : وإنك لتلمح في شعره
دلائل الوضع :

هذا عليٌّ وهو الوصي آخاه يوم النجوة النبي
وقال هذا بعدى الولى وعاه واع ونسى الشقى
ويقال أيضاً إن غلاماً من بني ضبة معلماً ، خرج من معسكر عائشة يوم الجمل
وهو يقول :

نحن بنو ضبة أعداء علي ذلك الذى يعرف قديماً بالوصى
وفارس الخليل على عهد النبي ما أنا عن فضل عليٍّ بالعمى
لكنى أنعى ابن عفان التقى إن الولى طالب ثار الولى
ولا يسع الباحث المنصف إلا أن يرفض بحق هذه الأبيات المنحولة ومثيلاتها ،
أو على الأقل ما يشتمل منها على حديث الوصى والوصاية ، فقد وضعها دون ريب
وزورها متشيعون علويون .

وقد ورث خلفاء عليٍّ رئاسة الدولة وولاية الحكم باعتبارهم الأئمة ، جاء
في الكافي) :

« نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ، ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم ، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ، وموضع سرّ الله ، ونحن وديعة الله في عباده ، ونحن حرّم الله الأكبر ، ونحن ذمة الله ، ونحن عهد الله ، فمن وفى بهدنا فقد وفى بعهد الله ، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده ^(١) » ، « نحن خزّان علم الله ، ونحن تراجمة وحى الله ، نحن الحجّة الباغية على من دون السماء ومن فوق الأرض ^(٢) » .

ومن هؤلاء الأئمة الحُضَر والغُيُوب ، الظاهرون والخُتفون ، والخُتفي كالظاهر فيما له من تقدّيس وإيمان ، جاء في (الكافي) : « وإذا بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبية فلا تنكروها ^(٣) » .

وقد انحدرت إلى هؤلاء الأئمة من على صفاته الروحية الخاصة ، وكل ما امتاز به من علوم وانفرد به من أسرار ؛ فورثوا عنه اسم الله الأعظم ، وجميع الكتب المنزلة التي يعرفونها بلغاتها المختلفة كما ورثوا « القرآن الصحيح » الذي لم يجمعه ولم يحفظه - كما أنزله الله - إلا على ^(٤) . . . ، كما ورثوا أيضاً مصحفاً آخر لفاطمة ، والجامعة ، والجفرين - الأكبر والأصغر - فهم يعلمون لذلك علم ما كان وما سيكون ^(٥) ، كما يعلمون متى يموتون ؟ ولا يموتون إلا بمحض اختيارهم . . . ، ولا يفوتنا أن نذكر أيضاً أن هناك كتاباً آخر خاصاً بآل البيت نزل به جبريل على محمد ، فدفعه إلى عليّ فخلفه هذا الذريته الأئمة يتوارثونه من بعده إماماً بعد إمام ، حتى ينتهي به المطاف أخيراً إلى الإمام الأخير أعني المهدي ، وفي هذا الكتاب أوامر من الله لكل إمام من الأئمة ؛ روى الكليني عن معاذ بن كثير عن أبي عبد الله أنه قال : « إن الله عز وجل أنزل على نبيه كتاباً فقال جبريل : يا محمد هذه وصيتك إلى النجباء فقال : ومن النجباء يا جبريل ؟ فقال : علي بن أبي طالب وولده ، وكان

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ١٠٥ وما بعدها ط طهران .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٩١ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٨ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه ص ١١٠ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٢٦ .

على الكتاب خواتم من ذهب ، فدفعه رسول الله إلى عليّ وأمره أن يفكّ خاتماً منه فيعمل بما فيه ، ثم دفعه إلى الحسن فكّ منه خاتماً فعمل بما فيه ، ثم دفعه إلى الحسين فكّ خاتماً فوجد فيه (أن أخرج بقومك إلى الشهادة فلا شهادة لهم إلا معك واشتر نفسك لله) ففعل ، ثم دفعه إلى عليّ بن الحسين فكّ خاتماً فوجد فيه (أن اطرق واصمت والزم منزلك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ففعل ، ثم دفعه إلى ابنه محمد بن عليّ فكّ خاتماً فوجد فيه (حدّث الناس وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك وصدق آبائك الصالحين ولا تخافن أحداً إلا الله فإنه لا سبيل لأحد عليك) ، ثم دفعه إلى جعفر الصادق فوجد فيه (حدّث الناس وأفتهم ولا تخافن إلا الله ، وانشر علوم أهل بيتك وصدق آبائك الصالحين ، فإنك في حرز وأمان) ، ففعل ثم دفعه إلى موسى . . . » ، وهكذا إلى المهدي (١) .

وكل إمام من هؤلاء الأئمة وصيُّ أسلفه الذي هيئته بأقراره الصريح ، موافقاً للترتيب الإلهي الذي سبق أن كتبه الله وقضى به ، ونفّذ الرسول كتقليد إلهي لمنصب الحكم وولاية أمور الأمة ، كما لاحظ ذلك بحق سيد الباحثين العلامة الطيب الذكر جولدزيهر Goldziher (٢) .

وأبحاث الشيعة المعقدة في الإمامة ، ونظرتهم القدسية إلى الإمام ، تلقى أضواء وهاجة قوية على تاريخ دولهم ؛ فنستطيع أن نعلل بها خضوع الناس واستكانتهم لحكامهم المقدسين الإلهيين ، مهما كانوا ظالمين جائرين ؛ إذ كل ما يقومون به من أفعال أو أقوال إنما مردّه إلى الله ، الذي يُجرّبه على أيديهم وأستهم ، فكان حتماً على الجماهير تلقى ذلك بالرضى والقبول . وسنعرض في هذا الصدد أبيات مختارة لشاعر الشيعة الإسماعيلية الفاطمية ، ابن هانيّ الأندلسي تصور أثر هذه العقيدة تصويراً قوياً رائعاً .

(١) الكافي للكاتب ح ١ ص ١٣٣ وما بعدها .

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام (الترجمة العربية) ص ١٧٥ ط القاهرة .

قال ابن هاني من قصيدة يمتدح بها المعز لدين الله أبا تميم معداً :
ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار !!
وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذي كانت تبشّرنا به في كتبها الأحبار والأخبار
هذا إمام المقيمين ومن به قد دُوخ الطغيان والكفار
هذا الذي تُرجى النجاة بحبه وبه يُحط الإصر والأوزار
هذا الذي تجدى شفاعته غداً حقاً وتحمد أن تراه النار

أبناء فاطم هل لنا في حشرنا لجأ سواكم عاصمٌ ومُجار
أتم أحباء الإله وآله خلفاؤه في أرضه الأبرار
أهل النبوة والرسالة والمهدى في البيئات وسادة أظهار
والوحي والتأويل والتحریم وال تحليل لاخلفٌ ولا إنكار
إن قيل من خير البرية لم يكن إلّاكم خلقٌ إليه يُشار
لو تلمسون الصخر لانبجست به وتفجرت وتدفت أنهار

شرفت بك الآفاق وانقسمت بك !! أرزاق والآجال والأعمار !
جلت صفاتك أن تُحدِّد بقول ما يصنع المصداق والمكثار
واللهُ خصك بالقرآن وفضله واخجالتى ما تبلغ الأشعار !^(١)

ويقول في المعز أيضاً :

وما سار في الأرض العريضة ذكره ولكنّه في مسلك الشمس سالك
وما كنهه هذا النور نور جبينه ولكن نور الله فيه مشارك !!^(٢)

(١) ديوان ابن هاني ص ٦٢ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٩١ .

وفيه أيضاً يقول ابن هاني:

هو علة الدنيا ومن خلقت له
ليست سماء الله ما ترونها
أما كواكبها له فخواضع
هذا أمين الله بين عباده
نزلت ملائكة السماء بنصره
والدهر والأيام في تصرفها
والعلم ما كانت الأشياء
ولكن أرضاً تحتويه سماء
تُخفي السجود ويظهر الإيماء !
وبلاده إن عدت الأمماء
وأطاعه الإصباح والإمساء !
والناس والخضراء والغباء !^(١)

ويقول:

هذا معدن والخلائق كلها
هذا ضمير النشأة الأولى التي
من أجل هذا قدر المقدر في
وبذا تلقى آدم من ربه
النور أنت وكل نور ظلمة
فارزق عبادك منك فضل شفاعته
لك حمدنا لا أنه لك مفخر
قد قال فيك الله ما أنا قائل
هذا المعز متوجاً والدين
بدأ الإله وغيبها المكنون !
أم الكتاب وكوّن التكوين !
عفواً وفاء ليونس اليقطين !
والفوق أنت وكل قدر دون
واقرب بهم زلفي فأنت مكين !
ما قدرك المنشور والموزون
فكان كل قصيدة تضمين^(٢)

(١) ديوان ابن هانيء ص ٤

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٨

الفصل الثاني

الرجعة :

« الدور » أو عودة الأشياء بعينها إلى الوجود في آماذ لا نهائية ، نظرية فلسفية يونانية تُنسب إلى الفيثاغوريين أتباع « فيثاغورس » Pythagore ، حتى ليقول « أوديموس » Eudème تلميذ « أرسطو » Aristote مخاطباً تلاميذه : « إذا صدقنا الفيثاغوريين فسيجيء يوم نجتمع ثانية في هذا المكان ، فنجلسون كما أنتم لتسمعوننا إلى وأنحدث أنا إليكم كما أفعل الآن ^(١) » . وهذا الرأي الفلسفي ليس من قبيل « الرجعة » التي نحن بصدد دراستها في هذا الفصل ؛ إذ الأول فلسفي عام لكل الكائنات في دورات متعاقبة لا نهائية لها ، أما الثاني فمعتقد ديني ساذج مقصور على أناس بأعيانهم في دورة واحدة فقط قبل نهاية هذا العالم ، يعقبها فناء تام شامل للأكوان وانتقال إلى عالم آخر .

فالرجعة التي نحن بصدها هي : عودة الميت أو الخنثى إلى الظهور أو الحياة من جديد في الدور الأخير دور الاحتضار لهذا الكون . ويرجع تفسيرها السيكلوجي إلى وجود زعيم روحي أو سياسي ، ذي شخصية قوية تساعد على فرض تقديره وإجلاله وحبّه في قلوب الأشياء والأتباع ، المجردين عادة من التفكير والإرادة ، فينساق هؤلاء طواعية نحو ضوئه القوي الوهاج ، متهافتين بين أحضانه تهافت الفراش ، مُسلمين له القيادة والأرمة ، مخلصين له الحب الواله ، من أبعاد أعماق القلوب غوراً ، فينسيهم ذلك إنسانيته وخضوعه لسنن الكون ونواميسه ، فلا يفكرون قط في موته كأي إنسان تجرى عليه قوانين الطبيعة ، فإذا قضت عليه هذه القوانين الصارمة بالموت ، وهي لا بدّ قاعلة في غير هواة ولا لين غير عابثة بشيء ، أصابهم

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٢٩ الطبعة الأولى .

الجزع والهلع وأذهلتهم المفاجأة ، فتدور رءوسهم ولا ترى أعينهم ، فيسرع إليهم الشك في موت صاحبهم ، ثم يرفع هذا الشك إلى رتبة اليقين ، ما تسعفهم به أحلام اليقظة من تسليتهم وتهذئة انفصالاتهم وإثلاج صدورهم بغيبة صاحبهم الذي لم يمت ، بل تزيد فتحدد لهم مدة غيبته عنهم ، وتكون بادئ الأمر قصيرة كل القصر ، لتمتلي حياتهم أملاً خالصاً بعودته ورجوعه ، ولكن الغيبة تطول بل وتسرف في الطول ، ولا يرى الأتباع لعودة صاحبهم ظلاً ولا يلمسون لرجوعه عيناً ولا أثراً ، ولكن الحيلة لا تعوزهم فيحتملون ويلجأون إلى التأويل في مدة الغيبة ، فالיום ليس كأيامنا والعام ليس كأعوامنا ، وإن لهم في القرآن القائل : « إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » لئلاً يمتدئ ، فتستقر قلوبهم بعد اضطراب وتهداً نفوسهم بعد قلق ، وينقلب الأمل في عودة صاحبهم إلى عقيدة راسخة ذات أصول وجذور ، يورثها الأجداد للأحفاد ، ويأخذها الأخلاف عن الأسلاف .

وإنا لنكاد نطبق شيئاً من هذا التفسير السيكولوجي للرجعة على موقف عمر ابن الخطاب من موت الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ فقد ذهل الناس واشتد بهم الهلع حتى فقد البعض صوابه ، وكأنهم كانوا لفرط ولهمم به وحبهم له لا يتوقعون له موتاً ، وقد أنستهم الفاجعة كل ماورد في القرآن مؤكداً موت النبي كسائر البشر كقوله : « إنك ميت وإنهم ميتون » ، « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم على أعقابكم » ، « أفإن مت فهم الخالدون » .

حدثنا اليعقوبى — المتوفى بعد عام ٢٩٢ هـ — في تاريخه ، وهو من أقدم مصادر التاريخ الإسلامى على تشييع فيه ، فقال :

« ولما توفى صلى الله عليه وسلم قال الناس ما كنا نظن أن رسول الله يموت حتى يظهر على الأرض ، وخرج عمر فقال : والله ما مات رسول الله ولا يموت وإنما تغيب كما غاب موسى بن عمران أربعين ليلة ثم يعود ، والله ليقطعن أيدي قوم وأرجلهم ! . وقال أبو بكر بل قد نعاه الله إلينا فقال (إنك ميت وإنهم ميتون)

فقال عمر : والله لكأنى ما قرأتها قط ! ثم قال : لعمرى لقد أيقنتُ أنك ميت ،
ولكنما أبدى الذى قلته الجزع^(١) ! »

فعمر رضوان الله عليه محب للرسول عليه السلام ، ولكنه يوقن مع هذا الحب
بموتة صلوات الله عليه ككل كائن حى ، فلما واجهته الكارثة أذهلته حتى لقد

(١) أنظر اليعقوبى > ٢ ص ٩٥ ط النجف ، وفي رواية أخرى أن الآية الكريمة التى نطق بها
أبو بكر فى هذا الظرف هى قوله تعالى « وما محمد إلا رسول . . . الآية » فى الطبرى :
« لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجلاً من المنافقين
يزعمون أن رسول الله توفى ، وإن رسول الله — والله — ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه
كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجع
رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات ، قال : وأقبل أبو بكر حتى
نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسول الله مسجى فى ناحية البيت عليه برد حيرة ؛ فأقبل
حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبله ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله
عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبداً ، ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج — وعمر يكلم
الناس — فقال : على رسلك يا عمر فأنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت ،
أقبل على الناس — فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر — فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ،
ثم تلا هذه الآية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » إلى آخر الآية . قال فوالله لكأن
الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تلاها أبو بكر
يومئذ ، قال وأخذها الناس عن أبى بكر فإنما هى فى أفواههم ، قال أبو هريرة ، قال عمر : والله
ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فقمرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى وعرفت أن
رسول الله قد مات » الطبرى > ٣ ص ١٩٧ وما بعدها ط الحسينية ، وأنظر أيضاً ابن الأثير > ٢
ص ١٢٣ ط الحلبي ، وانظر كذلك صحيح البخارى > ٦ ص ١٤ ط بولاق .

أما ابن أبى الحديد فيجمع بين الروايتين إذ يقول : « روى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله
صلى الله عليه وآله لما توفى ، كان أبو بكر فى منزله بالنسج ، فقام عمر بن الخطاب فقال : ما مات
رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يموت ، حتى يظهر دينه على الدين كله ، وليرجعن فليقطعن
أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته ؛ لا أسمع رجلاً يقول مات رسول الله صلى الله عليه وآله
إلا ضربته بسيفي ، فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : بأبى وأمى
طبت حياً وميتاً ، والله لا يذيقك الله الموتين أبداً ، ثم خرج — والناس حول عمر وهو يقول لهم
لأنه لم يموت ويحلف — فقال له أيها الخائف على رسلك ، ثم قال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد
مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ؛ قال الله تعالى (إنك ميت ولأنهم ميتون) وقال
(أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) قال عمر : فوالله ما ملكت نفسى حيث سمعتها أن تسقط إلى
الأرض وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد مات » أنظر شرح النهج مجلد ١ ص ١٢٨ .

أنسته آية من الذكر الحكيم ما كان مثله أن ينسأها لولا هول المصاب ، وأجأته حالته النفسية الجياشة الثائرة إلى أن يقول بغيبة الرسول وعودته ويقسم على ذلك أحنث القسم ، ولكن سرعان ما قام أبو بكر الذى كان يبدو فى هذا الظرف العصيب - رغم شيخوخته - أملك لأعصابه وأحضر لذهنه وأجمع لعقله ، فأرجع عمر إلى صوابه ورشده .

يهودية « الرجعة » وتسمبرها إلى السبعة :

الرجعة فى جملتها معتقد يهودى ؛ حدثنا الشهرستانى أن اليهود اتخذوا من قصة « عزيز » - حيث أماته الله مائة عام ثم بعثه - مبرراً لفقول بها ، كما رأوا ذلك فى موت هارون ، قال الشهرستانى :

« وأما جواز الرجعة فإنما وقع لهم من أمرين ، أحدهما حديث عزيز إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثانى حديث هارون عليه السلام إذ مات فى التيه وقد نسبوا موسى إلى قتله ، قالوا حسده لأن اليهود كانت إليه أميل منهم إلى موسى ، واختلقوا فى حال موته ، فمنهم من قال : مات وسيرجع ، ومنهم من قال : غاب وسيرجع^(١) . وقد دخل هذا المعتقد البيئى الإسلامية على يد عبد الله بن سبأ ، اليهودى اليمنى المتمسك المعروف بابن السوداء ، الذى يرجع إليه الكثير من الأفكار والمذاهب الغربية عن الإسلام ، كما أنه أول من قال بها فى المجتمع الإسلامى ؛ إذ زعمها بادية الأمر فى الرسول عليه السلام حيث يقول :

« لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع^(٢) ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله عز وجل (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) محمد أحق بالرجوع من عيسى^(٣) » .

(١) أنظر الملل والنحل - ٢ ص ٥١ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) رجعة عيسى فى الإسلام أمر مستحى .

(٣) أنظر الطبرى - ٥ ص ٩٨ ط الحسينية .

ثم نجدده قد تحول فقالمها في علي بن أبي طالب ، الذي اختاره ليكون قطباً
لرحى أفكاره ، تدور حواليه كل ما يدور برأسه من آراء ومعتقدات .
وإذا تركنا القرن الأول الهجري ، وجدنا في أوائل المائة الثانية أحد وضاعى
الحديث المعروفين وهو جابر بن يزيد الجعفي^(١) الكوفي ، يردد نداء ابن السوداء
ويقول برجة عليّ وقد رأى في قوله تعالى « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم
دابة من الأرض تكلمهم » مستنداً لأقواله ، مدعيّاً أن الآية تشير إلى الرجعة ،
زاعماً أن الدابة هنا هي علي بن أبي طالب^(٢) . . . !

وقد حدثنا ابن قتيبة حديثاً في هذا الصدد لا يخلو من طرافة حيث يقول :
« بلغني عن أبي عاصم عن إسماعيل بن مسلم المسكي قال : كنت بالكوفة فإذا
قوم من جبراني يكثرون الدخول على رجل فقلت : من هذا الذي تدخلون عليه ؟
فقالوا : هذا علي بن أبي طالب ، فقلت أدخلوني معكم ، فضيت معهم وخبأت معي
سوطاً تحت ثيابي ... ، فدخلت فإذا شيخ أصلع بطين^(٣) ، فقلت له : أنت عليّ
ابن أبي طالب ؟ ! فأوماً برأسه ، أى : نعم ، فأخرجت السوط فما زلت أقنعه
وهو يقول : لتاوى لتاوى ... فقلت لهم : يافسقة ، علي بن أبي طالب نبطى ... ! »

(١) توفي عام ١٢٨ هـ وقد قال فيه أبوحنيفة : « ما رأيت أكذب منه » . انظر الألويسي ص ٦٠

(٢) ويزعم جابر أن رجلاً قال لعمار بن ياسر : « يا أبا اليقظان ، آية في كتاب الله تعالى أفسدت
قلبي ، قال عمار : وآية آية هي ؟ فقال : قوله تعالى « وإذا وقع القول عليهم ... » الآية ، فأية
دابة هذه ؟ قال عمار : والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أرى فيها . فجاء عمار مع الرجل
إلى أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ، وهو يأكل تمرأ وزبداً ، فقال يا أبا اليقظان هلم ،
فجلس عمار يأكل معه ، فتمجج الرجل منه ، فلما قام عمار ، قال الرجل : سبحان الله حلفت أنك
لا تجلس ولا تأكل ولا تشرب حتى ترى فيها ! قال عمار : قد أرى فيها إن كنت تعقل ... !! »
انظر الألويسي ص ٦٠ ط بولاق .

وأكبر الظن أن لتعاليم ابن السوداء ضلعاً في ذلك ، حتى ليرمى على بهذا الإفك حال حياته ؟
روى الألويسي : « قيل لعلي كرم الله وجهه إن ناساً يزعمون أنك دابة الأرض ، فقال : والله
إن لدابة الأرض لريشاً وزغباً وما لي ريش ولا زغب ، وإن لها لحافراً وما لي من حافر ... » الخ
انظر المصدر السابق .

(٣) كان على أصلع بطيناً .

ثم قالت له : ويلك ما قصتكم ؟ فقال : جعلت فداك ، أنا رجل من أهل السواد ، أخذني هؤلاء فقالوا : أنت على بن أبي طالب ^(١) !... »

ولقد دانت الشيعة بهذا المعتقد ، معتقد الرجعة ، الذي وجد في تربتها أرضاً خصبة صالحة للنمو والازدهار ، وذلك يرجع إلى ماسبق أن قدمناه لك من نظرهم القدسية إلى أمتهم ؛ قال أبو جعفر الكليني في تفسير قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) « إمام يخنس ^(٢) في زمانه ثم يبدو كالشهاب الواقد في ظلمة الليل ^(٣) » . وتسوق الشيعة قوله تعالى (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) في مقام الاحتجاج على صحة ما ذهب إليه ، كما تردد ما قاله اليهود من قبل في هذا الصدد ، وقد رأت في إحياء عيسى للموتى دليلاً على وقوع الرجعة التي يدينون بها .

ومن الشيعة من يدين بعودة أناس ليسوا من أمتهم ، وذلك لتعذيبهم والتنكيل بهم فقط من قبل الإمام ، جزاءً وفاقاً لما قدموا في حياتهم الأولى من ظلم وغصب لآل البيت ؛ فالشريف المرتضى يقول برجعة أبي بكر وعمر في آخر الزمان عند ظهور المهدي وأنها سيصلبان على شجرة ^(٤) ... ويجوز في عودة هؤلاء الأعداء بنوع خاص ، أن تكون في غير صورهم الإنسانية زيادة في النكال بهم ، فاضطر المتشيعون إلى القول بالتناسخ ، حتى ليأخذ أحدهم — فيما يقول ابن حزم — البقل أو الحمار فيمذبه ويضربه ويعطشه ويحججه ، على أن روح أبي بكر أو عمر قد حلت فيه ^(٥) !... !

ومن طريف ما حدثنا به الأغاني في هذا الصدد أن رجلاً قال للسيد ^(٦) الحميري :

(١) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ طبع الدار .

(٢) أى يخفى .

(٣) السكافي ج ١ ص ١٤٩

(٤) ضحى الإسلام لأحمد أمين ج ٣ ص ٢٤٦

(٥) أنظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٢ طبع مطبعة التمدن .

(٦) شاعر الشيعة الكيسانية ، توفي ببغداد عام ١٧٩ هـ .

« بلغنى أنك تقول بالرجمة فقال السيد : صدق الذى أخبرك وهذا دينى . قال : أفتعطينى ديناراً بمائة دينار إلى الرجمة ؟ قال السيد : نعم وأكث من ذلك إن وثقت لى بأنك ترجع إنساناً ... قال : وأى شىء أرجع ؟ ! قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالى^(١) » .

والشيعة الإمامية الإثنا عشرية يسألون الله فى دعوات حارة أن يرجمهم بعد موتهم إلى هذه الدنيا ، ليكونوا فى جيش المهدي محمد بن الحسن العسكري وبصحبته ، كما سنحدثك عن ذلك فيما بعد .

يقول العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« والرجمة إحدى العناصر الجوهرية فى نظرية الإمامة عند كافة فروع الشيعة^(٢) » ويقول : « وفكرة الرجمة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم التى اختلفوا بها ، ويحتمل أن تكون قد تسربت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية^(٣) » . ويقول أيضاً « والاعتقاد بالإمام الخفى يسود كافة فروع الشيعة ، ويعتقد كل فرع منها بخلوده وعودته إلى الظهور فى المستقبل مهدياً^(٤) » .

وفى ختام حديثنا عن الرجمة نعرض هنا أبيات فيها رائعة لشاعر الشيعة الكيسانية السيد الحميرى (المتوفى عام ١٧٩ هـ) قال^(٥) :

إذا ما المرء شاب له قَدَالٌ^(٦) وعَلَّه المواشط بالخضاب
فقد ذهب بشاشته وأودى فقم بأبيك فابك على الشباب
فليس بعائد ما فات منه إلى أحد إلى يوم المآب

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٤٢ طبع الدار .

(٢) العقيدة والشريعة فى الإسلام (الترجمة العربية) ص ١٩١

(٣) المصدر السابق ص ١٩٢

(٤) المصدر نفسه ص ١٩١

(٥) أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٤٠٧ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

وانظر كذلك مقدمة ابن خلدون ص ٩٧ طبع بولاق ١٢٧٤ هـ .

(٦) القدال : جماع مؤخر الرأس .

إلى يوم يؤوب الناس فيه إلى دنيأهم قبل الحساب
أدين بأن ذاك كذاك حقاً وما أنا في النشور بذي ارتياب
لأن الله خبر عن رجال حيوا من بعد دس في التراب
وقال^(١) يرثي أخاه معتقداً رجعتة :

يا ابن أمي فدتك نفسي ومالي كنت ركني ومفرعي وجمالي
ولعمري لئن تركتك ميتاً رهن رمسٍ ضحكٍ عليك مهال
لوشيكاً ألقاك حياً صحيحاً سامعاً مبصراً على خير حال
قد بُعثتم من القبور فأبتم بعد ما رمّت العظام البوالى
أو كسبعين وافداً مع موسى عاينوا هائلاً من الأهوال
حين راموا من خبثهم رؤية الله وأنى برؤية المتعالى
فرمام بصعقة أحرقتمهم ثم أحيأهم شديد المِحال

عقبة « المخلص » في الشرق القديم وأثرها في معتقد المهريّة :

لقد ابتليت الشعوب الشرقية القديمة بحكومات الاستبداد المطلقة ، فرسخت تحت نيرها الثقيل قروناً متطاولة وأحقاباً متمطية بأصلاها ، تسودها ظلمات الجهل وبداعة الفكر ، كان الناس فيها مقرّنين في أصفاد من الانحطاط الفكرى ومن ظلم الحاكمين بأمرهم ، الذين كانوا يفترضونهم كالأنعام ، ويسومونهم شتى صنوف الذل والخسف والحрман ، ويسوقونهم — بالعدوان — إلى حيث يرغبون ، كقطعيع من الأغنام لا تدرى أين المساق ؟ فعصا الراعى تدفعهم بعنف تارة إلى المزرعة وأخرى إلى المجزرة ! ، وقد وطّد لهؤلاء الحاكمين العاشمين ، ما ابتدعوه من حقوق إلهية مقدسة ، لاقت رواجاً وقبولاً لدى الجماهير ، الذين ظنوا — واهمين — أن بين

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٧

سادتهم وبين السماء نسباً وصهرأ ، فزاد ذلك في رضوخهم وفناء ذاتياتهم ،
الذى قوبل من جهة السادة بالإمعان في الخسف والتنكيل ، والإسراف في
الاضطهاد والتقتيل .

غير أن الشعوب الشرقية قد بدأت تشعر بالظلم وتحس بألمه ، فاستيقظت بعد
نوم ، وصحت بعد سكرة ، ولكن الناس يقومون من نومهم حيارى ، ويفتحون
عيونهم بعد طول إنغاض ، فيرون أهوالاً تشيب الولدان وخطوباً لا تطيقها الجلاميد
الضَّمُّ ، فرجعوا إلى أنفسهم ، فما آنسوا فيها القوة على الخروج والثورة على حكاهم
وسادتهم ، فأثروا الهرب من الواقع المرير ، حيث وجدوا في الخيال الجميل متنفساً
بثوا فيه نجوام وشكاهم ، بزفرات حارة ملتببة وأنفاس حبيسة مكبوتة ، وقد
أوحى إليهم هذه الأحلام الجميلة بالخلاص من هذا الجحيم في المستقبل القريب
أو البعيد ، على يد « المنقذ » مبعوث العناية الإلهية ، وإن لهم في ذلك لعزاء وسلوى .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الروح الشرقية العامة — كما لاحظ ذلك بحق
العلامة « فان فلوطن » Van Vloten — تصبو دائماً إلى كل ماله علاقة بالتنبؤ
وكشف حجب الغيب عن المستقبل المجهول^(١) . فعقيدة « المحاص » أو « المنقذ »
الموآمة للطبيعة الشرقية والناجمة عن ظلمات الجهل والاستبداد ، نجدها ذائعة أيما
ذبوع بين جميع الشعوب الشرقية القديمة ؛ فسيحيو الأحباش ينتظرون عودة مايمكهم
« تيودور » كهدى في آخر الزمان ، كما يؤمن كثير من المسيحيين برجعة المسيح
لإنقاذ العالم من ظلم الإنسان وفتسكه بأخيه الإنسان ، ويعتقد المغول أن « تيموچين »
(چنكيزخان) — الذى تقدم على ضريحه القرايين — كان قد وعد قبل موته
بعودته إلى الدنيا بعد تسعة قرون لتخليص قومه من نير الحكم الصينى . ولا يعسر
على الباحثين الاهتداء إلى بذور هذا المعتقد بين قدامى المصريين ، وفي القديم من
كتب الصينيين ، وعند الفارسيين ، وكذلك في تناسخ « براهما » إحدى عقائد

(١) السيادة العربية والشيمة والإسرائيليات في عهد بنى أمية (الترجمة العربية) ص ١٠٧

«الهنود، الذين ينتظرون هم الآخرون عودة « فشنو » إلى الوجود»^(١)
ولقد كانت عقيدة « المخلص » هذه - أكبر الظن - من أهم العوامل التي
خلقت عقيدة « المهدي » في المجتمع الإسلامي، فحيكت هذه على غرار تلك،
أما حاكمتها فهم الشيعة على يد ابن السوداء، اليهودي المتمسلم الغالي في
تشيعه الموهوم.

والمهدية من الحركات الثورية الهدامة في التاريخ الإسلامي، شغلت صحائفه
قروناً عديدة بما أوحى من فتن واضطرابات، وبما أقامت من حكومات وأسقطت
من أخرى، وبما أفسدت من عقول ساذجة، خدعها بريق الفكرة ولونها الديني
فأجابت - دون وعي - كل ناعق وناعب، وانسقت - يلبها الشعور والعاطفة -
وراء كل نائر وداعية، منذ فجر التاريخ الإسلامي حتى القرن المنصرم، فاعجب
الأسطورة تسلب الناس إرادتهم ثم تخلق تاريخاً. وتاريخ كل أمة مرآتها، وهو
رهين بنصيبها من التعليم وحظها من الحضارة.

(١) أنظر « جولديهر » Goldziher العقيدة والشريعة في الإسلام (الترجمة العربية)

الفصل الثالث

المهدية في الإسلام

لقد آن لنا بعد أن درسنا « الإمامة » في الإسلام ، وتحديثنا عن « الرجعة » ، وعقيدة « المخلص » في الشرق القديم ، أن نلج موضوع البحث وهو « المهدية » ، وننتقل إليه بأدواتنا في الدرس . ولا يسع الباحث إزاء هذا المعتقد إلا أن يبتدىء بمادة اللغة نفسها كخطوة أولى من خطوات بحثه العلمي المنظم .

لفظة « المهدي » :

نبدأ بلغة الضاد نسائلها — مستهدين — لنعرف ما لهذا المبنى عندها من معنى ؟
قالت اللغة : « المهدي » اسم مفعول من هدى ؛ هداه الله إلى الإيمان هدىً ، وهديته الطريق وإلى الطريق أهديه هداية ، والمهدي : ضد الضلال وهو الرشاد . ونحن لا نشك في عراقة هذه الكلمة في اللغة العربية ، فهي جاهلية التاريخ مولدًا ونشأة ، وليست من مستحدثات الإسلام ؛ فالهداية إلى الخير ، وإلى الطريق نجدها — دون ريب — في العصر الجاهلي^(١) ، وجاء الإسلام فزاد في معانيها الهداية إلى

(١) كان يعيش في شبه الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام أقوام هم جيل من العرب ، لهم حياتهم الخاصة ومعاييرهم الأخلاقية ومثلهم العليا ، بما فيها من سمو وكمال أو تقصير وإسفاف ، ولست أجدني مبالغاً إذا قلت إن هذه الحياة قد جاءتنا منقوصة بعض الشيء على أسنة الرواة والمؤرخين ، لسبقها للتاريخ العربي من جهة ، وللعمل من جهة أخرى على الخط منها وتشويهها إزاء البصر الإسلامي الذي اكتسحها وأعقبها وغير الكثير من عرفها .

والحق أن القرآن وهو ذلك المصدر الهام لدراسة العصر الجاهلي ، قد حدثنا عن الكثير من معاب هذا العصر وآثامه ، ولكن الباحث لا يستطيع مع ذلك أن يطبع أهل الجاهلية قاطبة بطابع الإثم والردية ، وما نظن أن عصرًا من العصور وسَم جميع أفرادها بميسم الخير أو الشر ، وتاريخ الآداب العربية يحدثنا عن فضائل كثيرة لهؤلاء الناس الذين كانوا يضربون في صحراء شبه جزيرة العرب ويضربون بها في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد ، وهو ذلك العصر المعنى دائماً بلقب « الجاهلية » ذلك اللقب الإسلامي الذي لم يكن في أكبر الظن مشتقاً من الجهل بمعنى عدم =

الإيمان فأسبغ عليها ثوباً دينياً ، زادها على الألسن انتشاراً ودوراناً ، وفي العربية نمواً وبقاءً ، وإن كنا لا نعثر على لفظة « المهدي » هذه في القرآن الكريم الذي خلا منها خلواً تاماً . وهذه اللفظة بمعناها اللغوي المتقدم ، وُصف بها الرسول صلوات الله عليه في أشعار لحسان بن ثابت يرثيه بها فيقول^(١) :

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على « المهدي » أصبح ثاوياً يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهدي
كما امتدحه الفرزدق أيضاً بهذا اللقب في قوله^(٢) :

بقوم أبو العاصي أبوم توارثوا خلافة « مهدي » وخير الخواتم
وقد وُصف بهذه الكلمة الخلفاء الأربع ؛ جاء في الحديث : « عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » .

وفي العصر الأموي نجد رعيلاً من الشعراء يقدقون هذا اللقب على كثير من
خلفاء بني أمية وأمرائهم ؛ ففي سليمان بن عبد الملك يقول نهار بن توسعة^(٣) :

له راية بالفرس سوداء لم تزل تُفَضُّ بها للمشركين جموع
على طاعة « المهدي » لم يبق غيرها فأبنا وأمر المسلمين جميع
وفي سليمان هذا يقول الفرزدق^(٤) :

==المعرفة ، وإنما هو ضد للحلم ، ويؤيده قول النبي لأبي ذر : « إنك امرؤ فيك جاهلية » ، وقد ارتأى هذا الرأي كثير من الباحثين وعلى رأسهم العلامة « جولديزهر » Goldziher محققين بقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهم أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
والباحث يشك بحق فيما رواه لنا الراوون عن حياة العرب قبل الإسلام ، ويأسف لما كان يقوم به بعض الرواة من انتحال للأشعار وافتعال للأخبار واصطناع للرواية كادت تضيع معه معالم الحقيقة .

- (١) ديوان حسان ص ٩٧ نشر البرقوق بالقاهرة عام ١٩٢٩ .
- (٢) أنظر « جولديزهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » الترجمة العربية ص ٣٤١
- (٣) « جولديزهر » Goldziher « دائرة المعارف الإسلامية » مادة « مهدي » .
- (٤) « جولديزهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » الترجمة العربية ص ٣٤١

وأقيمت من كفيك جبل جماعة وطاعة « مهدي » شديد النقام
وفيه أيضاً يقول جرير^(١) :

سليمان المبارك قد علمتم هو « المهدي » قد وضع السبيل
وقد أطلقه جرير على النبي إبراهيم عليه السلام في قوله في النقائض^(٢) :

أبونا أبو إسحق يجمع بيننا أبٌ كان « مهدياً » نبياً مطهراً
كما أطلقه أيضاً على الخليفة الأموي هشام حيث يقول^(٣) :

فقلت لها الخليفة غير شك هو « المهدي » والحكم الرشيد
والطبري يحدثننا أن سليمان بن صرد الآخذ بنار الحسين قد دعا له بعد موته
بقوله : « اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد المهدي ابن المهدي^(٤) » .

ويلاحظ بحق العلامة « جولدزيهر » Goldziher ، أن المسلمين المعاصرين
يطلقون اسم « المهدي » على من يدخل في الإسلام من أهل الديانات الأخرى ؛
قال الباحث الإسلامي الكبير : « وقد تولى مشيخة الأزهر شيخان في اسميهما
لقب المهدي ، الذي لا يخرج في معناه عن مدلوله الحديث ، وهما الشيخ محمد المهدي
الحنفي — وكان في الأصل قبلياً اسمه « هبة الله » — وتولى المشيخة من سنة ١٨١٢
إلى ١٨١٥ ، والثاني الشيخ محمد العباسي المهدي ، وقد تولى مشيخة الأزهر
من سنة ١٨٧٠ إلى ١٨٩٠^(٥) » .

هذا هو المعنى اللغوي ، وهو كما تراه بسيط ساذج ، ثم أخذ يتطور ويتحور
حتى طلع علينا بشيء آخر جديد ، ليس في سهولة الأول ، بل فيه كل التركيب
والتعقيد ، إذ هو يقول : المهدي « إمام منتظر يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٣٤١

(٢) المصدر نفسه .

(٣) نفس المصدر .

(٤) أنظر الطبري ج ٧ ص ٧٠ ط الحسينية .

(٥) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٢

قال ابن الأثير في (النهاية) ونقله ابن منظور في (اللسان) : « المهدي الذي قد هداه الله إلى الحق ، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة ، وبه سُمي «المهدي» الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجيء في آخر الزمان^(١) » .
وقد امتدح سبط ابن التعاويذي الخليفة العباسي الناصر لدين الله ولقبه بالمهدي ، وقد غالى في مدحه وتمجيده حتى رأى في خلافته ما يفى عن انتظار مهدي في آخر الزمان ، فقال^(٢) :

أنت الإمام «المهدي» ليس لنا إمام حق سواك يُنتظر
تبدو لأبصارنا خلافاً لأن يُرغم أن الإمام منتظر
ودراسة هذا المعنى الجديد هو دراسة المهديّة وتاريخها .

الشيعة وعوامل الفكرة عندهم :

كانت الشيعة أسبق الفرق الإسلامية إلى التعلق بهذه الأسطورة ، التي ترتكز في وجودها على عاملين : خارجي يهودي ؛ فالنبي إيلياء أو إلياس الذي رفع إلى السماء ، والذي لا بد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحق ، هو تماماً النموذج الأول للأئمة الختفين ، ويظهر هذا العامل اليهودي واضحاً في قول الشاعر الكيسانى كثير عزة في ابن الحنفية^(٣) :

هو المهدي خبرناه كعب أخو الأبحار في الحقب الخوالي
وقد ندّد العلامة ابن حزم الظاهري الأندلسي بالقائلين بمهدية عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب ، وأنه حي يُرزق بجبال أصفهان ، ولا بد من ظهوره ثم عقب فقال :

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٢٤٤ ط المطبعة العثمانية سنة ١٣١١ هـ
(٢) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ١٥٨ نشر « مرجليوث » Margoliouth بالقاهرة سنة ١٩٠٣
(٣) شرح ديوان كثير ج ١ ص ٢٧٥ ط الجزائر سنة ١٩٢٨ .

« وعبد الله هذا هو القائم بفارس أيام مروان بن محمد ، وقتله أبو مسلم بعد أن سجنه دهرأ ، وكان عبد الله هذا ردي الدين معطلاً مستصحباً للدهرية .

« قال أبو محمد (هو ابن حزم) فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بأن ملك صيدق بن عامر بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، والعبد الذي وجهه إبراهيم عليه السلام ليخطب ريقا بنت بنوأل بن ناخور بن تارخ ، على إسحاق ابنه عليه السلام ، وإلياس عليه السلام ، وفتحاس بن العاذار بن هارون عليه السلام ، أحياء إلى اليوم ، وسلك هذا السبيل بعض نوكي الصوفية ، فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيّان إلى اليوم^(١) . »

وكان من أثر اليهودية في المسيحية ، أن قال المسيحيون برجة عيسى كمهدى في آخر الزمان ، ثم غزت المسيحية السوق الإسلامية ببضاعتها هذه ؛ فقال بها الإسلاميون .

وقد دخل هذا العامل اليهودي البيئة الإسلامية على يد عبد الله بن سبأ الذي يحدثنا عنه النوبختي في كتابه « فرق الشيعة » أنه كان يقول هذه المقالة في يوشع ابن نون أيام يهوديته .

أما العامل الثاني في خلق هذا المعتقد في البيئة الإسلامية ، فهو إسلامي — منتزع من بيئة الإسلام — إذ عندما أفلت زمام الأمر من يد الشيعة ، وأدال الأمويون دولتهم ، وانهارت آمالهم في الخلافة وشالت نعماتهم ، حرصوا على استغلال روح الجماهير الفطرية الساذجة الحجة لآل البيت ، وبتوا فيها هذا المعتقد ، كي لا يفقد الناس آمالهم في البيت العلوي ، ولا يعدم الخارج من هذا البيت أنصاراً تؤيده بقوة السيف وتعاونه على تحقيق أغراضه ومطامعه .

وقد ساعدت المظالم والفظائع التي أوقعها بنو أمية بالعلويين على تمسك الجمهور بهذا المعتقد ، حتى يقول الكمي^(٢) بن زيد الأسدي المتوفى عام ١٢٦ هـ :

(١) أنظر « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ج ٤ ص ١٨٠ ط مطبعة التمدن .

(٢) الهاشميات ص ٦٩ وما بعدها نشر الرافعي بالقاهرة .

فتلك ملوكُ السوءِ قد طال ملكهم
فيارب هل إلّا بك النصر يُرتجى
فختام حَتّام العناء المطوّل
عليهم وهل إلّا عليك المعوّل
ويقول (١) :

فقل لبنى أمية حيث حلّوا
وإن خفتُ المهند والقطيعا (٢)
ألا أفٍ لدهرٍ كنتُ فيه
هداناً طائهاً لكم مطيعا
أجاج الله من أشبعتموه
وأشبع من مجوركم أجيها
ولا يغيب عن بالنا أن الكميت معتدل في تشيعه ، ألا تراه يقول (٣) :

أهوى عليّاً أمير المؤمنين ولا
ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وإن لم يعطيا فدكاً
بنتَ النبي ولا ميراثه كفرنا
الله يعلم ماذا يأتيان به
يوم القيامة من عذرٍ إذا اعتذرا
فإذا كان شعر الكميت يعبر بقوة عن مبلغ سخط المعتدلين من الشيعة ،
فُترى كيف كان شعور غلاتهم نحو مظالم بنى أمية ؟

يقول ابن أبي الحديد إنهم « حاربوا عليّاً ، وسموا الحسن ، وقتلوا الحسين ،
وحملوا النساء على الأفتاب حواسر ، وكشفوا عن عورة عليّ بن الحسين ، حين
أشكل عليهم بلوغه ، كما يصنع بذراري المشركين إذا دُخلت دورهم عنوة ، وبعث
معاوية بسرّ بن أرطاة إلى اليمن ، فقتل ابني عبيد الله بن العباس ، وهما غلامان
لم يبلغا الحلم ، وقتل عبيدُ الله بن زياد يوم الطّف تسعة من صلب عليّ عليه السلام ،
وسبعة من صلب عقيل ، ولذلك قال ناعيمهم :

عين جودى بعبرة وعويل وانديبي إن ندبت آل الرسول
تسعة كلهم لصلب عليّ قد أصيبوا وسبعة لعقيل
« ثم إن بنى أمية تزعم أن عقيلاً أعان معاوية على عليّ عليه السلام ، فإن

(١) الهاشميات ص ٨٢

(٢) القطيع : السوط .

(٣) الهاشميات ص ٨٣ وما بعدها .

كانوا كاذبين ، فما أولاهم بالكذب ، وإن كانوا صادقين ، فما جازوا عقيلاً بما صنع ، وضرب عنق مسلم بن عقيل صبراً وغدراً بعد الأمان ، وقتلوا معه هاني بن عروة ، لأنه آواه ونصره ، ولذلك قال الشاعر :

فإن كنت لاتدرين ماالموت فانظري إلى هاني في السوق وابن عقيل
تري بطلاً قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى من طمار قتيل
وأكلت هند كبذ حمزة ، فمنهم آكلة الأكباد ، ومنهم كهف النفاق ، ومنهم
من نقر بين ثنيتي الحسين عليه السلام بالقضيب . . . الخ (١) .

وفي شرح النهج أيضاً يقول أبو جعفر محمد بن علي الباقر لبعض أصحابه :

« يا فلان : ما لقمينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا ، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس ؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض ، وقد أخبرنا أنا أولى الناس بالناس ، فمآلت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه ، واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد ، حتى رجعت إلينا ، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كثود حتى قُتل ، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ، ووئب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ، ونهبت عسكره ، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده ، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته ، وهم قليل حق قليل ، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ، ثم غدروا به ، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه ، ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتن ونحرم ونقتل ونخاف ، ولا نأمن على دماننا ودماء أولياننا ، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً ، يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة ، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنها ما لم نقله وما لم نفعله ، ليمغضونا إلى الناس ، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية ، بعد موت الحسن عليه السلام ، فقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الأيدي والأرجل على

(١) أنظر شرح النهج مجلد ٣ ص ٦٨ طبع القاهرة .

الظنة ، وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا ، سُجن أو نُهب ماله ، أو هُدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشد ويزداد ، إلى زمان عبید الله بن زياد ، قاتل الحسين عليه السلام ، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتل ، وأخذهم بكل ظنة وتهمة ، حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر ، أحب إليه من أن يقال شيعة على^(١) «...» ! . وهكذا تصور لنا هذه الوثيقة الخطيرة مقدار ما أصاب العلويين من عسف ومظالم على يد بني أمية ، حتى إن العلوي ليتستر من بطشهم بالزندقة أو الكفر وقد سئل أحد شيوخ الأمويين عن سبب سقوط دولتهم فقال - كما يروي السعودي - : « إننا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمننا ، فظلمنا رعيتنا ، فيئسوا من إنصافنا وتمنوا الراحة منا » .

ولم تسكن دولة بني أمية لعدم الخالصين من رجالها ، الذين كانوا يجذرونها دائماً عواقب سياستها الوخيمة ، التي كانت تسرع بها إلى الانهيار ، فالطبري يروي لنا كيف يتمثل العباس بن الوليد بن عبد الملك بأبيات يحذّر فيها بني أمية من سوء سياستهم ، وينذرهم بعاقبة أمرهم الوبيلة ، ويطلعهم على مقدار سحق الناس على حكومتهم ، فيقول^(٢) :

إلى أعيذكُمُ اللهُ من فتنٍ مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملّت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلجمن ذناب الناس أنفسكم إن الذناب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فتمّ لا حسرة تغني ولا جزع

وأكبر الظن أنه لم يكن لمثل هذه الصيحات المنذرة سبيل إلى قصور بني أمية ، فقد حالت دونها حجب اللهو وأستار العبث ، تلك التي حالت دون صيحات نصر ابن سيار ، حتى أخذ القوم إعصار فيه نار ؛ وهنا يقول العلامة « دونلدسن »

: Doneldson

(١) ابن أبي الحديد مجلد ٣ ص ١٥

(٢) أنظر الطبري ج ٩ ص ٨ طبع الحسينية .

« إن من المحتمل جداً أن الإخفاق الظاهر الذي أصاب المملكة الإسلامية في توطيد أركان العدل والتساوي ، على زمن دولة الأمويين ، كان من الأسباب لظهور فكرة المهدي آخر الزمان ^(١) » .

ويقول العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« على أنه قد تبين أن الاحتكام إلى الله ، أو ترك الأمر لله ، الذي كان يتمثل في اللعنات التي كان يصبها الأتقياء المتذمرون على الأمويين ، كان من الأسلحة التي لا تجدى فتيلاً ، على أنه مهما يكن ، فقد كانوا يرون أن ما أذن الله به أن يكون ، لا يمكن أن يعترض عليه الإنسان ، وإذا فلا يسع المرء إلا أن يضع رجاءه في الله الذي سيحكم يوماً ما العالم المليء بالمظالم والآثام وتلك هي الآمال الصامته التي خرجت منها فكرة المهدي ، التي وقفت بين الواقع والمثل الأعلى ، وبدا على أثرها الاعتقاد الراسخ في ظهور حاكم إلهي يوجهه الله توجيهاً حسناً ^(٢) » .

ولم يكن العباسيون - مع الأسف - أرأف بآل عليّ من سابقهم الأمويين حتى ليقول بحق العلامة « فان فلوطن » Van Vloten :

« ولم يكن جور النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسية بأقلّ من النظام الأموي الخنثل حفزاً للنفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي ، والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره ^(٣) » .
وأبو الفرج يحدثنا فيقول ^(٤) :

« جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العبلي إلى سُوَيْقَةَ ^(٥) ، وهو طريد بني العباس وذلك بعقب أيام بني أمية ، وابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسُوَيْقَةَ ، فاستنشداه عبد الله شيئاً من شعره فأنشداه ، فقال له : أريد أن تنشدني شيئاً مما رثيت به قومك ؛ فأنشداه :

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٣١

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٧٤

(٣) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية « الترجمة العربية » ص ١٣٢ .

(٤) أنظر الأغاني ج ١١ ص ٢٩٨ وما بعدها ط الدار .

(٥) موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي .

تقول أمامة لما رأت نشوزى عن المضجع الأنفس
وقلة نوى على مضجعى لدى هجمة الأعين الفعس
أى ، ما عراك؟ فقلت الهموم م عرون أبك فلا تُبْلِسِي (١)
لفقد العشييرة إذ نالها سهامٌ من الحدث المُبْسِ
فصرعاهمُ في نواحي البلا دُتلقى بأرضٍ ولم تُرْمَسِ
فكم غادروا من بواكى العيو ن مَرَضِي ومن صبئية بُوسِ
إذا ما ذكرتهم لم تتم لحرَّ الهموم ولم تجلسِ
يرجّعن مثل بكاء الجما م في مأتمٍ قَلْبِي المجلسِ
فذاك الذى غالى فاعلمى ولا تسألينى فتستفحسى (٢)
فما أنسَ لا أنسَ قتلاهمُ ولا عاش بعدهمُ مَنْ نَسِي

« قال : فلما أتى عليها ، بكى محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال له عمه الحسن ابن حسن بن على عليهم السلام : أتبكي على بنى أمية ، وأنت تريد بينى العباس ما تريد ؟ ! »

« فقال : والله ياعمُّ لقد كنا نقمنا على بنى أمية ما نقمنا ، فما بنو العباس إلا أقل خوفاً لله منهم ، وإن الحجة على بنى العباس لأوجب منها عليهم ، ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبى جعفر (٣) » .

وفي هذا الصدد يقول الشاعر المتشيع ابن الرومى (على بن العباس) ، من قصيدة (٤) يرثى بها يحيى بن عمر بن الحسين :

أمامك فانظر أياً نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم وأعوج
ألا أيهذا الناس طال ضريركم بآل رسول الله فآخسوا أو ارتجوا

(١) الإبلاب : اليأس والتعير والسكوت من الغم والحزن .

(٢) استنحس فلان الأخبار : تجسسها .

(٣) يقصد الخليفة المنصور .

(٤) أنظر « مقاتل الطالبين » لصاحب الأغاني أبى الفرج الأصفهاني ص ٦٤٦ وما بعدها

طبع الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٤٩

أَكَلَّ أَوَانٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَتِيلٌ زَكِيٌّ بِالدَّمَاءِ مُضْرَجٌ
تَبِيهُونَ فِيهِ الدِّينَ شَرًّا أُمَّةٌ فَلَهُ دِينَ اللَّهِ قَدْ كَادَ يُمْرِجُ^(١)
بَنِي الْمُصْطَفَى كَمْ يَا كُلَّ النَّاسِ شَلُّوكُمْ لَبَلُواكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ مَفْرَجٌ
أَمَّا فِيهِمْ رَاعٍ لِحَقِّ نَبِيِّهِ وَلَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ يَتَحَرَّجُ
لَقَدْ عَمَّهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ كَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ مُمَجَّمَجٌ^(٢)
أَبْعَدَ الْمَكْنَى بِالْحُسَيْنِ شَهِيدِكُمْ تَضَاءَ مَصَابِيحِ السَّمَاءِ فَتُسْرَجُ
أَجْنُوهَا بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ شَنَاةِكُمْ وَشُدُّوا عَلَيَّ مَا فِي الْعِيَابِ وَأَشْرَجُوا^(٣)
وَحَلُّوا وَلَاةَ السُّوءِ مِنْكُمْ وَغِيَّبَهُمْ فَأَحْرَبَهُمْ أَنْ يَغْرُقُوا حَيْثُ لَجَّجُوا
غَرَّرْتُمْ إِذَا صَدَقْتُمْ أَنْ حَالَةً تَدُومُ لَكُمْ وَالدهرُ لَوْنَانُ أُخْرَجَ^(٤)
لَمَلْ لَمْ فِي مَنْطَوِي الْغَيْثِ ثَأْرًا سَيَسْمُولُكُمْ وَالصَّبْحُ فِي اللَّيْلِ مَوْلَجٌ
فَيَدْرِكُ ثَأْرَ اللَّهِ أَنْصَارَ دِينِهِ وَلِلَّهِ أَوْسٌ آخَرُونَ وَخَزْرَجٌ
أَيُّ الْحَقِّ أَنْ يُمَسَّوْا خَمَاصًا وَأَنْتُمْ يَكَادُ أَحْوَكُمْ بَطْنَةٌ يَتَمَجُّجُ
تَمْشُونَ مَخْتَالِينَ فِي حَجْرَاتِكُمْ نَقَالَ الْخَطَا أَوْ كَفَالِكُمْ تَتَحَرَّجُ
وَلِيَدُهُمْ بَادِي الطَّوِيِّ وَوَلِيدِكُمْ مِنْ الرَّيْفِ رِيَّانُ الْعِظَامِ خَدَّاجٌ^(٥)
وَلَمْ تَقْنَعُوا حَتَّى اسْتَنْتَرْتُمْ قُبُورَهُمْ كَلَابِكُمْ مِنْهَا بِيَهُمْ وَدَبَّرَجٌ^(٦)
وَفِي هَذَا الصَّدَدِ أَيْضًا يَقُولُ أَبُو عَطَاءٍ أَفْلَحَ^(٧) بَنُ يَسَارِ السَّنْدِيِّ مَتَحَسِّرًا مَلْتَمَاعًا:
يَا لَيْتَ جُورِ بَنِي مَرْوَانَ عَادَ لَنَا يَا لَيْتَ عَدْلِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي النَّارِ

(١) يفسد ويضطرب ، ويريد بشر الأئمة : خلفاء بني العباس

(٢) أي غير مبين .

(٣) العياب ، جمع عيبة ، وهي . ما يجعل فيها المتاع ، والإشراج : شد الحريطة .

(٤) أي ذو لونين أسود وأبيض .

(٥) المتلئئ الذراعين والساقين .

(٦) البهيم : الأسود ، والدبجج : ما له لون بين لوتين غير خالص لأحدهما .

(٧) من مخضرمي الدولتين ومن موالى بني أسد ، وأحد شعراء القرن الثاني الهجري ، وقد توفي بعد الثمانين والمائة ، راجع إن شئت ترجمته في الأغاني ، وفي فوات الوفيات لابن سناكر السكتي ، وفي دائرة المعارف الإسلامية ، وفي نزهة الخواطر لابن نضر الدين الحسني ط حيدر آباد .

ويقول الشاعر العلوي النائر الهجاء ، دعبل بن علي الخزاعي المتوفى عام ٢٤٦ هـ :
وليس حتى من الأحياء نعلمه من ذى يمانٍ ومن بكرٍ ومن مضرٍ
إلا وهم شركاءٌ في دماهمُ كما تشاركُ أيسارُ^(١) على جزُرٍ
قتلٌ وأسْرٌ وتحريقٌ ومنهبةٌ فقلّ الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أميةً معذورين إذ قتلوا ولا أرى لبني العباس من عُذرٍ
وقال معبراً عن موجة عامة من روح الاستياء ضدّ خلفاء بني العباس :
خليفة مات لم يحزن له أحدٌ وآخر قام لم يفرح به أحدٌ
فمرّ ذلك ومرّ الشؤم يتبعه وقام ذا فقام النحس والنكد
وقال فأوجع :

أنى يكون وليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسقٌ عن فاسقٍ
ولا نستطيع في هذا المقام أن نفعل « تائية »^(٢) دعبل الرائعة ، التي بكى فيها
آل البيت أحرّاً بكاءً ، وقد فجمه ما حلّ بهم على أيدي بني أمية وبنو العباس جميعاً ،
ونذب فيها ديارهم وربوعهم ، وعزّى نفسه بخروج الإمام المهدي ، ليجزى على النعماء
والنقمة ، وقد كان الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد ، يبكي عند سماع هذه القصيدة
ويستعيدها ، رغم نيل « دعبل » منه وهجائه له ولآبائه ، وفي هذه التائية العصماء
يقول دعبل :

مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوةٍ ومنزلٌ وحى مقفّرُ العرصات
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ وحمةٌ والسجادِ ذى الثّناتِ^(٣)
ققا نسأل الدار التي خفّ أهلها متى عهدُها بالصوم والصلوات ؟
وأين الألى شطّت بهم غربة النوى أفانين في الآفاق مفترقات ؟

(١) الأيسار : المقامرون .

(٢) أنظرها بمعجم الأديباء ج ١١ ص ١٠٢ وما بعدها ، ط دار المأمون .

(٣) جمع ثفنة ، وهي من الإنسان ركبته ، يريد أن ركبته تأثرتا بكثرة السجود . والسجاد :

هو علي بن عبد الله بن العباس .

قُبُورٌ بِكُوفَاتٍ وَأُخْرَى بِطَيْبَةِ وَأُخْرَى بِفَيْحٍ^(١) نَالَهَا صَلَوَاتِي
 وَقَبْرٌ بِبَغْدَادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ تَضُمُّهَا الرَّحْمَنُ فِي الْفُرْقَاتِ
 قَلِيلَةَ زُؤَارٍ سِوَى بَعْضِ زُؤَرٍ مِنْ الضَّمْعِ وَالْعِقْبَانِ وَالرَّخْمَاتِ
 لَهُمْ كُلٌّ حِينَ نَوْمَةٍ بِمُضَاجِعٍ لَهُمْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفَاتِ

أَلَمْ تَرَ أَيَّ مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أُرُوحٌ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسْرَاتِ
 أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مَتَشَمًّا وَأَيْدِيَهُمْ مِنْ فِيهِمْ صَفْرَاتِ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نُحِفُّ جُسُومَهُمْ وَأَلُّ زِيَادٍ حَفَلَّ الْقَصِرَاتِ^(٢)
 بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وَأَلُّ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
 فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغَدِي لَقَطَّعَ قَلْبِي إِثْرَهُمْ حَسْرَاتِي
 خُرُوجُ إِمَامٍ لَا مَحَالَةَ خَارِجٌ يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ
 يَمِيزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ وَيَجْزِي عَلَى النِّعَاءِ وَالنِّقَمَاتِ
 فَيَا نَفْسُ طَيِّبِي ثُمَّ يَا نَفْسُ أُبْشِرِي فَعَبْرٌ بَعِيدٌ كُلُّ مَا هُوَ آتِ

ولما اضْطهد المتوكل على الله الخليفة العباسي شيعة عليّ ، وهدم قبر الحسين
 فسوّاه بالأرض حتى لا يحج إليه الزائرون ، قال يعقوب بن السكيت العالم اللغوي
 المعروف ، وقيل البسامي الشاعر :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
 فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما
 أسفوا على ألا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميا

وأبو بكر الخوارزمي يقص علينا في رسالة له إلى شيعة نيسابور ، ما حاق بآل
 البيت من محن وأحداث على أيدي بني أمية ، والزيديين ، وبني العباس جميعاً ،
 وهي دون شك وثيقة خطيرة ، نرى أنفسنا مسوقين إلى تسجيلها ، لما لها من أهمية

(١) موضع بمكة .

(٢) جمع قصرة وهي : أصل العنق .

بالغة فيما نحن بصدده ، مع اعتذارنا للقارى لإسقاطنا بعض ما فيها من فحش وإقذاع
وهجر ؛ فقد كان الخوارزمي متشيعاً صادق التشيع ، فألمه وأحزنه — إلى حد
بعيد — ما منى به العلويون ، آل البيت ، من قتل ونفي وتشريد وفاقة ومحصنة ،
من مختلف صنوف الحاكين ، فكتب إلى شيعة نيسابور هذه الرسالة الفريدة ،
يؤرخ فيها للخطوب التي لحقت بالشيعة ، ويسجل محنهم ومصائبهم المتلاحقة ،
منذ فجر التاريخ الإسلامي ، عقب وفاة النبي حتى أيام بني العباس ، ويسخط فيها
كل السخط على هؤلاء الذين ناصبوم العدا ، وأراقوا منهم الدماء ، وقد أخش
في سخطه هذا وأقذع فأوجع ، قال أبو بكر :

« سمعت أُرشد الله سعيكم ، وجمع على التقوى أمركم ، ماتكم به السلطان
الذي لا يتحمل إلا على العدل ، ولا يميل إلا على جانب الفضل ، ولا يبالي أن يمزق
دينه إذا رقا دنياه ، ولا يفكر في أن يقدم رضا الله إذا وجد رضاه ، وأنتم ونحن
أصلحنا الله وإياكم ، عصابة لم يرض الله لنا الدنيا ، فذخرنا للدار الأخرى ، وورغب
بنا عن ثواب العاجل ، فأعدّ لنا ثواب الآجل ، وقسمنا قسمين : قسماً مات شهيداً ،
وقسماً عاش شريداً ، فالحي يحسد الميت على ما صار إليه ، ولا يرغب بنفسه عما جرى
إليه ، قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام : « الحن إلى شيعة أسرع من
الماء إلى الحدور » ، وهذه مقالة أسست على الحن ، ووُلد أهلها في طالع الهزاهز
والفتن ، فحياة أهلها نعص ، وقلوبهم حشوها غصص والأيام عليهم متحامله ، والدنيا
عنهم مائله ، فإذا كنا شيعة أئمتنا في الفرائض والسنن ، ومتبعي آثارهم في كل قبيح
وحسن ، فينبغي أن تتبع آثارهم في الحن .

« غُصبت سيدتنا فاطمة ، صلوات الله عليها وعلى آله ، ميراث أبيها ،
صلوات الله عليه وعلى آله ، يوم السقيفة ، وأخر أمير المؤمنين عن الخلافه ، وسُمِّ
الحسن رضى الله عنه سرّاً ، وقتل أخوه كرم الله وجهه جبراً ، وصُلب زيد بن علي
بالكناسه ، وقطع رأس زيد بن علي في المعركة^(١) ، وقتل ابنه محمد وإبراهيم على

(١) كذا في الأصل طبع بولاق وطبع الجوائب ، ورأس زيد قطع بعد المعركة ، ولعل الصواب :
وقطع رأس يحيى بن زيد ... الخ ، انظر مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ١٥٨ .

يد عيسى بن موسى العباسي^(١) ، ومات موسى بن جعفر في حبس هارون ، وسُمَّ عليّ بن موسى بيد المأمون ، وهُزم إدريس بفتح حتى وقع إلى الأندلس فريدا ، ومات عيسى بن زيد طريداً شريداً ، وقُتل يحيى بن عبد الله بعد الأمان والايامن و بعد تأكيد العهود والضمان . . . !

« هذا غير مافعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان ، وغير قُتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان ، وغير ماصنعه أبو الساح (كذا) في علوية المدينة ، حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى ساصراً ، وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي ، حين أخذه بأبويه ، وقد ستر نفسه ، ووارى شخصه ، بصانع حياته ، ويدافع وفاته ، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل المصعبي بيحيى بن عمر الزبدي خاصة ، وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كآفه ، وبحسبكم أنه ليست في بيضة الإسلام بلده ، إلا وفيها لقتيل طالبي تر به ، تشارك في قتلهم الأموي والعباسي ، وأطبق عليهم العدنانى والقحطانى :

فليس حتى من الأحياء نعرفه من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء في دماهم كما تشارك أيسار على جزر

« قادتهم الحمية إلى المنية ، وكرهوا عيش الذله ، فماتوا موت العزه ، ووثقوا بما لهم في الدار الباقية ، فسخت نفوسهم عن هذه القانية ، ثم لم يشربوا كأساً من الموت ، إلا شربها شيعتهم وأولياؤهم ، ولا قاسوا لوناً من الشدائد ، إلا قاساه أنصارهم وأتباعهم .

« داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة ، ونفى أبازر الغفارى إلى الر بذه ، وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي ، وغرّب الأشتر النخعي ، وعدى ابن حاتم الطائى ، وسيّر عمر بن زرارة إلى الشام ، ونفى كميل بن زياد إلى العراق ،

(١) كذا في الأصل طبع بولاق وطبع الجوائب ، ولعل الصواب : وقتل محمد و ابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن على يد ... الخ ، انظر مقاتل الطالبين ص ٢٦٨ وما بعدها .

وجفا أبي بن كعب وأقصاه ، وعادى محمد بن حذيفة وناواه ، وعمل في دم محمد بن سالم ماعمل ، وفعل مع كعب ذى الخطبة ما فعل !

« واتبعه في سيرته بنو أمية : يقتلون من حاربهم ، ويغدرون بمن سالمهم ، لا يخفون المهاجرى ، ولا يصونون الأنصارى ، ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس ؛ قد اتخذوا عباد الله خوفاً ، ومال الله خوفاً ، يهدمون الكعبة ، ويستعبدون الصحابة ، ويعطون الصلاة الموقوتة ، ويختمون أعناق الأحرار ، ويسيروا في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفار ، وإذا فسق الأموى ، فلم يأت بالضلالة عن كلاله .

« قتل معاوية حجر بن عدى الكندى ، وعمرو بن الحمق الخزاعى ، بعد الأيمان المؤكدة ، والمواثيق المغلظة ، وقتل زياد بن سمية الأوفى من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبوا ، وأوسعهم حبساً وأسرا ، حتى قبض الله معاوية على أسوأ أعماله ، وختم عمره بشر أحواله ، فاتبعه ابنه ، يجهز على جرحاه ، ويقتل أبناء قتلاه إلى أن قتل هانىء بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل الهاشمى أولاً ، وعقب بالحارث ابن زياد الرياحى ، وأبى موسى عمرو بن فرطه الأنصارى ، وحبيب بن مظهر الأسدى ، وسعيد بن عبد الله الحنفى ، ونافع بن هلال الحملى ، وحنظلة بن أسعد الشامى ، وعابس بن أبى شبيب الشاكرى ، فى نيف وسبعين من جماعة شيعته ، وأمر بالحسين عليه السلام يوم كربلاء ثانياً ، ثم سلط عليهم الدعوى ابن الدعوى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل ، ويقتلهم ألوان القتل ، حتى اجتث الله دابره ، ثقيل الظهر بدمائهم التى سفك ، عظيم التبعة بحريمهم الذى انتهك ، فاتبعت لنصرة أهل البيت طائفه ، أراد الله أن يخرجهم من عهدة ماصنعوا ، ويفضل عنهم وضر ما اجترحوا ، فصمدوا صمد الفئة الباغية ، وطلبوا بدم الشهيد ، الدعوى ابن لا يزيدهم قلة عددهم وانقطاع مددهم ، وكثرة سواد أهل الكوفة بإزائهم ، إلا إقداماً على القتل والقتال ، وسخاء بالنفوس والأموال ، حتى قتل

سلمان بن سرد الخزاعي ، والمسيب بن نجمة الفزارى ، وعبد الله بن وال التيمي ،
في رجال من خيار المؤمنين ، وعلية التابعين ، ومصابيح الأنام ، وفرسان الإسلام .
« ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز والعراق فقتل المختار — بعد أن شفى الأوتار
وأدرك النار ، وأفنى الأشرار ، وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله ونفى خاذله —
وأتبعوه أبا عمر بن كيسان وأحمر بن شميطة ورفاعة بن يزيد والسائب بن مالك
وعبد الله بن كامل ، وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثله ، ويقتلونهم شر قتله ،
حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد ، وأراح من أخيه مصعب العباد ، فقتلها
عبد الملك بن مروان (كذلك نولّى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) ، بعد
ما حبس ابن الزبير محمد ابن الحنفية وأراد إحراقه ، ونفى عبد الله بن العباس
وأكثر إرهابه .

« فلما خلت البلاد لآل مروان ، سلطوا الحجاج على الحجاز بين ثم على العراقيين
فتلعّب بالهشيميين ، وأخاف الفاطميين ، وقتل شيعة عليّ ، ومح آثار بيت النبيّ ،
وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعيّ . واتصل البلاء مدة ملك المروانية ،
إلى الأيام العباسية ، حتى إذا أراد الله أن يحتم مدتهم بأكثر آثامهم ، ويجعل أعظم
ذوبهم في آخر أيامهم ، بعث على بقية الحق المهمل ، والدين المعطلّ ، زيد بن عليّ ،
فخذله منافقو أهل العراق ، وقتله أحزاب أهل الشام ، وقتل معه من شيعته نصر
ابن خزيمه الأسديّ ومعاوية بن إسحاق الأنصاريّ ، وجماعة من شايعه وتابعه ،
وحتى من زوجته وأدناه ، وحتى من كلّه وماشاه !

« فلما انتهكوا ذلك الحريم ، واقترفوا ذلك الإثم العظيم ، غضب الله عليهم
وانتزع الملك منهم ، فبعث عليهم أبا مجرم — لا أبا مسلم — فنظر ، لا نظر الله إليه ،
إلى صلاية العلوية ، وإلى لين العباسية ، فترك تقاه واتبع هواه ، وباع آخرته بدنياه ،
وافتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وسلط
طواغيت خراسان ، وخوارج سجستان ، وأكراد أصفهان ، على آل أبي طالب

يقتلهم تحت كل حجر ومدر ، ويطلبهم في كل سهل وجبل ، حتى سلط عليه أحبّ الناس إليه ، فقتله كما قتل الناس في طاعته ، وأخذه بما أخذ الناس في بيعته ، ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه ، وأن ركب ما لا يهواه ، وخلصت من الدوانيق الدنيا فخبط فيها عسفاً ، وتفضى فيها جوراً وحيفاً ، إلى أن بات وقد امتلأت سجونته بأهل بيت الرسالة ، ومعدن الطيب والطهارة ، قد تتبع غائبهم وتلقط حاضرهم ، حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنيّ بالسند ، على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبيّ ، فما ظنك بمن قرب متناوله عليه ، ولان مشه على يديه ؟ ! وهذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم ، وفعله موسى قبله بهم ؛ فقد عرقت ما توجه على الحسن بن عليّ بفخ من موسى ، وما اتفق على عليّ بن الأفضس الحسيني من هارون ، وما جرى على أحمد بن عليّ الزيدي ، وعلى القاسم بن عليّ الحسني من حبسه ، وعلى ابن غسان حاضر الخزاعي حين أخذ من قبله ، والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوه واقتلع غرس الإمامه . . . !

« وأنتم أصلحكم الله أعظم نصيباً في الدين من الأعمش ؟ فقد شتموه ! ومن شريك ؟ فقد عزلوه ! ومن هشام بن الحكم ؟ فقد أخافوه ! ومن عليّ بن يقطين ؟ فقد اتهموه . . . !

« فأما في الصدر الأول فقد قُتل زيد بن صرحان العبديّ ، وعوقب عثمان ابن حنيف الأنصاريّ ، وخفي حارثة بن قدامة السعديّ ، وجندب بن زهير الأزديّ ، وشريح بن هانيّ المراديّ ، ومالك بن كعب الأرحبيّ ، ومعقل بن قيس الرياحي ، والحارث الأعور الهمدانيّ ، وأبو الطفيل الكنتانيّ ، وما فيهم إلا من خرّ على وجهه قتيلاً ، أو عاش في بيته ذليلاً ، يسمع شتمه الوصيّ فلا يفسكر ، ويرى قنلة الأوصياء وأولادهم فلا يغيّر ، ولا يخفي عليكم حرج عامتهم وحيرتهم ، كجابر الجعفيّ وكرشيد الهجريّ ، وكزرارة بن أعين ، وكفلان وأبي فلان . . . ، ليس إلا أنهم رحمهم الله كانوا يتولون أولياء الله ، ويتبرأون من أعداء الله ، وكفى به جرماً عظيماً عندهم ، وعيباً كبيراً بينهم .

« وقل في بني العباس ، فإنك ستجد بحمد الله تعالى مقالا ، وجُل في عجايبهم ،
فإنك ترى ما شئت مجالا :

« يُجى فيهم فيفرق على الديلمي والتركي ، ويحمل إلى المغربي والفرغاني ،
ويموت إمام من أئمة الهدى ، وسيد من سادات بيت المصطفى ، فلا تُتبع جنازته ،
ولا تُخصص مقبرته ، ويموت (ضراط) لهم أو لاعب ، أو مسخرة أو ضارب ،
فتحضر جنازته الدول والقضاء ، ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاه ، ويسلم
فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً ، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً
ومانوياً ، ويقتلون من عرفوه شيعياً ، ويسفكون دم من سمى ابنه علياً ، ولو لم
يُقتل من شيعة أهل البيت غير المعلى بن حبيش قتيل داود بن علي ، ولو لم يجس
فيهم غير أبي تراب المروزي ، لكان ذلك جرحاً لا يبرأ ، وثائرة لا تُطفأ ، وصدعاً
لا يلتئم ، وجرحاً لا يلتئم ، وكفاهم أن شعراء قریش قالوا في الجاهلية أشعاراً
يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام ، يعارضون فيها أشعار المسلمين ، فحملت
أشعارهم ودونت أخبارهم ، ورواها الرواة مثل الواقدي ، ووهب بن منبه التيمي ،
ومثل السكبي والشرقي بن القطامي ، والهيثم بن عدى ، وداب بن السكتاني ، وأن
بعض شعراء الشيعة يتكلم في ذكر مناقب الوصي ، بل في ذكر معجزات النبي
صلى الله عليه وسلم ، فيقطع لسانه ، ويمزق ديوانه ، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي
وكما أريد بالسكيت بن زيد الأسدي ، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمرى ،
وكما دمر على دعبل بن علي الخزاعي ، مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة اليماني ،
ومن علي بن الجهم الشامي ، ليس إلا نغلوها في النصب ، واستيجابهما مقت الرب ،
حتى إن هارون ابن الخيزران ، وجعفر المتوكل على الشيطان — لا على الرحمن —
كانا لا يعطيان مالا ، ولا يبذلان نوالا ، إلا لمن شتم آل أبي طالب ، ونصر مذهب
النواصب ، مثل عبد الله بن مصعب الزبيري ، ووهب بن وهب البختری ، ومن
الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأموي ، ومن الأدباء مثل عبد الملك بن قريش

الأصمعي ، فأما في أيام جعفر ، فمثل بكار بن عبد الله الزبيري ، وأبي السمط ابن أبي الجون الأموي ، وابن أبي الشوارب العبشمي .

« ونحن أرشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى ، وآثرنا الدين على الدنيا ، وليس يزيدنا بصيرةً زيادةً من زاد فينا ، ولن يحل لنا عقدة نقصان من نقص منا ؛ فإن الإسلام بدأ غربياً ، وسيعود كما بدا ، كلمة من الله ووصية من رسول الله ، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، ومع اليوم غد ، وبعد السبت أحد ، قال عمار ابن ياسر ، رضی الله عنه ، يوم صفين : لو ضربونا حتى نبلغ سفغات هجر ، لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل ، ولقد هزم رسول الله صلوات الله عليه ثم هزم ، ولقد تأخر أمر الإسلام ثم تقدم (اللهم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون) ، ولولا محنة المؤمنين وقتلتهم ، ودولة الكافرين وكثرتهم ، لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد ، ولما قال الله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ، ولما تبين الجزوع من الصبور ، ولا عُرف الشكور من الكفور ، ولما استحق المطيع الأجر ، ولا احتقب العاصي الوزر ، فإن أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه ، وإن رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه ، وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آله ، ولكل مقامة مقاله ؛ فعند الحن الصبر ، وعند النعم الشكر ، ولقد شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ألف شهر ، فما شككنا في وصيته ، وكذب محمد صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة ، فما اتهمناه في نبوته ، وعاش إبليس مدة تزيد على المدد ، فلم ترتب في لعنته ، وابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته ، ودفعنا إلى قتل الإمام بعد الإمام والرضا بعد الرضا ولا مزية عندنا في حجة إمامته ، وكان وعد الله مفعولا ، وكان أمر الله قدراً مقدورا ، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ولتعلمن نبأه بعد حين . . !

« اعلموا رحمكم الله أن بنى أمية الشجرة الملعونة في القرآن ، وأتباع الطاغوت والشيطان ، جهدوا في دفن محاسن الوصي ، واستأجروا من كذب في الأحاديث

على النبي صلى الله عليه وسلم ، وحولوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة ، والخلافة
— زعموا — إلى دمشق عن الكوفة ، وبذلوا في طمس هذا الأمر الأموال ، وقلدوا
عليه الأعمال ، واصطنعوا فيه الرجال ، فما قدروا على دفن حديث من أحاديث
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى ،
ولا على دس أحد من أعداء الله في أولياء الله ، ولقد كان ينادى على رؤوسهم
بفضائل العترة ، ويبكت بعضهم بعضاً بالدليل والحجة ، لا تنفع في ذلك هيبة ،
ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة ، والحق عزيز وإن استذل أهله ، وكثير وإن قلّ حزبه ،
والباطل ذليل وإن رصّع بالشبهه ، وقبيح وإن غطى وجهه بكل مليح ، قال
عبد الرحمن بن الحكم وهو من أنفس بني أمية :

سُمِّية أمسى نسلها عدد الحصى وبنيت رسول الله ليس لها نسل
غيره :

لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وإمام
وقال أبو دهبيل الجمحي في سمة سلطان بني أمية وولاية آل بني سفيان :
تبيت السكرارى من أمية نوماً وبالطف قتل ما ينام حميمها
وقال سليمان بن قتة :

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلت
وقال السكيت بن زيد ، وهو جار خالد بن عبد الله القسرى :

فقل لبني أمية حيث حلّوا وإن خفت المهند والتطيعا
أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا
« وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رؤوسهم بالحق وإن
كرهوه ، وبتفضيل من نقصوه وقتلوه ؛ قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون :

آل النبي ومن يحبهم يتطامنون مخافة القتل
(٥)

ومن النصارى واليهود وهم من أمة التوحيد في أزل^(١)

وقال دعبل بن علي ، وهو صنيعه بنى العباس وشاعرهم :

ألم تر أنى مذثمانين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفرات

وقال علي بن العباس الرومي ، وهو مولى المعتصم :

لكل أوان للنبي محمد قتيل زكي بالدماء مضرّج

وقال ابراهيم بن العباس الصولي ، وهو كاتب القوم وعاملهم ، في الرضا لما

قربه المأمون :

يمنّ عليكم بأموالكم وتعطون من مائة واحدا

« وكيف لا ينتقصون قوماً يقتلون بنى عمهم جوعاً وسغباً ، ويملاؤن ديار

الترك والديلم فضة وذهبا ، يستنصرون المغربي والفرغانى ، ويجفون المهاجرى

والأنصارى ، ويولون أنباط السواد وزارتهم ، وقلف العجم والطالم قياتهم ،

ويعنعون آل أبى طالب ميراث أمهم ، وفيء جدم ، يشتهى العلوى الأكلة

فيحرمها ، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها ، وخراج مصر والأهواز ، وصدقات

الخرمين والحجاز ، تصرف إلى ابن أبى مریم المدينى ، وإلى ابراهيم الموصلى ، وابن

جامع السهمى ، وإلى زلز الضارب ، وبرصوما الزامر ، وإقطاع بختيشوع النصرانى

قوت أهل بلد ، وجارى بغا التركى ، والأفشين الأشروسنى ، كفاية أمة ذات عدد ،

والمتوكل - زعموا - يتسرى باثنى عشر ألف سريره ، والسيد من سادات أهل البيت

يتعنف بزنجية أو سندية ، وصفوة مال الخراج مقصور على أرزاق الصفاعنه ، وعلى

موائد الخاتنه ، وعلى طعمة السكلابين ، ورسوم القرّادين ، وعلى محارق وعلوبة

الغنى ، وعلى زرزر ، وعمر بن بانه الملهى ، ويبخلون على الفاطمى بأكلة أو شربة ،

ويصارفونه على دائق وحبّه ، ويشترون العوادة باليدر ، ويحرون لها ما يبقى برزق

(١) فى القاموس ، الأزل : الضيق والشدة .

عسكر ، والقوم الذين أحلّ لهم الخمس ، وحرّمت عليهم الصدقة ، وفرضت لهم الكرامة والحجبه ، يتكفّفون ضرا ويهلكون فقرا ، ويرهن أحدهم سيفه ، ويبيع ثوبه ، وينظر إلى فيثه بعين مريضه ، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفه ، ليس له ذنب إلا أن جده النبي ، وأباه الوصي ، وأمه فاطمه ، وجدته خديجه ، ومذهبه الإيمان ، وإمامه القرآن .

« ولقد كانت في بني أمية مخازي تذكر ، ومعائب تؤثر ، كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين ، وأمه آكلة أكباد الشهداء الطاهرين ، وابنه يزيد القرود ، حربى الفهود ، وهادم الكعبه ، ومنهب المدينة ، وقاتل العتره ، وصاحب يوم الحزّه ، وكان مروان الوزغ ابن الوزغ ، لعن النبي صلى الله عليه وعلى آله أباه وهو في صلبه ، فلمحقته لعنة الله ربه ، وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التي طبقت الأرض وشملت ، وهى توليته الحجاج بن يوسف الثقفي ؛ فأتك العباد وقاتل العمياد ، ومبيد الأوتاد ومخرب البلاد ، وخبيث أمة محمد الذي جاءت به الفذر ، وورد فيه الأثر ، وكان الوليد جبار بنى أمية ، وولى الحجاج على المشرق ، وقرّة بن شريك على المغرب ، وكان سليمان صاحب البطن الذي قتله بطنه كظّه ، ومات بشماً وتخمه ، وكان يزيد صاحب سلامة وحبابه ، الذي نسخ الجهاد بالخر ، وقصر أيام خلافته على العود والزمر ، وأول من أغلى سعر المغنيات ، وأعلن بالفاحشات ، وماذا أقول فيمن أعرق فيه مروان من جانب ، ويزيد بن معاوية من جانب ، فهو ملعون بين ملعونين ، وعريق في الكفر بين كافرين ، وكان هشام قاتل زيد بن علي مولى يوسف ابن عمر الثقفي ، وكان الوليد بن يزيد خليف بنى مروان ، الكافر بالرحمن ، الممزّق بالسهم القرآن ، وأول من قال الشعر في نفي الإيمان ، وجاهر بالفسوق والعصيان . . !

« وهذه المثالب ، مع عظمها وكثرتها ومع قبحها وشنعها ، صغيرة وقليلة في جنب مثالب بنى العباس ، الذين بنوا مدينة الجبارين ، وفرّقوا في الملامى والمعاصى أموال المسلمين . . . !

« هؤلاء أرشدكم الله ، الأئمة المهديون الراشدون ، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون . . . ! بذلك يقف خطيب جمعهم ، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم . . . ! »
« فإن كسد التشيع بخراسان ، فقد نفق بالحجاز والحرمين والشام والعراقين ، وبالجزيرة والثغرين ، وبالجليل والبيغارين^(١) ؟ وإن تحامل علينا وزير أو أمير ، فإننا نتوكل على الأمير الذي لا يُعزل ، وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل ، وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوه ، ولا يطلب سجلاً ولا شهادة ، وإياه تعالى نحمد على طهارة المولد ، وطيب المحمد ، ونسأله ألا يكلنا إلى أنفسنا ، ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا ، وأن يعيدنا من رعونة الحشوية ، ومن لجاج الحرورية ، وشكِّ الواقفيه ، وإرجاء الحنفية ، وتحالف أقوال الشافعية ، ومكابرة البكرية ، ونصب المالكية ، وإجبار الجهمية والنجارية ، وكسل الراونديه ، وروايات الكيسانية ، وجحد العثمانيه ، وتشبيه الحنبايه ، وكذب القلاة الخطايبه ، وألا يحشرنا على نصب أصفهاني ، ولا على بغض لأهل البيت طوسي أو شاشي ، ولا على إرجاء كوفي ، ولا على تشبيه قمي . ولا على جهل شامي ، ولا على تحنبل بغدادي ، ولا على قول بالباطن مغربي ، ولا على عشق لأبي حنيفة بلخي ، ولا على تناقض في القول حجازي ، ولا على مروق سجزي ، ولا غلو في التشيع كرخي ، وأن يحشرنا في زمرة من أحببناه ، ويرزقنا شفاعة من توليناه ، إذا دعا كلَّ أناس بإمامهم ، وساق كلَّ فريق تحت لوأئهم ، إنه سميع قريب ، يسمع ويستجيب^(٢) . »

ولا يسعنا في ختام هذه الوثيقة التاريخية الخطيرة إلا أن نأسف مع الخوارزمي لما أصاب بني عليّ من كوارث وخطوب ، حتى من بني عمهم العباسيين ، بعد أن أقاموا دولتهم على نفوذهم ، وتاجروا بين الجماهير باسمهم فدعوا إلى (الرضا من آل محمد) . ولقد كانت هذه الكوارث التي صورها لنا الخوارزمي خاصة والمؤرخون عامة ،

(١) كذا بالأصول ؟

(٢) أنظر رسائل الخوارزمي ص ١٢٥ وما بعدها ، طبع بولاق مطبعة عبد الرحمن رشدي

من العوامل الفعالة التي زادت الشيعة تمسكاً بعقيدة المهدي ، الذي سيرفع عنهم هذه
اللعن ، ويعيد إليهم حقهم المغتصب وملسكهم المسلوب .

مستمرات الشيعة :

لقد حرص الشيعة أكبر الحرص على تبيان الأساس الديني لهذا المعتقد
- معتقد المهدي - والدفاع عنه جاهدين ضد سخرية المرتابين ، وقد استغرق
ذلك صفحات عديدة من مؤلفاتهم الدينية ، وفي العصر الحديث - كما يخبرنا
« جولديزير^(١) » Goldziher ظهر بفارس كتاب ، يدعو إلى التوق من الشك الذي
تعاظم تياره الجارف ، فأوشك أن يذهب بالإيمان بإمام العصر الخفي .

وقد رأت الشيعة في ميدان « الحديث » الواسع مستنداً ومجالاً ، فما كان هذا
الميدان الفسيح جداً يرد ذا حاجة قط ، أو يوصد بابه دون ملتجئ طارق ،
وسرعان ما اختلقت الشيعة الأحاديث الكثيرة ، ووضعتهامؤيدة لوجهة نظرها ، ورفعتهما
إلى النبي ، لتصبغ هذا المعتقد بصبغة إسلامية رسمية ، من ذلك قولهم :

« لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً
كما ملئت جوراً » ، و « نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة : أنا وحمزة وعلى
وجعفر والحسن والحسين والمهدي » ، وكقولهم « المهدي من عترتي من ولد فاطمة » ،
و « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة » ، و « يخرج ناس من المغرب فيوطنون
المهدي » ، و « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي ، يواطئ
اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » ، إلى آخر ما ابتدعوا
وصنعوا وإنه لكثير . . . !

وأمثال هذه الأحاديث لم تروها الكتب الصحيحة المتشددة في الرواية ،

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٩٣

كصحيحى البخارى - محمد بن اسماعيل - ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، وإنما روتها الكتب الأقل تشدداً ، كسنن أبى داود وابن ماجة والترمذى والنسائى ومسند أحمد ، ولقد أوسع علماء الحديث ونقدته هذه المجموعة نقداً وتفصيلاً ، ورفضها بشدة العلامة ابن خلدون فى مقدمته^(١) .

يقول العلامة « دونلدسن » Doneldson :

« وما هو جدير بالملاحظة أن استعمال هذا المصطلح ، سبق تدوين الحديث بنحو مائتى سنة ، وهى مدة كافية لتبلور فكرة المهدي ، ولما كان القرآن نفسه لم يرد فيه ما يؤيد هذه الفكرة ، كان من الضرورى الالتجاء إلى الحديث لإثباتها ، وقد فنّد ابن خلدون فى مقدمته جميع الأحاديث الواردة فى هذا الصدد ، فأشار إلى عدم ورودها فى صحيحى البخارى ومسلم ، وأشار إلى أن الأحاديث الواردة فى الترمذى وأبى داود مأخوذة عن « عاصم » ، وعاصم هذا فى حديثه اضطراب ، وقد تكلم فيه ابن علية فقال : « كل من اسمه عاصم سبىء الحفظ » ، ومع هذا فبالنظر إلى عدم ذكر القرآن شيئاً عن المهدي ، وأن الأحاديث الواردة بشأنه كلها ضعيفة أو مشكوك فيها ، فإن عقيدة المهدي لا تدخل فى اعتقادات أهل السنة والجماعة^(٢) .
ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى :

« والناظرون فى هذه الأحاديث من أولى البصائر ، لا يجدون فى صدورهم حرجاً من تنزيه رسول الله من قولها ؛ فإن فيها من الغلو والخطب فى التواريخ والإغراق فى المبالغة والجهل بأمور الناس والبعث عن سنن الله المعروفة ، ما يشعر المطالع لأول وهلة أنها أحاديث موضوعة ، تعمّد وضعها رجال من أهل الزيغ أو المشايخين لبعض أهل الدعوة من طلبة الخلافة فى بلاد العرب أو المغرب^(٣) » .

وقد عمدت الشيعة أيضاً إلى القرآن - كما عمدت إليه سائر الطوائف الإسلامية

(١) المقدمة ص ٩٦ طبع بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

(٢) عقيدة الشيعة ص ٢٣١ .

(٣) أنظر دائرة معارف وجدى مادة « مهدي » .

المتشعبة والبيئنة الاختلاف — تحاول أن تجد في نصوصه تأويلاً واضحاً سهلاً ،
أو خفياً متمسكاً ، يؤيد معتقدهم ، فيقولون :

قال الله تعالى : « وإنه لعلم للساعة » قال ابن حجر في صواعقه : « قال مقاتل
ابن سليمان ومن تبعه من المفسرين ، إن هذه الآية نزلت في المهدي ، ولذلك فهم
ينظمونها في سلك الآيات النازلة في آل البيت ^(١) » .

وأكبر الظن أني لست في حاجة لبيان ما في هذا التفسير من مجانبة لنص
القرآن ، وقد عرض علينا « جولدزيهر » Goldziher ^(٢) تفسيراً شيعياً طريفاً لسورة
« الشمس » ، يمكن به أن نكوّن لأنفسنا فكرة عن هذا التأويل القرآني ومدى
تعسفه ، قالوا « والشمس وضحاها (الشمس هي محمد) ، والقمر إذا تلاها (القمر
هو علي) والنهار إذا جلاها (النهار الحسن والحسين) والليل إذا يشاها (الليل
هو الأمويون) » !

ويحدثنا ابن قتيبة الدينوري عن مدى تعسف الشيعة في تفسيرهم آيات القرآن
فيقول : إنهم يفسرون قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » بأنها عائشة
رضي الله عنها . . . ! ويقولون في قول الله عز وجل : « فقلنا اضربوه ببعضها » إنه
طلحة والزبير ، قال ابن قتيبة : « ويقولون في الخمر والميسر إنهما أبو بكر وعمر رضي

(١) يزعم المتشيعون أن المقصود بأهل البيت في قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » إنما هو علي وفاطمة والحسن والحسين ، ومن هذا يطلقون
على ذراريتهم اسم « آل البيت » ويروي المحب الطبري صاحب « ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى »
أن الآية الكريمة نزلت على الرسول في بيت أم سلمة ، فدعا النبي بعلي وفاطمة والحسن والحسين
وجلهم بكساء ، ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » ، قالت
أم سلمة : « وأنا معهم يا رسول الله ، قال : أنت علي مكانك وأنت علي خير » والحق أن المقصود
في الآية بأهل البيت ، هن زوجات الرسول ، فالخطاب لهن قبل هذه الآية وبعدها ، وقد كان
عكرمة ينادى في الأسواق بنزول هذه الآية في نساء النبي خاصة ، فأزواج النبي — أمهات
المؤمنين — هن أهل البيت ، أما ذرية فاطمة فهم آل علي لا آل البيت آل النبي ، وهذا دون
شك ما يقره الأسلوب القرآني المنزه عن العبث والإسفاف .

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٣١

الله عنهما . . . ! والجبب والطاغوت إنهما معاوية وعمرو بن العاص . . . ! مع مجائب
أرغب عن ذكرها ، ويرغب من بلغه كتابنا هذا عن استماعها^(١) .

وهذا تفسير شيعي آخر طريف إلى أبعاد حدود الطرافة رواه لنا الأغاني قال :
« كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالى
المهدي لمن حضر : ما عندكم في قول الله عز وجل (وأوحى ربك إلى النحل أن
اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر) ؟

« فقال له بشار : النحل التي يعرفها الناس ، قال : هيهات يا أبا معاذ ، النحل :
بنو هاشم ، وقوله (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)
يعنى العلم . . . ! فقال له بشار : أراى الله طعامك وشرابك فيما يخرج من بطون
بنى هاشم ، فقد أوسعنا غناة . . . ، ففضب وشم بشاراً ، وبلغ المهدي الخبر ،
فدعا بهما فسألها عن القصة ، فحدثه بشاراً بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ،
ثم قال للرجل : أجل ! فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم
فإنك بارد غث^(٢) . . . » .

والحق أن تفسير الشيعة لنصوص القرآن ، كان بعيداً كل البعد عن روحه
الظاهرة وعن مادة اللغة نفسها ، ولم يكن قط حائزاً لرضى أهل السنة ، أو أهل اللغة
الذين كانوا ينظرون إليه بعين السخرية والاستخفاف ، قال الشعبي — فيما يرويه
لنا ابن عبيد ربه :

« ماشبهت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من بنى مخزوم
من أهل مكة ، وجدته قاعداً بفناء الكعبة فقال (أى للشعبي) : ما عندك في
تأويل هذا البيت ؟ فإن بنى تميم يغلطون فيه ؛ يزعمون أنه مما قيل في رجل منهم ،
وهو قول الشاعر :

(١) أنظر تأويل مختلف الحديث ، ص ٨٦ ط الكردى بالقاهرة .

(٢) أنظر الأغاني ص ٣٠٠ ط الدار .

بيت زُرارة مُحْتَبٍ بفنائه ومجاشعُ وأبو الفوارس نَهْشَلُ

فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت وأشار بيده إلى الكعبة ، وزرارة : الحجر زُرَّرَ حول البيت ، فقلت له : فمجاشع ؟ قال : زمزم ؛ جشعت بالماء ، قلتُ : فأبو الفوارس ؟ قال : هو أبو قبيس جبل مكة ، قلتُ : فهشل ؟ ففكر فيه طويلاً ثم قال : أصبته ... ؛ هو مصباح الكعبة طويل أسود ، وهو النهشل^(١) ... ! » .

وتزاحم الصوفية الشيعة في هذا الميدان من التأويل الباطني لآيات القرآن ، وقد كتب في ذلك مشايخهم كالتستري والسلمي ومحي الدين بن عربي . وهذا التفسير الخفي عندهم — وهم الخاصة — هو مراد الله ، وهو « الحقيقة » أما التفسير الظاهري لنصوص الكتاب عند العامة — غير الواصلين إلى مراتب المعرفة بالكشف والفناء بالاندماج — فهو « الشريعة » ، والأول عند الصوفية هو الحق ؛ لاعتماده على الإشراق والكشف ، وهو معرفة تشبه إلى حد كبير — كما يقول العلامة الطيب الذكر « نيكلسون » Nicholson — فكرة الغنوصية في الديانة الهلينية ؛ فهي تأمل انتشائي في الله يشعر به القلب الذي غمره الضوء الإلهي ، وليس للعقل الإنساني فيها نصيب^(٢) ، وأما التفسير الثاني للقرآن وهو تفسير « الشريعة » وما يتصل به من علوم الظاهر ، فيعتمد على اللغة والفكر البشري والتلقي عن المشايخ والاستفادة من الكتب ، وهو لهذا تافه لا قيمة له ، بعيد عن الحق عند الصوفية وإخوانهم الشيعة .

ومن مستندات الشيعة أخيراً قول عليّ أو علوي في (النهج) : « لتعطفن

(١) العقد الفريد ٢ ص ٤١٠ وما بعدها ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، وانظر ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ ص ١٤٦ ط الدار ؛ وابن قتيبة أيضاً « تأويل مختلف الحديث » ص ٨٦ ط الكردي بالقاهرة .

(٢) أنظر ما كتبه في ذلك « نيكلسون » Nicholson في مجموعة دراساته التي ترجمها الأستاذ أبو العلا عفيفي باسم « في التصوف الإسلامي وتاريخه » ص ١١٥ وما بعدها .

الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس^(١) على ولدها ، وتلا عقيب ذلك (ونريد أن نمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) .

« قال ابن أبي الحديد : « والإمامية تزعم أن ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان ؛ وأصحابنا يقولون إنه وعدٌ بإمام يملك الأرض ويستولى على الممالك ، ولا يلزم من ذلك أنه لا بد أن يكون موجوداً ، وإن كان غائباً إلى أن يظهر ، بل يكفي في صحة هذا الكلام ، أن يُخلق في آخر الوقت^(٢) » .

ولا يعزب عن بالنا أن « النهج » منقول على عليّ ، وقد صنّفه محمد بن الحسين العلوي المعروف بالرضي ؛ قال ابن شهر آشوب السّروى وهو شيعي من أهل القرن السادس : « الشريف الرضي الموسوي ، وهو أبو الحسن محمد بن الحسين ، له نهج البلاغة^(٣) ... الخ »

وقيل صنّفه أخوه علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ، وكلاهما من أئمة الإمامية ومن فصحاء العربية ؛ قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » :

« من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، ففيه السبُّ الصراح والحطُّ على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين ، جزم بأن أكثره باطل^(٤) » .

وفي هذا الصدد يقول العلامة المرحوم محمد إسعاف النشاشيبي :

« فتلك الأقوال في النهج ذوات الأنبياء بالغيب ، وكلام ابن أبي الحديد ،

(١) الضروس : الناقة .

(٢) شرح النهج مجلد ٤ ص ٣٣٦

(٣) انظر « معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً »

لابن شهر آشوب السّروى رشيد الدين أبي جعفر محمد بن عليّ المتشيع المتوفى عام ٥٨٨ هـ ، ص ٤٤ ، وكتابه هذا تنمة لكتاب « الفهرست » للشيخ أبي جعفر الطوسي ، وقد نشره عباس إقبال

بپهران عام ١٣٥٣ هـ .

(٤) الإسلام الصحيح - ١ ص ٣٣٦ ط القدس .

وتلك الألقاظ المولدة في الخطب ، دع عنك المقالات الكلامية والمذاهب الإمامية والاعتزالية ، والكلمات الإغريقية والفارسية ، وتباين الأنفاس المختلفة ، وتباعد الأساليب في القول ، وأغلاط في اللغة وفي علم العربية — وإن قلت — كل ذلك يُسند ماذهب إليه (منهاج السنة) و(ميزان الاعتدال) و(مختصر إرشاد الخياري) ويحققه ، ويدفع كلام ابن أبي الحديد ومن ماشاه ويزهقه (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً^(١)) .

غلاة الشيعة وألوهية الأئمة :

سبق أن تحدثنا إليك عن عقيدة الشيعة في «الإمام» وما فيها من تقديس ، وعن نظرهم إلى إمامهم الأول «علي» ، وما فيها من إفراط وغلوة . وقد ساق هذا الإفراط بعضهم إلى أن قالوا بنبوته ، وهؤلاء هم جماعة «الغرابية» القائلين إن محمداً كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب فالتبس الأمر على جبريل وأعطى الرسالة خطأ لمحمد ، ولا لوم عليه في هذا الخطأ غير المقصود ، بيد أن منهم جماعة تلغنه وتكفره ؛ لأنه تعمد إعطاء الرسالة لمحمد^(٢) . وقال العلي بن ذراع الدوسي — وقيل الأسدي صاحب فرقة العليائية — بألوهية علي ، وأنه هو الذي بعث محمداً ، وكان يدعو إلى ذمّه قائلاً إن محمداً بعث ليدعو إلى علي ، فدعا إلى نفسه^(٣) ! . . .

وقد اصطدم هؤلاء جميعاً بقول القرآن «محمد رسول الله» فذهبوا — موترين — يطعنون في القرآن وينسجون الأساطير حول شخصية علي ، فقالوا بحلول جزء إلهي فيه ، فهم إذ حرمهم الواقع نبوة أصحابهم ، يعيشون في جور ميثولوجي وراء ألوهيته .

(١) الإسلام الصحيح ١٠ ص ٣٥٥

(٢) الفصل لابن حزم ٤ ص ١٨٢ ، وانظر الفرق بين الفرق للبيهقي ص ١٥٢

ومختصره لرسعني ص ١٥٧ ، وانظر أيضاً الإسفرايني «التبصير في الدين» ص ٧٤ .

(٣) أنظر الشهرستاني «الملل والنحل» ٢ ص ١٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

وكان أول القائلين بألوهية عليّ هو ابن سبأ ، الذي زعم أن روح الله حلت في كل نبي ، وأنها تنتقل فيهم الواحد بعد الآخر ، وقد انتقلت بعد وفاة محمد إلى عليّ ، ثم إلى أبنائه الذين انتقلت إليهم الإمامة ، وقد واجه ابن السوداء علياً بهقيده هذه فقال له « أنت أنت » أي أنت الإله ، فنقاد عليّ إلى المدائن وأحرق بالنار كثيراً من رجال فرقته « السبائية » ، الذين واجهوه أيضاً بقولهم — كما يحدثنا ابن حزم^(١) — « أنت هو » فقال لهم عليّ : « ومن هو ؟ » قالوا « أنت الله ! » فاستعظم الأمر ، وأمر بنار فأجّجت وألقى بهم فيها ، فجعلوا يقولون « الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله » ! وفي ذلك يقول عليّ :

لما رأيتُ الأمرُ أمراً مُسكراً أُجّجتُ ناراً ودعوتُ قُنبراً^(٢)

ولا يقوتنا أن نذكر في هذا الصدد « بيان بن سمان » — وقيل بنان — التميمي الهدي ، مؤسس فرقة « البيانية » فقد كان له في هذا المذهب شأن خطير ؛ حدثنا الشهرستاني قال :

« وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، قال : حلّ في عليّ جزء إلهي واتحد بجسده ، منه كان يعلم الغيب إذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار وله النصر والظفر ، وبه قلع باب خيبر ، وعن هذا قال : (والله ما قلعنا باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ، ولكن قلعته بقوة ملكوتية)^(٣) .

بيد أن صاحبنا هذا « بيان » لم يقف عند القول بألوهية عليّ ، بل انساق وراء أضاليل ابن السوداء ، فزعم أن الجزء الإلهي قد انتقل إليه من عليّ بنوع

(١) « الفصل » ح ٤ ص ١٨٦ ، والشهرستاني ح ٢ ص ١١ ، وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ص ١٤٣ ، ومختصره للرسعني ص ١٤٢ ، والتبصير في الدين ص ٧١ ، وانظر كذلك « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة ص ٨٧ .

(٢) قنبر : خادم عليّ ، ونلاحظ هنا أن عقوبة عليّ للسبائية بإحراقهم بالنار على مقاتلهم فيه ، لم يسبق لها نظير في الإسلام .

(٣) أنظر الملل والنحل ح ١ ص ٤٠٢ على هامش ابن حزم .

من التناسخ ، بعد حلولة في محمد بن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم ، فاستحق « بيان » بذلك أن يكون إماماً ، وقد كتب إلى محمد الباقر يدعوه إلى نفسه ، ويقول له : « أسلم تسلم — فإنك لا تدري حيث يجعل الله النبوة »^(١) . ولكن يبدو أن مزاعم « بيان » ومحاولته الزّج بنفسه في عداد الأئمة بهذا الطريق الملتوى ، لم تقابل من مشايخ الشيعة إلا بالاستخفاف والازدراء ، مع أنه كان يؤكّد إمامته بزعمه أن الله أشار إليه في القرآن بقوله « هذا بيان للناس »^(٢) ، ثم كانت خاتمته على يد خالد بن عبد الله القسري ، الذي أحرقه بالنار هو والمغيرة بن سعيد العجلي في يوم واحد عام ١١٩ هـ^(٣) ، وقد كان المغيرة أيضاً من الغلاة في علي^(٤) ، القائلين بقدرته على إحياء الموتى ؛ قال ابن قتيبة : « قال الأعمش : قلت للمغيرة هل كان عليّ يحيي الموتى ؟ فقال : لو شاء لأحيا عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً »^(٥) . وفي عام ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م كان أحد خطباء الشيعة ببغداد يدعو في خطبة الجمعة بعد الصلاة على النبي فيقول : « وعلى أخيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب مكلم الجماعة ، ومحبي الأموات ، البشريّ الإلهي ، مكلم الفتية أصحاب الكهف » .

وقد وُجد في العصر الحديث — كما يحدثنا « جولدزيهر » Goldziher^(٦) — من يعبد عليّاً بين فلاحي التركان ، الذين يقطنون مقاطعة « قارص » (أردغان) التي تنازلت عنها تركيا لروسيا بعد الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧ — ١٨٧٨ م^(٧) ،

(١) الملل والنحل ١ > ٢٠٥ .

(٢) أنظر ابن حزم > ٤ ص ١٨٥ ، وعيون الأخبار > ٢ ص ١٤٨ .

(٣) أنظر الطبري > ٨ ص ٢٤٠ وما بعدها ط الحسينية .

(٤) الشهرستاني > ٢ ص ١٣ على هامش ابن حزم ، وانظر أيضاً ابن حزم > ٤

(٥) عيون الأخبار > ٢ ص ١٤٩ ط الدار .

(٦) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٣٢ .

(٧) هذه المقاطعة هي من أملاك تركيا اليوم ، وتطالب بها في إصرار روسيا السوفيتية-

بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد قام العلامة « ديفتسكي » Devitzki بدراسة أحوال هذه الطائفة ومعتقداتها ،
وإن كنا - مع الأسف - لم نحظ بالاطلاع على نتائج دراسته .

وقد تبرأ السيد الحميري ، شاعر الشيعة الكيسانية من هذا الغلو في عليّ فقال :^(١)

قومٌ غلّوا في عليّ لا أبأ لهمُ وأجشموا أنفساً في حبه تعباً
قالوا : هو الله : جل الله خالقنا من أن يكون ابن شيء أو يكون أباً
وقال شاعر آخر هو إسحق بن سويد العدوي^(٢) :

برئتُ من الخوارج لستُ منهم من الغزّال منهم وابن باب^(٣)
ومن قوم إذا ذكروا عليّاً يردون السلام على السحاب

وبعد تأليه عليّ ، نرى القول بألوهية الأئمة قد انتشر في الأوساط الشيعية ،
وقالت به منهم طوائف عدة ، حدثنا عنها كثير من مؤرخي الفرق الإسلامية
كأبي منصور عبد القاهر البغدادي المتوفى عام ٤٢٩ هـ في كتابيه « أصول الدين »
و « الفرق بين الفرق » ، كما حدثنا عنها الأشعري في « مقالات الإسلاميين » ،
وابن حزم في « الفصل » والشهرستاني في « الملل » ؛ فمن هؤلاء القائلين بحلول
الجزء الإلهي في زعمائهم البشر ، أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ،
الذي حلّت فيه عندهم الروح الإلهية ، ومن الغلاة من ألّه أصحاب الكساء الخمسة ،
محمداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا : خمستهم شيء واحد ، والروح حالة
فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر ، وقد كرهوا أن يقولوا (فاطمة) بالتأنيث
فقالوا (فاطم) وفي ذلك يقول شاعرهم^(٤) :

توليتُ بعد الله في الدين خمسةً نبياً وسبطيه وشيخاً وفاطماً

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه > ٢ ص ٤٠٥ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .
(٢) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٧١ نشر المطابع ، وانظر أيضاً التبصير في الدين
للأصفهاني ص ٤١ ، والعقد الفريد > ٢ ص ٤٠٥ .
(٣) الغزّال ، وابن باب : كتبنا واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد من شيوخ الغزّلة الأول .
(٤) أنظر الشهرستاني > ٢ ص ١٣ على هامش ابن حزم .

ومن « المعيرية » من قال بالوهية المعيرة بن سعيد مولى خالد بن عبد الله القسري ، وقد كان المعيرة يقول بها في عليّ فأحرقه مولاة .

وزعمت « المنصورية » ^(١) أن أبا منصور العجلي عُرِج به إلى السماء ، وأن الله سبحانه مسح بيده على رأسه وقال : « يا بني بلغ عني » وأنزله بعد ذلك إلى الأرض فهو « الكسف » الساقط من السماء ، وهو المعنى بقوله تعالى : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً » إلى آخر الآية ، فقيل لهذه الطائفة « الكسفية » ، وكانت خاتمة أبي منصور هذا على يد والي الكوفة يوسف بن عمر أيام هشام بن عبد الملك . وهناك أتباع أبي الخطاب الأسدي ^(٢) الذين يؤهلون جعفرأ الصادق ، والمفتعُ الخراساني ، الذي زعم أن روح الإله قد حلت فيه بعد أبي مسلم ، وتابعه في دعواه هذه أشيع وأنصار ^(٣) ، وغير هؤلاء كثيرون !...

ولا يسع الباحث إلا أن يتساءل : من أي مصدر استقت الشيعة هذه التعاليم ؟ ومن ذلك الذي جلب بذورها ورمى بها في تربة الإسلام الشيعي ، فكان لها أسوأ الأثر لدى جمهور أهل السنة ، والمنصفين من الفرق الإسلامية الأخرى ؟

نحن لا نشك في أن للنقاش المسيحي حول شخصية « يسوع » ، ولتلك المسيحية المفلسفة التي ناقشت طبيعة « المسيح وعيسى » - لاهوته وناسوته - تلك التي اخطط منهاجها « أوريجونس » Origenes (١٨٥ - ٢٥٤ م) ، أقول : كان لذلك دون ريب أكبر الأثر في القول بحلول الجزء الإلهي في أئمة الشيعة ، ونحن لا نشك كذلك في أن ابن السوداء هو الذي نقل هذه النظرية من المسيحية المفلسفة ، وزعمها في عليّ وذريته ، وقد زجَّ بها - كما عودنا في كثير من المعتقدات

(١) الشهرستاني ٢ ص ١٤ وما بعدها ، وابن حزم ٤ ص ١٨٥ ، وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ص ١٤٩ ، ومختصره ص ١٣٤ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢ ص ١٦ ، وانظر ابن حزم ٤ ص ١٨٧ والبغدادى في « الفرق » ص ١٥٠ ، ومختصر الرسعني ص ١٣٥ .

(٣) أنظر التبصير في الدين للأسفراني ص ٧٦ وما بعدها .

والمذاهب الأجنبية - في البيئة الإسلامية ، لا سيما تلك التي تقدّس « آل البيت » ،
فنمت وازدهرت وما زال يتفرق في أغصانها ماء الحياة حتى العصور الحديثة .
وإننا لنأنس في هذا الصدد بما يحدثنا به العلامة الشهرستاني إذ يقول :
« وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب
اليهود والنصارى ؛ إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ،
فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام إلهية في حق
بعض الأئمة » (١) .

ويقول ابن خلدون :

« ومنهم طوائف يسمون الغلاة ، تجاوزوا حدَّ العقل والإيمان في القول بالوهمية
هؤلاء الأئمة ، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية ، أو أن الإله حل في ذاته
البشرية ، وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه » (٢) .

(١) أنظر الملل والنحل > ٢ ص ١٠ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) أنظر « المقدمة » ص ٩٦ وما بعدها ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

المهدى عند الشيعة

مهدى الشيعة ، إمام من أئمتهم الختفين ؛ له كل ما للإمام الظاهر من خصائص روحية ، ولا بدّ من ظهوره بعد اختفاء ، تؤيده العناية الإلهية ، وليس ظهوره فقط لتخليص العالم وتطهيره من الجور ، ولكن لينتصر أيضاً لآل البيت الذين ذاقوا صنوف الخسف من مختلف الحاكمين .

وليس هذا المهدي الختفي في عزلة تامة عن شيعته ، بل يتصل به الصفوة منهم اتصالاً شخصياً مباشراً ؛ روى الشعراني — فيما حدثنا به « جولدزيهر »^(١) Goldziher — عن الصوفي حسن العراق أنه في حدائته — وهو مقيم بدمشق — قد أضاف المهديّ وقراه أسبوعاً كاملاً ، وأخذ عنه أساليب الذكر والزهادة ، وأن الفضل في طول عمره يرجع إليه . وقد كانت سنّ العراق عندما روى عنه الشعراني روايته هذه سبعاً وعشرين ومائة سنة .

وليس حتماً أن يكون الاتصال بالمهدي شخصياً ، بل يجوز أن يكون بطريق التراسل ، وقد قال رواة الشيعة ، إن بعض علمائهم في التفسير قد راسل المهدي لاستجلاء بعض المسائل الغامضة في أبواب التشريع الإسلامي الشيعي ، كما يقولون إن عليّ بن بابويه القمّي — والد الفقيه المتشيع أبي جعفر محمد المعروف بالصدوق والمتوفى بالري عام ٣٥١ هـ^(٢) = ٩٩١ م — قد أرسل طلباً مكتوباً إلى المهدي — وهو هنا مهدي الإمامية الاثني عشرية محمد بن الحسن العسكري — مع رجل يدعى عليّ بن جعفر بن الأسود ، يسأله فيه أن يتشفع له عند الله ليرزقه العقبَ ويرفع عنه محنة العقم ، فنسلم بعد قليل براءة مكتوبة من المهدي ، بشره فيها بولدين كان الفقيه

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٥ .

(٢) ذكرت « دائرة المعارف الإسلامية » أن تاريخ وفاته الهجري هو عام ٣٨١ ، راجع هذه المادة في المجلد الأول من الترجمة العربية للدائرة .

أبو جعفر الصدوق أكبرهما ، وكان كثيراً ما يفتخر هذا الفقيه ، بأنه مدين بوجوده لبشرى « صاحب الأمر »^(١) .

ولهدى الشيعة كثير من خصائص الأنبياء السابقين ، قال صاحب الكافي :
« قال الصادق : نظرت في صبيحة هذا اليوم في كتاب الجفر الذي خص الله به محمداً
والأئمة من بعده ، وتأملت فيه مولد غائبنا ، وغيبته ، وإطائه ، وطول عمره ، وبلوى
المؤمنين في ذلك الزمان وتولد الشكوك في قلوبهم ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ،
وخلعهم ربة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقديس ذكره : (وكل إنسان ألزمناه
طائفة في عنقه) يعنى الولاية . قلنا يا ابن رسول الله ، كرمنا وشرّفنا ببعض ما أنت
تعرفه من علم ذلك : قال : إن الله جعل في القائم منّا سنناً من سنن أنبيائه ؛ سنة
من نوح : طول العمر ، وسنة من إبراهيم : خفاء الولادة واعتزال الناس ، وسنة
من موسى : الخوف والغيبة ، وسنة من عيسى : اختلاف الناس فيه ، وسنة من أيوب :
الفرج بعد البلوى ، وسنة من محمد : الخروج بالسيف يهتدى بهداه ويسير بسيرته »^(٢)

وسيطر بظهور المهدي ، ذلك التراث الضخم الذي انحدر إلى الأئمة من الإمام
الأول على ، والذي ظل عندهم سرّاً مكتوماً ، والكافي يحدّثنا عن شيء من هذا
التراث الذي سيزود به المهدي ؛ فسيكون معه حجر موسى ؛ به يطعم جيشه ويسقيه ،
والجفران — الأكبر والأصغر — ، ومصحف على . ومصحف فاطمة ، والجامعة ،
وصحيفتان ؛ إحداهما فيها أسماء شيعته وأنصاره إلى يوم القيامة ، وفي الأخرى أسماء
أعدائه كذلك ، وسيكون معه أيضاً درع النبي وسيفه ذو الفقار^(٣) .

والجفران — كما تقول الشيعة — إهاب ماعز وإهاب كبش ؛ فيهما زبور داود

(١) أحد ألقاب مهدي الاثني عشرية ، محمد بن الحسن العسكري ، الختفي في السرداب منذ
عشرة قرون ونيف ، وانظر فيما يتعلق بموضوع ابن نابويه القمي كتاب « جولدزيهر » Goldziher
« العقيدة والشريعة في الإسلام » الترجمة العربية ص ٣٤٥ .

(٢) أنظر الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص ٩٩ نشر الخانجي بالماهرة .

(٣) المصدر السابق ص ٩٧ وما بعدها .

وتوراة موسى وإنجيل عيسى وعلوم الأنبياء والأوصياء . ومن مضى من علماء
بنى إسرائيل ، وفيهما عامة الحلال والحرام ، وعلم ما كان وما يكون . وقد أطلقت
لفظة « الجفر » على الكتب الخفية الغامضة التي تبحث في التنبؤات عامة ، وتناول
هذه الكتب وشرحها ، هو موضع اهتمام المشتغلين بالسحر والطلاسم ، وكثيراً
ما أسهم الصوفي الكبير محيي الدين بن عربي ، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي ،
بفصيب كبير في الاشتغال بهذه الكتب .

وقد سخر ابن قتيبة من تفسير الروافض للقرآن الكريم ، وما يدعونه من علم
باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذي ذكره هارون بن سعد بن هارون العجلي
وقال فيه (١) :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا فكلهم في جعفر قال منكر
فطائفة قالوا : إله ، ومنهم طوائف سمته النبي المطهر
فإن كان يرضى ما يقولون جعفر فإني إلى ربي أفارق جعفرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم برئت إلى الرحمن ممن تجمراً
وقد سخر أيضاً شاعر المعرة ، أبو العلاء — الفيلسوف الإسلامي المتشائم —
من جفر الشيعة في قوله (٢) :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك (٣) جفر
ومرأة المنجم وهي صغرى أرتة كل عامرة وقفر
أما مصحف علي ، فهو عندهم القرآن الصحيح الذي نزل به جبريل من السماء ،
وهو يختلف عن مصحف السنة ؛ روى الكافي عن الصادق أن القرآن الذي نزل به
الوحي على محمد سبعة آلاف آية ، والتي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث

(١) عيون الأخبار - ٢ ص ١٤٥ وما بعدها ط (الدار) ، وانظر « تأويل مختلف الحديث »
ص ٨٥ ، و نظر أيضاً البغدادي « الفرق بين الفرق » ص ١٥٣ وما بعدها .
(٢) اللزوميات - ١ ص ٣٩٠ ط المحروسة ١٨٩١ م .
(٣) المسك : الجلد .

وستون آية فقط ، والبواق مخزونة عند أهل البيت ، فيما جمعه علي بن أبي طالب ؛ قال الكليني : « إنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة ، وأنهم يعلمون علمه كله ، وقد كذب من ادعى من الناس أنه جمع القرآن كله ، فما جمعه وحفظه كما نزله الله إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده »^(١) . وليس مصحف السنة ناقصاً فحسب ، بل هو عند غلاة الشيعة مغير مبدل ؛ تعمّد جامعوه حذف الآيات النازلة في عليّ ووضع أخرى مكانها في محمد ؛ قال عبد القاهر البغدادي :

« والخلاف الثالث مع الروافض الذين قالوا : لاجحة اليوم في القياس والسنة ولا في شيء من القرآن ، لدعواهم وقوع التحريف فيه من الصحابة ، وقد زعموا أن الحجة ، إما هو قول الإمام الذي ينتظرونه ، وهم قبل ظهوره في التيه حيارى ، إلى أن يستقدم الإمام الذي ينتظرونه ، إذا ظهر ، بزعمهم »^(٢) .

وقال ابن حزم : « ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل ؛ زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدّل منه كثير »^(٣) . وأما مصحف فاطمة ، فهو قرآن من نوع آخر ، مخزون عند آل البيت ، إلى أن يخرج به المهدي ؛ روى الكليني :

« قال الصادق : هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ؛ مكثت فاطمة بعد النبي خمساً وسبعين يوماً ، صبّت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله ، فأرسل الله إليها جبريل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها وعمها يحدث لذريتها ، وكان عليّ يستمع ويكتب ما سمع ، حتى جاء منه مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ، ليس فيه شيء من حلال ومن حرام ، ولكن فيه علم ما يكون »^(٤) .

و « الجامعة » قالوا : هي صحيفة طولها سبعون ذراعاً ، فيها جميع ما يحتاج إليه

(١) الكافي - ١ ص ١١٠ ، وانظر الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص ٢٣ ، وانظر أيضاً « التبصير في الدين » للأسفرايين ص ٢٤ وما بعدها .

(٢) أنظر « أصول الدين » ص ١٩ ط استانبول ١٩٢٨ م .

(٣) « الفصل في الملل والأهواء والنحل » - ٤ ص ١٨٢ ط مطبعة التمدن .

(٤) الكافي - ١ ص ١١٥ ، وانظر أيضاً « الوشيعة » ص ٩٨ .

الناس وهي من إملة النبي وخط على^(١) . . . ١ .

ويهزأ الإسلام السنّي بكل هذا التراث الموهوم ، ويعدّه من الشيعة سرّافاً في القول وشططاً بل خلطاً وخبطاً ، ويقطع أهل السنّة بكفر من شك في القرآن ، أو قال بنقصه أو تبدّله ، مجّمين على أن مصحف عثمان هو تماماً الذي هبط به جبريل على محمد ، كما ينكرون نزول جبريل من السماء بعد موت الرسول ، ويشكون - مجّمين - في إسناد ما يروى من أمثال هذه الأقوال إلى جعفر الصادق .

وجعفر الصادق هذا الذي ينقل عنه الكافي - بخارى الشيعة - بكثرة ظاهرة ، وترتفع إليه روايات الشيعة مسندة أو دون إسناد ؛ هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر ، فهو علوي الأب بكرى الأم ، وفي هذا الصدد يقول الشريف الرضي :
وحزنا عتيقاً وهو غاية فخركم بمولد بنت القاسم بن محمد
ولقرا بته هذه من جده الخليفة الأول أبي بكر ، كان يُنظر إليه دائماً نظرة فيها الكثير من الاحترام والاعتدال ، والصادق سادس الأئمة الاثني عشرية ، وقد لُقّب بالصادق لصدقه في القول ، كما لُقّب أبوه محمد بالباقر لتبقره في العلم أي توسعه فيه . وقد وُلد جعفر عام ٨٠ هـ وتوفى في شوال عام ١٤٨ هـ في العام العاشر من حكم الخليفة أبي جعفر المنصور ، ودفن ببيمع الفرقد بالمدينة مع أبيه وجده وعم جده الحسن بن علي .

ويحتل الصادق لدى جمهور أهل السنّة مكانة محترمة ، لذلك يشكون في كل ما ينسب إليه من أقوال بعيدة عن روح الإسلام السنّي ، الذي يظهر أن الصادق لم يؤخذ عليه في حياته ما يتناقض معها أو يبدو غريباً عنها^(٢) . وقد زعمت

(١) « الوشيعة » ص ٩٨ .

(٢) يؤيد ذلك ما رواه العلامة الألوّسي ، إذ يحدثنا فيقول :

« وأطلق بعض الغلاة من الشيعة القول بالإيماء إلى الأئمة الأطهار ، وهم رضی الله تعالى عنهم بمجمل عن قبول قول أولئك الأشرار ؛ فقد روى أن سديراً الصيرفي سأل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فقال :

« النواسية »^(١) أن جعفرأ هذا هو المهدي المنتظر ؛ فقالت بحياته وعدم موته حتى يظهر ويظهر أمره ، ورووا عنه أنه قال : « لورأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا ، فإنني صاحبكم صاحب السيف » .

ونحن لانعلم إلا القليل عن أوصاف الصادق الجسمية ، إلا أنه كان أبيض الوجه والجسم أشم الأنف حالك الشعر ، ولم يُذكر كذلك إلا القليل عن حياته البيتية غير أننا نعلم أنه أعقب أولاداً عشرة ، سبعة ذكور وثلاث بنات من أمهات مختلفات ومن نساء كان يتسراهن . أما في عالم السياسة فلم يكن له — فيما يظهر — شأن خطير في ميدانها ، بل كان يمتاز بطابع الزهد في الدنيا والابتعاد عن ذوى السلطان ، سواء أكان ذلك عن تقية منه أو عن عقيدة ومبدأ ، وقد بدا هذا الطابع السلبي في موقفه من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ؛ فقد كتب إليه :

« لم لا تغشانا كما تغشانا الناس ؟ فأجابه : ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عقدة من الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فتهنيك بها ، ولا نعدّها نعمة فتهزئك لها » ، فكتب إليه المنصور : « نصحبنا لتصححنا » ، فأجابه الصادق بقوله : « من يطلب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك »^(٢) .

حكى المسعودي^(٣) أن أبا سلمة (داعية العباسيين) حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام ، أضر الرجوع — عما كان إليه من الدعوة العباسية — إلى آل أبي طالب

• جمعت فداك ، إن شيعتكم اختلفت فيكم فأكثر ، حتى قال بعضهم : إن الإمام ينكت في أذنه ، وقال آخرون : يوحى إليه ، وقال آخرون : يقذف في قلبه ، وقال آخرون : يرى في منامه . وقال آخرون : إنما يفتى بكتب آبائه !... فبأى جوابهم أخذ يعمانى الله فداك ؟ .
« قال : لا تأخذ بشئ . مما يقولون ياسدير ، نحن حجج الله تعالى وأمنائوه على خلقه ؛ حللنا من كتاب الله تعالى وحرامنا منه » . أنظر تفسير الألويسي > ٧ ص ٦٥ ط بولاق .

(١) أنظر الشهرستاني > ٢ ص ٣ على هامش ابن حزم ، وأنظر أيضاً ابن حزم > ٤

ص ١٨٠ ، والفرق بين الفرق ص ٣٨ وما بعدها ، ومختصره للرسعنى ص ٥٦ .

(٢) الكشكول لبهاء الدين العاملي > ١ ص ١٢٩ ط بولاق .

(٣) أنظر صروج الذهب > ٨ ص ٢٨ وما بعدها على هامش ابن الأثير .

فبعث بكتابين مع رسول إلى المدينة ؛ أحدها إلى جعفر (الصادق) ، والآخر إلى عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب فلما وصل الرسول إلى جعفر ، أعلمه أنه رسول أبي سلمة ، ودفع إليه كتابه ليلاً ، فقال جعفر : وما أنا وأبو سلمة ، وأبو سلمة شيعة لغيري ؟ قال له : إني رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت ، فدعا جعفر بسراج ، ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق ، وقال : للرسول : عرّف صاحبك بما رأيت ، ثم تمثل بقول الكميت :

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويأحاطباً في غير حبلك تحببُ

ومهما يكن من شيء فلقد كان لموقف الصادق السلبى أثر كبير فى نجاته من اضطهاد بنى أمية وبنى العباس على السواء ، فى عصر كان يموج بالدسائس والنفتن ، وقد اكتسب الصادق بسياسته هذه ، رضى الخليفة الصارم أبى جعفر المنصور ، حتى يتحدثنا ابن واضح يعقوبى فىقول :

« قال إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس : دخلت على أبى جعفر المنصور يوماً وقد اخضلت لحيته بالدموع ، وقال لى : ما علمتَ ما نزل بأهلك ؟ فقلتُ وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : فإن سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفى ، فقلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : جعفر بن محمد ، فقلت : أعظم الله أجر أمير المؤمنين وأطال لنا بقاءه ، فقال لى : إن جعفرأ كان ممن قال الله فيه (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وكان ممن اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات ^(١) .

وقد عُرِف الصادق — كأبيه — بعلمه الفياض الغزير ، لاسيما درايته الواسعة بالحديث ؛ قال الشهرستانى :

« وهو ذو علم غزير فى الدين ، وأدب كامل فى الحكمة ، وزهد بالغ فى الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ويُفيض على المواين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة ، ما تعرض للإمامة

(١) أنظر تاريخ ابن واضح ٣ ص ١١٧ ط النجف بالعراق ١٣٥٨ هـ .

قط ، ولانازع أحداً في الخلافة ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطعم في شط ،
ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط^(١) .

وقد تتلمذ عليه عالم المدينة الإمام مالك بن أنس ، واستمع إليه عالم العراق
أبو حنيفة النعمان . ويقال إنه اشتغل بالتنجيم والكيمياء ، وقد نُسب إليه كتاب
« الجفر » ، وذكر ابن خلكان^(٢) أن من تلامذته جابر بن حيان الصوفي
الطرسوسي ، الذي جمع رسائل أستاذه وهي خمسمائة في كتاب ، يشتمل على ألف ورقة .
والصادق يشغل — كما قلنا — في كتب الشيعة مكانا ملحوظا ؛ فلا يكاد يخلو
كتاب من إسناد أقوال وأحاديث وروايات إليه ، « ولم يرو عن أحد من أهل بيته
ماروَى عنه ، حتى قال الحسن بن علي الوشاء — من أصحاب الرضا — : أدركت
في هذا المسجد (يعني مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ ، كل يقول : حدثني
جعفر بن محمد . . . وذكروا أن الرواة عنه بلغوا نحو أربعة آلاف رجل^(٣) » .
ونحن لانشك في وضع الكثير من تلك الأقوال على لسانه ؛ قال الشهرستاني :
« لكن الشيعة بعده افترقوا ، وانتحل كل واحد منهم مذهباً ، وأراد أن يروجه
على أصحابه ، فنسبه إليه ور بطله به ؛ والسيد برىء من ذلك^(٤) . . . » .

وقد اختلف في الصادق رجال الحديث ، فالبخاري أسقط روايته^(٥) ، وقال يحيى
ابن سعيد « في نفسه منه شيء » وقال القطان : « مجالد أحبّ إلىّ منه^(٦) » ،
وقد وثقه الشافعي ، ويحيى بن معين وابن عدى وغيرهم^(٧) ، ويصفه الذهبي بأنه

-
- (١) الملل والنحل - ١ ص ٢٢٤ و ٢ ص ٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .
(٢) وفيات الأعيان - ١ ص ١٠٥ ط الحلبي ، وانظر أيضاً شذرات الذهب لابن العماد - ١
ص ٢٢٠ ط القدسي بالقاهرة .
(٣) أعيان الشيعة لمحسن الأمين العامل - ٤ ص ٦٥٠ ط دمشق .
(٤) الملل والنحل - ٢ ص ٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .
(٥) أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي - ١ ص ١٥٧ ط حيدر آباد ١٣٣٣ هـ ، وانظر أيضاً
شذرات الذهب لابن العماد - ١ ص ٢٢٠ .
(٦) شذرات الذهب - ١ ص ٢٢٠ .
(٧) تذكرة الحفاظ - ١ ص ١٥٧ ، وشذرات الذهب - ١ ص ٢٢٠ ، وانظر ضحى الإسلام
لأحمد أمين - ٣ ص ٢٦٥

سيد بنى هاشم^(١) ، وقال ابن حبان : « كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً ، يحتج بحديثه من غير رواية أولاده عنه . . . ، وقد اعتبرت حديث الثقات عنه ، فرأيت أحاديثه مستقيمة ليس فيها شيء يخالف حديث الأئمة ، ومن الحال أن يلصق به ما جناه غيره^(٢) . . . » .

أما تلك المؤلفات التي تحمل اسم الصادق في التنجيم والسحر والكيمياء ، فنحن لانشك في أنها قد دُست عليه فيما بعد .

ولابد لنا قبل أن نختم هذا الفصل ، أن نعالج مسألة وقت ظهور مهدي الشيعة وخروجه من مخبأه فنقول : لعل من الطبيعي أن يميل أنصار هذا المعتقد إلى تحديد اللحظة التي يظهر فيها إمامهم المهدي ، مثلهم قلقين ، مشرئبة أعناقهم واجفة قلوبهم ، كما أوضحنا في حديثنا عن « الرجعة » . وقد قام بهذه المحاولة بعض من الصوفية والشيعة ، الذين سلكوا — كما يقول « جولذيهير »^(٣) Goldziher — نفس الطريق الذي سلكه فقهاء اليهود ، فقد سبق أن قام هؤلاء بحسابات تأويلية في هذا الصدد ، انتهجها الإسلاميون فأولوا آيات القرآن الكريم ، وحاولوا جذبها إليهم جذباً عنيفاً ، وتفسيرها تفسيراً متعسفاً ، كما قاموا أيضاً بحسابات وتجميعات للحروف والأعداد ، ليصلوا من ذلك كله إلى تحديد الوقت الذي يظهر فيه إمامهم الخفي . ولم تصادف هذه المحاولة نجاحاً ولا قبولاً في الإسلام الشيعي بوجه عام ؛ إذ لم يرق هذا الصنيع لدى أقطاب التشيع المعتدل ، فنددوا بهؤلاء « الموقتين » ووصموهم بالخداع والتدجيل ، وحظروا الاشتغال بمثل هذه المسألة ، محتجين في ذلك بأقوال وروايات للأئمة ، وهذه الروايات تؤلف في « الكافي » فصلاً خاصاً هو « باب كراهية التوقيت »^(٤) . وقد ألف أحد غلاة الشيعة وهو محمد بن حسن القمي

(١) أنظر دول الإسلام للذهبي > ١ ص ٧٢ ط حيدر آباد ١٣٦٤ هـ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني > ٢ ص ١٠٣ ط حيدر آباد .

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٩٣ .

(٤) الكافي للكليني > ١ ص ١١٥ وما بعدها .

— المعروف بوضعه للحديث — كتاباً وسمه باسم « وقت خروج القائم ^(١) » ذهب فيه إلى تحديد الوقت الذي سيظهر فيه المهدي ، ولم يصل هذا الكتاب إلى أيدينا ، حتى نستطيع أن نرى فيه فلسفة « التوقيت » اليهودية ومبلغ نضجها .
ومهما يكن من شيء فلم تصادف هذه الفلسفة لدى الشيعة قبولاً ، من جرّاء ما قوبلت به من معارضة ورفض ، ويدلّك على مبلغ رفضها لدى معتدلي الشيعة ، أن كتاب تراجمهم — كما لاحظ ذلك « جولدزيهر » ^(٢) Goldziher — إذا تحدثوا عن أحد علماء الكلام الشيعي ، قالوا — خطأً له وتنفيراً منه — « إنه من المباليغين في الوقت » أي في تقدير وقت ظهور المهدي .

(١) أنظر « جولدزيهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » ص ٣٣٨

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٣٣٨

الفصل الرابع

فرق الشيعة إزاء هذا المعتقد

لقد ذهب أهل التشيع في معتقداتهم مذاهب شتى ؛ فتعددت فرقهم وكثرت طوائفهم كثرة بالغة ، بيد أنهم يرجعون في جملتهم إلى أربع فرق رئيسية : سبائية ، وكيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وسنحاول التحدث عن « المهديّة » عند كل فرقة من هذه الفرق .

السبائية :

أسبق فرق الشيعة ظهوراً على مسرح التاريخ الإسلامي ، وإن سبقها متشيعون ، لكن لا معنى لفرقة ذات عقائد وكيان ؛ بل بمعنى أنصار وأشياع ، وهذا هو المعنى اللغوي للفظ « الشيعة » . وشيعة عليّ أو أنصار عليّ ، هم أولئك الذين التفوا حوله وامتنعوا عن مبايعة أبي بكر ، ساخطين على مؤتمر السقيفة ، الذي أهدر حقوق بنى هاشم ، وتناسى قرابتهم للرسول صاحب الأمر ، فخطَّ بذلك أول سطر في ظلم « آل البيت » الذي عجزت به صحائفهم الحمراء الدامية من مختلف الحاكمين . وفي هذا الصدد يقول الشاعر المتشيع مهيار الديلمي^(١) :

حَمَلُوهَا يَوْمَ « السَّقِيْفَةِ » أَوْزَا رَأَى تَخَيَّفُ الْجِبَالُ وَهِيَ ثَقَالُ
يَالَهَا سُوءَةً إِذَا « أَحْمَدُ » قَا مَغْدَاً بَيْنَهُمْ فَقَالَ وَقَالُوا
وَيَقُولُ أَيْضاً^(٢) :

وَقَدْ جَمَلَ^(٣) الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ لِحَيْدَرٍ^(٤) بِالْخَبْرِ الْمُسْتَفِيدِ

(١) ديوان مهيار > ٣ ص ١٦ ط الدار .

(٢) المصدر السابق > ١ ص ٢٩٩

(٣) الضمير يعود على الرسول عليه السلام .

(٤) من ألقاب علي بن أبي طالب .

وسمّاه مولى بإقرار من لو اتبّع الحقّ لم يَجد
يعزُّ على « هاشم » و « النبي » تلاعبٌ تَتمُّ بها أو عَدِي^(١)

أما « الشيعة » السبائية ، فهم أصحاب ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليمنى ،
أحد أبحار اليهود الذين ساءتهم الدعوة الإسلامية ، بعقائدها البسيطة السهلة السمحة ،
التي كانت أكبر عامل في انتشارها وكثرة معتنقيها ، كما ساءهم ظفرها ، إن في ميدان
الحجّة أو السيف ، فقد كانت تخرج دائماً من الميدانين أكثر أنصاراً وأعمّ ذبوعاً
وأشدّ عوداً وأصلب مكسراً ؛ فعمد هؤلاء اليهود الحنقون إلى النظاهر بالإسلام ،
ثم التشيع لآل البيت — وهم الجانب الذي يبدو مظلوماً لدى الجماهير — فاكتسبوا
لذلك رضى العامة وثقتهم ، ونالوا حظاً من العطف والإعجاب ساعدتهم على بثّ
معتقداتهم الهدّامة وأفكارهم الغريبة ، التي تبعث على الشك أو تحاول العبث
بأصول الدين ، بغية هدم المجتمع الإسلامي وتقويض بنيانه ، وقد أغرق هؤلاء
الأبحار المتمسلمون المغرضون ، السوق الإسلامية ببضاعتهم وإسرائيلياتهم ، التي
سرعان ما نفقت وراجت وطفحت بها كتب « التفسير » ، واتسع بها ميدان
« الحديث » ، واشتغلت بها العقول بين رفض وقبول .

وقد كان عبد الله بن سبأ ، أحد هؤلاء الأبحار ، ورأس كل الفتن والاضطرابات
التي حاقت بالمجتمع الإسلامي الأول ، وقد شك بعض الباحثين في شخصيته ووجوده ،
غير أن البحث العلمى حدا بالعلماء أخيراً إلى الاعتراف به كشخص له وجود تاريخى
وكيان حقيقى ، وقد ظهر هذا الداعية المتنقل في خلافة عثمان ، وأخذ يقطع البلاد
الإسلامية طولاً وعرضاً ، يحاول بذلك « إضلال المسلمين » على حد تعبير الطبرى^(٢) .
وأصله من صنعاء اليمن ، وقد طوّف بالحجاز ومدينتى البصرة والكوفة بالعراق ، ثم توجه
إلى الشام ، واستقر أخيراً في مصر ، حيث قام فيها بدور رئيسى هام في المؤامرة الواسعة

(١) « تيم » قبيلة أبى بكر ، و « عدى » قبيلة عمر بن الخطاب .

(٢) الطبرى ٥ ص ٩٨ ط الحسينية .

النطاق التي حكمت حول عثمان ، عاملاً بذلك على مناصرة عليّ ، الذي كان يظهره دائماً في صورة المظلوم من الخلفاء السابقين له ، المغتصبين لحقه المنصوص عليه من الله . وقد كان الناقون في خلافة عثمان ، يكاتبون صاحبنا هذا سراً ، فيملاً قلوبهم غيظاً وصدورهم حنقاً وعقولهم فساداً ، حتى إذا أثمرت بذور الشر التي بذرها ، وغلى مرجل الأمة الإسلامية ، سار مع الركب الذي توجه من مصر إلى المدينة ، قبل مقتل عثمان محرّضاً على الثورة^(١) .

وابن سبأ هو مؤسس فرقة السبائية التي تحمل اسمه ، والتي تعتبر — كما قلنا — أسبق فرق الشيعة وجوداً في التاريخ . وكأزج هذا اليهودي بنظرية « الجزء الإلهي » في البيئة الإسلامية ، وبالتالي « ألوهية عليّ »^(٢) كذلك أزج بعقيدة « المهدي » فكان أول القائلين بها ، وقد زعمها أيضاً في صاحبه عليّ ، الذي وجد فيه مزرعة لتجار به وحقلاً لعقائده ، مستعيناً في ذلك بقرابة عليّ من الرسول ومصاهرته له ، وكيد مؤتمر السقيفة به ، وعطف الناس عليه والتفافهم حوله ، وقد برّم عليّ رضوان الله عليه بادعاءات ابن السوداء التي زعمها فيه من تأليه ووصاية ومهدية ، وضاق بها وبه ذرعاً ، فهممّ بقتله — بعد أن أحرق بالنار كثيراً من أتباعه^(٣) — فصاح الناس : « يا أمير المؤمنين أنتقل رجلاً يدعو إلى حكم أهل البيت والبراءة من أعدائك ! »^(٤) . ويدلنا هذا القول على مقدار تمكن ابن السوداء عند الجماهير وحبهم له ، كما يدلنا على تعلقهم بعليّ وآل بيته ، وقد استجاب عليّ لنداء القوم ،

(١) الطبري صفحة ١٠٤

(٢) أنظر صفحة ٧٦ من كتابنا هذا .

(٣) أنظر كتابنا أيضاً والصفحة نفسها

(٤) قال البغدادي : « وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة ، فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً ، وأن علياً رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء ، كما أن محمداً خير الأنبياء ؛ فلما سمع ذلك منه شيعة عليّ ، قالوا لعليّ : إنه من محبيك ، فرفع على قدره وأجلسه تحت درجة منبره » أنظر « الفرق بين الفرق » ص ١٤٤ ، نشر العطار بالقاهرة ، أو مختصره للرسعني ص ١٤٣

فنفى ابن السوداء إلى ساباط المدائن ، خوفاً من شماتة أهل الشام واختلاف أصحابه عليه كما يقول البغدادي^(١) .

وفي المدائن أخذ ابن سبأ يروج ابضاعته ، وقد التفَّ حوله أنصار وأشباع من غُفْل القلوب وقُفْل العقول ، ولما بلغه نعي عليّ قال للذي نعاه : « كذبت لو جئتنا بدماعه في سبعين صُرّة ، وأقت عليّ قتله سبعين عدلاً ، لملنا أنه لم يمت ولم يُقتل ولا يموت ، حتى يسوق العرب بعصاه ، ويملك الأرض فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » ، ومن ثم قال ابن سبأ « برجة » عليّ كهدى في آخر الزمان ، كما أسلفنا القول في حديثنا عن « الرجعة^(٢) » .

(١) يقول البغدادي : « السبأية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه ، وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة ، ورفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه ، فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين ، حتى قال بعض الشعراء في ذلك :
لترم بي الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين

ثم إن علياً رضي الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شماتة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن » .

أنظر « الفرق بين الفرق » ص ١٤٣ ، أو مختصره ص ١٤٢ . وانظر أيضاً « التبصير في الدين » للأسفراييني ص ٧١ وما بعدها .

(٢) انظر كتابنا هذا ص ٣٨ وما بعدها .

الكيسانية

الكيسانية من أهم فرق الشيعة فيما نحن بسبيل درسه من عقيدة المهديّة ، وهي منسوبة إلى « كيسان » قال الشهرستاني : هو « مولى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية^(١) » ، أما مؤسس الفرقة وزعيمها ، فهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ، المولود في السنة الأولى من الهجرة ، وأحد دهاة الساسة في العصر الأموي ، وقد لُقّب المختار بكيسان ، لأنه تلقى العلم عن « كيسان » مولى عليّ ، الذي يقال إنه هو الذي حمله على الطلب بدم الحسين وعرفه بقتلته ، أولاً لأن صاحب شرطته الفتاك المكنى أبا عمرة اسمه « كيسان » ، أو لأن المختار نفسه — كما يقول البغدادي^(٢) — كان يلقب أصالة « بكيسان » .

والمختار من إحدى بيوت ثقيف العريقة في المجد ، فهو حفيد عظيم إحدى القريةين مسعود بن عمرو الثقفي ، وقد كان له في العصر الأموي تاريخ يدل على دهاء سياسي كبير ، وإن لم يكن مشرفاً من الناحية الأخلاقية ؛ إذ لم يعرف الإخلاص سبيلاً قط إلى قلبه ، فهو خير نموذج للأمير المكياقلبي ؛ كان خارجياً ، ثم ثار في وجه بني أمية مشايحاً لابن الزبير ، ثم تشيع لآل البيت خالفاً طاعة ابن الزبير ، ثم انفلت من تشيعه وهو في أوج عظّمته وحارب الشيعة ، ثم خرج من الإسلام عامة وادّعى النبوة . وإلى القارىّ نسوق شيئاً من قرآنه الذي أوحى إليه ، يقول :

« أما والذي أنزل القرآن ، وبينَ الفرقان ، وشرع الأديان ، وكره العصيان ، لأقتلن البغاة ، من أزد عمان ، ومذحج وهمدان ، ونهد وخولان ، وبكر وهزّان ، وتُعل ونمهان ، وعبس وذبيان ، وقيس وعيلان — وحقّ السميع العليم ، العليّ العظيم ، العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم ، لأعركنَّ عرك الأديم ، أشراف بني تميم . . . » !

(١) الملل والنحل - ١ ص ١٩٦ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) أنظر « الفرق بين الفرق » ص ٢٦ نشر الطائر بالقاهرة .

ويقول: «أما ومشى السحاب ، الشديد العقاب ، السريع الحساب ، العزيز الوهاب ،
القدير الغلاب ، لأنبشَنَ قبر ابن شهاب^(١) ، المفترى الكذاب ، المجرم المرتاب .
ثم ورب العالمين ، ورب البلد الأمين ، لأقتلن الشاعر المهين ، ورازجَ المارقين ،
وأولياء الكافرين ، وأعوان الظالمين ، وإخوان الشياطين ، الذين اجتمعوا على
الأباطيل ، وتقولوا على الأقاويل ، وليس خطاى إلا لذوى الأخلاق الحميدة ، والأفعال
السديدة ، والآراء العتيدة ، والنفوس السعيدة^(٢) . . . » !! الخ

وأكبر الظن أن النبوة هي الأخرى — بمد نجاحه السياسي المنقطع النظير —
لم تشعب طموحه فانساخ منها وادعى الألوهية . . . !!

ولابد لنا من التحدث بإفاضة عن فرقة «الكيسانية» هذه بوجه خاص ؛
فتاريخها — بحق — يُعد نموذجاً رائعاً للاتجار بعقيدة «المهدى» واستغلالها
في المآرب السياسية .

ثار الخنثار في وجه بنى أمية مع مسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وكاد يصيبه
ما أصاب مسلماً والحسين ، على يد عبید الله بن زياد — الذى ضرب به على حاجبه
فشرته أو شجّه ، فسُمى الأشر — لولا شفاعته بعض القوم ، فحلى عبید الله سبيله وأمره
بمقادرة الكوفة في ثلاثة أيام وإلا قتله ، فخرج منها صاحبنا خائفاً يترقب ميمماً شطر
الحجاز ، حيث بايع في مكة عبد الله بن الزبير الذى كان خارجاً على بنى أمية ، وفي
الوقت نفسه كان يضمم الشر للعلويين لامتناعهم عن مبايعته ، وقد بدأ ينظم بطشه
بهم عندما انتهت إليه ولاية الحجاز والعراق واليمن وفارس ، وكاد يقضى عليهم ،
لولا أن سارع بالقضاء عليه الحجاج بن يوسف الثقفي من قبيل بنى أمية .

وكان يقيم بمكة بجوار ابن الزبير ، أحد ولد علي بن أبى طالب من غير فاطمة ،
هو محمد بن علي المعروف بابن الحنفية ، أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بنى حنيفة ،
وقيل هي سندية سوداء ليست من بنى حنيفة وإنما هي أمة لهم ، وقيل كانت من سبي

(١) يقصد الإمام المشهور محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى .

(٢) أنظر «الفرق بين الفرق» للبغدادى ص ٣١ وما بعدها ، ولختصر للرسعنى ص ٤٥ .

وما بعدها ، وانظر أيضاً الكامل للبرد ص ٧ ص ٢٠٦ نشر المرصنى .

اليمامة وصارت إلى عليّ فأولدها محمداً هذا الملقب بأبي القاسم ، والذي يُعد من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة . وقد جاءت الإمامة من أبيه عليّ مباشرة ، حينما دفع إليه الراية يوم « الجمل » قائلاً له :

اطعنهم طعن أبيك محمد لا خير في حرب إذا لم توقد^(١)
بالمشرفي والقنا المشرد

أو أن الإمامة قد انتقلت من عليّ إلى الحسن ثم إلى الحسين ، الذي أوصى بها إلى أخيه محمد هذا .

حاول ابن الزبير - جاهداً - أن يجذب إلى صفته كلاً من محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس ، ليشدّ بهما وبينى هاشم أزره ، ولكن عبثاً حاول ، فقد رفضا مبايعته ، وعندئذ أخذ ابن الزبير يضطهد آل عليّ ، وبعد عدته للقضاء على ابن الحنفية ، وهنا وجد المختار الفرصة سانحة لتحقيق أغراضه ومطامعه ، فاعتزم الهرب إلى الكوفة متسحراً بوشاح التشيع ، وأنفذ مالاً كثيراً إلى عليّ بن الحسين بن عليّ ، وكتب إليه يريد مبايعته والقول بإمامته ، ولكن عليّاً - كما يقص علينا المسعودي^(٢) - رفض طلبته ، وأبى أن يقبل هديته أو يجيبه عن كتابه ، بل سبّه على رموس الملاء في مسجد النبي وأظهر كذبه ونجوره ولما يتبس منه المختار كتب إلى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك ؛ فشاور ابن الحنفية ابن أخيه عليّ بن الحسين في الأمر ، فأشار عليه ألاّ يجيبه إلى شيء من ذلك ، وأن يُشهر أمره ويُظهر كذبه ، غير أن ابن الحنفية رأى أن يستشير في الأمر ابن عباس أيضاً ، فقال له ابن عباس : « لا تفعل فإنك لا تدري ما أنت عليه من ابن الزبير » قال المسعودي : « فأطاع (ابن الحنفية) ابن عباس وسكت عن عيب المختار »^(٣) .

(١) أنظر « التبصير في الدين » للأسفرايني ص ١٨ ، وعند البغدادي في « الفرق » ص ٢٦ والرسعني في « المختصر » ص ٣٦

لا خير في الحرب إذا لم تزد

(٢) أنظر صروج الذهب > ٦ ص ١٥٥ على هامش ابن الأثير .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٦

وكهذا قيل ابن الحنفية ما عرض عليه المختار من الدعوة إليه وإظهار إمامته ، كما يتضح من رواية « مروج الذهب » وتم التعاقد بينهما ، فجاء المختار وقال له : — كما يحدثنا البلاذري في كتابه « أنساب الأشراف » — « إني على الشخصوخ للطلب بدمائكم والانتصار لكم ، فسكت ابن الحنفية ، ولم يأمره ولم ينهه ، فقال المختار : سكوتة عنى إذن لي وودّعه ، فقال له ابن الحنفية : عليك بتقوى الله ما استطعت » .

ومن روايتي المسعودي والبلاذري هاتين ، نكاد لا نشك في أن معاهدة خطيرة قد عقدت بين المختار وابن الحنفية ضدّ ابن الزبير وبنى أمية جميعاً ؛ على أن تكون مساعدة المختار حربية سياسية ، ومساعدة ابن الحنفية روحية دينية ، يُلبّ بها المختار الداهية ظهور الجماهير ، فتنساق وراءه عن طواعية ، يؤيد ذلك تأييداً قاطعاً ما رواه ابن سعد كاتب الواقدي في « الطبقات » قال : « قال المختار لابن الحنفية : أنا خارج إلى العراق ، فقال له محمد : فاخرج وهذا عبد الله ابن كامل الهمداني يخرج معك » (١) .

لم يجد المختار بداً بعد هذا من الاحتيال على ابن الزبير ، حتى يأذن له بالرحيل إلى العراق ، خوفاً من أن يقطع عليه تدبيره ، فتوجه إليه وقال له — كما يحدثنا ابن سعد — « أعلم أن مكاني من العراق أنفع لك من مقامي هاهنا ، فأذن له عبد الله ابن الزبير ، فخرج هو وابن كامل ، وابن الزبير لا يشك في مناصحته ، وهو مُصِرٌّ على الغش لابن الزبير ، فخرجا حتى لقيا لقيماً بالعزيز ، فقال المختار : أخبرنا عن الناس فقال : تركت الناس كالسفينة تجول لا ملاح لها ، فقال المختار : فأنا ملاحها الذي يقيمها » (٢) .

دخل المختار الكوفة ودعا شيعتها إلى جديد بعض الشيء ، هو مهدية ابن الحنفية الذي أكد المختار أنه استخلفه لأخذ البيعة له ، ولما اجتمعت حوله الشيعة ،

(١) أنظر الطبقات - ٥ ص ٧١ ط ليدن .

(٢) أنظر الطبقات - ٥ ص ٧١

خطب فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أما بعد فإن المهدي ابن الوصي محمد بن علي ، بعثنى إليكم أميناً ووزيراً ، ومنتخباً وأميراً ، وأسرفي بقتال الملحدين ، والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء ^(١) » .

فبدأ على شيعة الكوفة شيء كبير من التردد إزاء هذا الحدث ، ولعلمهم كانوا يعلمون شيئاً من تاريخ المختار وعدم صدقه في دعوة يدعيها ، أو عقيدة يعتقدها أو مبدأ يدين به ؛ فأرسلت وفداً من أعيانها إلى ابن الحنفية ليستأذنه في متابعة المختار ، فقال ابن الحنفية للوفد : « وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ، فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ^(٢) » . ولا ندري لماذا لجأ ابن الحنفية إلى مثل هذا الأسلوب ، بدلاً من أن يواجه الناس بالصریح من القول ؟ وهو بنفسه الذي تعاهد مع المختار وأذن له بالرحيل إلى العراق ، كما اتضح من رواية ابن سعد ، وأكبر الظن أنه فعل ذلك متسترًا ، خوفًا على حياته من ابن الزبير الذي كان له بالمرصاد .

ومهما يكن من شيء فقد اعتبر الوفد الكوفي إجابة ابن الحنفية الملتوية إجازة لهم بمشايعة المختار ^(٣) ، فعادوا إلى الكوفة يشدون من أزره ، ولم يدع المختار - وهو السياسي الحنك - هذه الساحة الفريدة تفلت من يده ، فخطب الناس قائلاً : « يا معشر الشيعة إن نفرًا منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئتُ به ، فرحلوا إلى إمام المهدي والنجيب المرتضى ، ابن خير من جلس ومشى ، حاشا النبي المجتبي ، فسألوه عما قدمتُ به عليكم ، فأنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله ^(٤) » ، فقام عند ذلك أحد الموفدين وهو عبد الرحمن بن شريح ، من مشاهير شيعة الكوفة وقال :

« أما بعد يا معشر الشيعة فإننا قد كننا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ، ولجميع

(١) الطبري ج ٧ ص ٦٤ ط الحسينية .

(٢) الطبري ج ٧ ص ٩٧

(٣) في الطبري : « نخرجنا من عنده ، ونحن نقول قد أذن لنا ، قد قال : لو ددت أن الله

انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال : لانفعلوا » طبري ج ٧ ص ٩٧

(٤) المصدر السابق .

إخواننا عامة ، فقدمنا على المهدي ابن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعما دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرتة وموازرتة وإجابته إلى ما دعانا إليه ، فأقبلنا طيبة أنفسنا ، منشرحة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغل والريب ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدوتنا ، فليبلغ ذلك شاهدكم غائبكم ^(١) .

ولقد كان من الطبيعي بعد هذا أن يلتفت ^(٢) الشيعة حول المختار ، الذي أعمل الحيلة حتى وثب ووثبته الجريئة ، فاستولى على الكوفة ونواحيها ، وقضى على عبيد الله ابن زياد ، ثم ساعده طالعه الحسن ، فخضعت له الجزيرة واستتب له الأمر بعض الشيء . وهنا عرف ابن الزبير ما بين المختار وابن الحنفية من مؤامرة واسعة النطاق للقضاء عليه ، وكان ابن الحنفية لا يزال مقياً بجواره في مكة - دفعاً للظنة وبعداً

(١) الطبري - ٧ ص ٩٧ ، وانظر اليعقوبي - ٣ ص ٥ ط النجف ، وابن الأثير - ٤ ص ٨٣ ط الحلبي .

(٢) ومن الشيعة من لم يقتنع بمزاعم المختار في ابن الحنفية ؛ ولكنه خرج معه ليثأر من قتلة الحسين ، فالطبري يحدثنا : أن المختار توجه إلى دار ابراهيم بن الأشتر وقال له : « أما بعد ، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين الوصي ، وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله . وهو يسألك أن تنصرتنا وتوازرنا » ، فقرأ ابن الأشتر الكتاب فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد المهدي إلى ابراهيم بن مالك الأشتر ؛ سلام عليك فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنني قد بعثت إليك بوزيري وأميني ونجوي الذي ارتضيته لنفسى ، وقد أمرته بقتال عدوى والطب بدماء أهل بيتي ، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرتنى وأجبت دعوتى وساعدت وزيرى كانت لك عندي بذلك فضيلة . . . الخ » .

فوجب ابن الأشتر من هذا الخطاب ، وأبدى ارتياحه فيما حواه من مهدية ابن الحنفية ، وقال للمختار متسائلاً : « قد كتب إليك ابن الحنفية وقد كتبت إليه قبل اليوم ، فما كان يكتب إليك إلا باسمه واسم أبيه ؟ قال له المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال ابراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية لى ؟ » وتنجلي هنا عدم الثقة في المختار واضحة ظاهرة ، ولكن المختار يستشهد بجماعة من أنصاره ، فيشهدون أن الخطاب هو حقاً من ابن الحنفية ، وعند ذلك يبايع ابن الأشتر ، ثم يقول لبعض خاصته : « أفترى هؤلاء شهدوا على حق ؟ قال قلت له : قد شهدوا على ما رأيت ، وهم سادة القراء ، ومشيخة المصر وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون لإحقا ، قال : فقلت له هذه المقالة وأنا والله لهم على شهادتهم منهم ، غير أنى يعجبني الخروج ، وأنا أرى رأى القوم وأحب تمام ذلك الأمر ، فلم أطلعهم على ما فى نفسى من ذلك » أنظر الطبري - ٧ ص ٩٨ وما بعدها . وانظر أيضاً فيما يتعلق بهذا الخطاب المزعوم ، الدينورى « الأخبار الطوال » ص ٢٨٣ ط السمادة ، والبداية والنهاية لابن كثير - ٨ ص ٢٦٥ وما بعدها .

للتهمة في أكبر الظن - فأسرع في القبض عليه ، وحبسه في سجن يدعى « عارماً »^(١) وحنق على آل عليّ وبنى هاشم جميعاً ، حتى ترك الصلاة على النبي من أجلهم ؛ قال اليعقوبي :

« وتحامل عبد الله بن الزبير على بنى هاشم تحاملاً شديداً ، وأظهر لهم العداوة والبغضاء ، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد (ص) في خطبته ، فقيل له : لم تركت الصلاة على النبي ؟ فقال إن له أهل سوء ، يشربون لذكركه ويرفون رءوسهم إذا سمعوا به ، وأخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وأربعة وعشرين رجلاً من بنى هاشم ، ليبياعوا له فامتنعوا ، فحبسهم في حجرة زمزم ، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليبياعن أو ليحرقنهم بالنار ... »^(٢)

رأى ابن الحنفية أن ابن الزبير جادٌّ في تهديده وقسمه ، فاستغاث بصاحبه المختار واستصرخه في كتاب رواه لنا اليعقوبي قال فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عليّ ومن قبله من آل رسول الله ، إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين . أما بعد ؛ فإن ابن الزبير أخذنا فحبسنا في حجرة زمزم ، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبياعنّه أو ليضرمنا علينا بالنار ، فيما غوثاه ... »^(٣)

وأكبر الظن أن ابن الزبير قد علم بهذه المكاتبة فأخذته حمى الغضب ، وكاد يودى بحياة زعماء بنى هاشم وأعيانهم ، لولا أن استغاثه ابن الحنفية كانت قد وصلت إلى المختار ، الذي أسرع فأرسل إليهم أبا عبد الله الجدلي ، فأقدم من موت محقق ؛ إذ واقاهم والنار - كما يحدثنا الأغاني - مشتعلة عليهم ، فأطفأها واستنقذهم ...^(٤)

(١) أنظر الأغاني > ٩ ص ١٥ ط الدار ، وانظر كذلك الكامل للبرد > ٧ ص ٢٠٧

نشر المرصفي .

(٢) تاريخ ابن واضح اليعقوبي > ٣ ص ٨ ، وانظر الطبري > ٧ ص ١٣٦ ، وابن الأثير

> ٤ ص ٩٧ .

(٣) اليعقوبي > ٣ ص ٨ .

(٤) قال أبو الفرج : « كان عبد الله بن الزبير قد أغرى بنى هاشم ، يتبعهم بكل مكروه

ويغري بهم ويخطبهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكورهم ، فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم ، =

ضاق ابن الزبير بعد ذلك ببني هاشم وأخفق في القضاء عليهم ، فأخرجهم من مكة إخراجاً قبيحاً - على حد تعبير ابن واضح^(١) - فنفي ابن الحنفية إلى ناحية رضوى ، وابن عباس إلى الطائف . بيد أن ابن الحنفية ارتأى أن يتجه إلى المختار بالعراق ، ليقاسمه الظفر بعد أن تاجر باسمه وحارب بنفوزه الروحي ، فأخذ طريقه إليه . ويظهر أن صاحبنا هذا كان ساذجاً إلى أبعد حدود السذاجة في ركونه إلى المختار ؛ فما كان المختار - وهو في أوج سلطانه - ليقبل جيرة ابن الحنفية ، خوفاً من التفاف الجماهير حوله ، ثم ضياع ملكه ونفوذه ، ولما علم بمقدمه قال لجنده : « إن المهدي علامة ، وهي أن يضرب بالسيف ضربة ، فإن لم يقطع السيف جلده فهو المهدي ... »^(٢) وبهذه الحيلة التي احتالها تغلب المختار بمكره ودهائه على بساطة ابن الحنفية ، وتخلص منه نهائياً ، إذ ما كاد يعلم هذا بالنبا ، حتى قفل راجعاً خوفاً على حياته ، في حسرة وندم ولات ساعة مندم .

وفي الحق لقد كان ابن الحنفية كأبيه عليّ ، تنقصه الحفكة السياسية نقصاً كبيراً ، وقد وجد هو أخيراً بعد هذا الإخفاق والخيبة أنه ليس أهلاً للصراع السياسي ، فركن إلى عبد الملك بن مروان وبايعه وألقى عصاه . وتحاول الكيسانية أن تجد في التجاء ابن الحنفية إلى عبد الملك ذنباً كبيراً قد اقترفه وجناه ، مرتئية أن الله قد عاقبه عليه مجبسه بجمل رضوى حياً كما سنحدثك بعد . وقد مات ابن الحنفية في الحرم

== ثم بدا له فيهم فحبس ابن الحنفية في سجن عارم ، ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم ، فجعلهم في حبس وملاءه حطباً وأضرم فيه النار ، وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر شيعة ابن الحنفية ، قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير ، فكان ذلك سبب إيقاعه به ، وبلغ أبا عبد الله الخبر ، فوافق ساعة أضرمت النار عليهم فأطفاها واستنقذهم ... » . الأغانى ٩ ص ١٥ ط الدار .
(١) تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ٩ ط النجف .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣١ ، ومختصره للرسعنى ص ٤٥ ، وفي « التبصير في الدين » للأسفرابني ص ١٩ يقول المختار : « المهدي محمد بن الحنفية وأنا على ولايته ، غير أن المهدي علامة ، وهي أن يضرب عليه بالسيف فلا يميك فيه السيف ، وأنا أجرب هذا السيف على محمد بن الحنفية ، فإن حاك فيه فلنيس بمهدي ، فلما بلغ إلى محمد بن الحنفية هذا الخبر ، خاف أن يقتله بما ذكرناه من حيلته ، فتوقف حيث كان » .

عام ٨١ هـ وصلى عليه أبان بن عثمان والى المدينة ودفن بالبقيع ، بعد نفوذ روجي كبير لم يحسن استغلاله لضعفه السياسى .

ولقد خلف ابن الحنفية أولاداً كثيرين من أمهات شتى ؛ قال ابن كثير : « وقد توفى ابن الحنفية فى الحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة وكان له من الولد : عبد الله ، وحزمة ، وعلى ، وجعفر الأكبر ، والحسن ، وإبراهيم ، والقاسم ، وعبدالرحمن ، وجعفر الأصغر ، وعون ، ورقية ، وكلهم لأمهات شتى » (١) .

وتقول الشيعة إن النبى عليه السلام كان قد بشر به أباه علياً قبل مولده ، وسماه باسمه وكنيته « محمد أبى القاسم » (٢) ؛ قال « جولد زيهر » Goldziher :

« وكان من هذا أن أصبح ابن الحنفية فيما بعد موضع العقيدة الشيعية الخاصة بالخلود الجثمانى والرجعة ، وهما صفتان يختاره الله لهداية البشر ويُعرف بالمهدى - كما كان معقد رجاء وإيمان الأتقياء ، وموضع ثناء الشعراء المتصلين به » (٣) .

وأكبر الظن أن ابن الحنفية لم يكن زاهداً فى الدنيا ، أو بعيداً عن ملذاتها وترفها ، كما تحاول أن تصوره بذلك المصادر الشيعية ؛ فابن خلكان يقول : « وكان محمد ينجذب بالحفاء والسكتم وكان يتختم فى اليسار » (٤) ، ويحدثنا ابن سعد فى طبقاته فيقول : « عن عبد الواحد بن أيمن ، قال : أرسلنى أبى إلى محمد بن الحنفية فدخلت عليه ، وهو مكحل العينين مصبوغ اللحية بحمرة ، فرجعت إلى أبى فقلت : أرسلتني إلى شيخ مخنث ! فقال : يا ابن اللحناء ، ذاك محمد بن على ... » (٥) ، ويقول صاحب الطبقات أيضاً : « روى أبو إدريس : رأيت ابن الحنفية ينجذب بالحفاء والسكتم ، فقلت له : أكان على ينجذب ؟ قال لا ، قلت فما لك ؟ قال أشعب به

(١) البداية والنهاية - ٩ ص ٣٩

(٢) أنظر ابن خلكان - ١ ص ٤٤٩ ط الحلبي .

(٣) العقيدة والشريعة فى الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٢٩

(٤) وفيات الأعيان - ١ ص ٤٥٠ ط الحلبي .

(٥) أنظر طبقات ابن سعد - ٥ ص ٨٥ ط ليدن .

للنساء...»^(١) وقد نقل العلامة « جولد زيهر » Goldziher هذه الرواية الأخيرة لابن سعد وأوردها في كتابه القيم « العقيدة والشريعة في الإسلام » ، وعقب عليها بقوله : « وفي الحق إذا نظرنا لأخلاق هذا المهدي على ضوء الحقائق التاريخية ، نرى أنه كان في الواقع - كما هو الظاهر - رجلاً ذا عقلية دنيوية ، وأنه لم يكن قط بعيداً عن لذائذ الدنيا ومتمهما ، ومع ذلك فقد كان يمثل المصالح الدينية المقدسة ، في سبيل السنن والتقاليد الإسلامية ، ولم يشعر أحد بأذى تناقض بين إمامة ابن الحنفية وبين اعترافه السابق ، الذي يعسر انسجامه مع إمامته ، والذي ربما وُضع على لسانه قصد الدعاية »^(٢).

أما صاحبنا الداهية المختار بن أبي عبيد ، فقد لحقته منيته قبل وفاة ابن الحنفية ، إذ قتله طارف وطريف ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة عام ٦٧ هـ ، في معركة بينه وبين مصعب بن الزبير ، بعد أن ادعى النبوة ثم الألوهية وابتدع القول بالبداء ، وبعد أن أسس فرقة « الكيسانية » ، التي دانت بمهدية ابن الحنفية ، وهو الثاني في القائمة بعد أبيه على .

وفي مصرع المختار يقول أعشى همدان^(٣) :

لقد نُبِّئْتُ والأنباء تنمى بما لاقى الكواذب بالمدار^(٤)
وما إن سررتني إهلاك قومي وإن كانوا وحقق في خسار
ولسكني سررت بما يلاقى أبو إسحاق^(٥) من خزي وعار
ولانسك أن ابن الحنفية ، الذي روى عن أبيه الحديث القائل : « المهدي منّا

(١) طبقات ابن سعد - ٥ ص ٨٥ ط ليدن

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٢٩

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٤ ومختصره للرسمي ص ٤٩ ، وانظر الطبري - ٧

ص ١٤٩ ط الحسينية .

(٤) ناحية قرب الكوفة ، ذكرها ابن حوقل والمقدسي .

(٥) كنية المختار .

أهل البيت يصلحه الله في ليلة» ، كان يرى نفسه ذلك المهدي ، الذي اختلق له ذلك الحديث أو اختلقه المختلقون ، وأنه كان فخوراً بلقب « المهدي » هذا راضياً عنه كل الرضى ، وإن تردد « مرجليوث » Margoliouth في ذلك إذ يقول : « لا ندري إذا كان ابن الحنفية قد رضى بهذا اللقب (المهدي) الذي خلعه عليه المختار أم لا^(١) ؟ » . ولا ندري نحن كيف غابت عن Margoliouth نصوص ابن سعد القاطمة في هذا الصدد ؛ ففي الطبقات : « قلت السلام عليك يا مهدي ، قال وعليك السلام^(٢) » ، وفيها : « عن أبي حمزة قال : كانوا يسلمون على محمد بن عليّ ، سلام عليك يا مهدي ، فقال : أجل أنا مهدي أهدى إلى الرشيد والخير ، اسمي اسم نبي الله وكنيته كنية نبي الله^(٣) ؛ فإذا سلم أحدكم فليقل سلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أبا القاسم^(٤) » .

ولقد كان لزاماً على ابن الحنفية أن يقبل هذا اللقب ويرضى به ، بل ويفترض أنه المهدي حقاً — جاريّاً وراء مزاعم المختار — ولو في شيء من التستر والتكتم ، لينتقم من قتلة الحسين ، وليدبيل من دولة بني أمية وابن الزبير جميعاً ، جزاء وفاقاً لما أذاقوه لآل البيت من صنوف الخسف والعدوان ، بيد أن ضعفه السياسي ومكر المختار به ، لم يتيح له من تحقيق هذه المآرب ، إلا القضاء على قتلة الحسين .

وبعد موت ابن الحنفية ، اختلقت « الكيسانية » ، فاعترف بعضهم بموته ، وساق الإمامة من بعده إلى ولده أبي هاشم ، (ومنهم من أرجعها إلى ابن أخيه عليّ ابن الحسين) ، ولم يؤمن البعض الآخر بموته وهم « الكربية » أصحاب أبي كرب الضريير ؛ فهو عندهم مقيم بجبل رضوى ومعه أربعون من أصحابه ، وهي حتى يُرزق ؛ عنده عينان من عسل وماء ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر ، يحفظانه من أعدائه

(١) أنظر مقال « مرجليوث » Margoliouth عن المهديّة بدائرة معارف الدين والأخلاق .

(٢) أنظر طبقات ابن سعد - ٥ ص ٦٩ ط ليدن .

(٣) يشير بذلك إلى الحديث الوارد في هذا الصدد والذي يقول : « يواطىء اسمه اسمي ،

وكنيته كنيته » .

(٤) أنظر الطبقات - ٥ ص ٦٨

إلى وقت خروجه ، وتنزل عليه الملائكة فتراجعه الكلام ، وتؤنسه هو واصحابه .
وقد اختلفوا في سبب حبسه بجبل رضوى ، فمنهم من قال : « كان ذلك عقاباً له على
خروجه بعد قتل الحسين إلى يزيد بن معاوية ، وطلب الأمان منه ، وقبوله العطاء
من قبله » ، ومنهم من قال :

« كان ذلك عقوبة له ؛ لركونه إلى عبد الملك بن مروان ومبايعته له » ، وقال
آخرون : « لاندري سبب حبسه ، والله في ذلك سرٌّ لانعامه ^(١) » .

ولقد شغلت « مهديّة » ابن الحنفية صفحات رائعة من شعر الشيعة ، سنحدثك
عنها في الفصل الخاص بذلك من كتابنا .

(١) أنظر البغدادي في « الفرق » ص ٣٤ ، والرسمي في « المختصر » ص ٥٠ ،
والأسفرايني في « التبصير في الدين » ص ٢٠ .

الزيدية

الفرقة الرئيسية الثالثة من فرق الشيعة هي « الزيدية » ، نسبة إلى زيد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ ، وقد ثار بالكوفة داعياً لنفسه عام ١٢٢ هـ - ٧٤٠ م ، بيد أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، أخذ فتنته وقضى عليه ؛ إذ أرسل إليه وإلى العراق ، يوسف بن عمر الثقفي - من قبله - جيشاً بقيادة « العباس المرثي » فأدار الدائرة على « زيد » ، وضُلب بكناسة الكوفة ؛ قال الطبري :
« وبعث برأسه إلى هشام ، فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ، ثم أرسل به إلى المدينة ، ومكث البدن مصلوباً حتى مات هشام ، ثم أمر به الوليد فأُترل وأُحرق » (١) .

ويقول الكندي في كتابه « أمراء مصر » :

« إن أبا الحكم بن أبي الأبيض القيسي ، قدم إلى مصر برأس زيد بن عليّ يوم الأحد ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٢ ، واجتمع الناس إليه في المسجد ، وهو صاحب المشهد الذي بين مصر وبركة قارون ، بالقرب من جامع ابن طولون ، يقال إن رأسه مدفون به » . وقد رجّح القلقشندي هذه الرواية ونقل عن « خطط القاهرة » للقاضي محي الدين ابن عبد الظاهر قوله بأن رأسه « مدفون بالمشهد الذي بين كيمان مصر ، جنوبي الجامع الطولوني المعروف بمشهد الرأس » (٢) . ولما صلب زيد كان الناس يأتون إلى خشبته فيتعبدون تحتها .

والحق أن زيداً - كما كان يتمتع بنفوذ روي لدى أتباعه - كان يحظى أيضاً بمكانة ممتازة لدى جمهور أهل السنة ، وذلك لاعتداله في مذهبه في الإمامة ، وعدم قبوله الطعن في الشيخين ، ولقوله بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، مما دعا

(١) الطبري - ٨ ص ٢٧٧ ط الحسينية .

(٢) أنظر صبح الأعشى - ١٣ ص ٢٢٧

بعض أتباعه الغالين إلى رفض دعوته والانفصال عنه ، فسمّوا تبعاً لذلك بالرافضة أو بالروافض .

ولا شك أن لتعاليم المعتزلة أثراً كبيراً في عقلية « زيد » ؛ فقد تقاعد لشيخ المعتزلة واصل بن عطاء الغزال ، وأخذ عنه أصول الاعتزال^(١) ، وقد حاول بعض أتباعه أن يجعل من قتله مظلمة تحدث بها النبي ؛ ففي تاريخ ابن عساکر :

« أخرج الحافظ عن حذيفة بن اليمان ، أن النبي نظر إلى زيد بن حارثة فقال : المعلوم من أهل بيني سمى هذا ، والمقتول في الله والمصلوب من أمتي سمى هذا — وأشار إلى زيد بن حارثة — ثم قال : أدن مني يا زيد ، زادك الله حباً عندي ، فإنك سمى الحبيب من ولدي ، زيد . . . » !!

ولما قضى على زيد حاول ولده يحيى متابعة الكفاح ، فهرب إلى خراسان حيث خرج بجوزجان ثأراً على نصر بن سيار ، وإلى خراسان ، الذي بعث إليه بسلم المازني ، على رأس ثلاثة آلاف رجل ، فقتل عليه عام ١٢٥هـ - ٧٤٣م ، وبعث برأسه إلى نصر بن سيار ، فبعث به إلى الوليد بن يزيد .

ولقد رثى زيد بن علي كثير من الشعراء ، منهم فضل بن العباس بن عبد الرحمن ، الذي يقول في رثائه من قصيدة ضافية^(٢) :

ألا يا عينُ لا ترقى وجودي بدمعك ليس ذا حين الجمود
غداة ابنُ النبي أبو حسينٍ صليبٌ بالكُناسة فوق عود
يظل على عمودهمُ ويُمسى بنفسى أعظمُ فوق العمود

(١) قال العلامة الشهرستاني : « أراد (زيد) أن يحصل الأصول والفروع ، حتى يتحلى بالعلم ، فتعلم في الأصول لوصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة — مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ، ما كان علي يقين من الصواب ، وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه — فاقبِس منه الاعتزال ، وصارت أصحابه كلها معتزلة » . أنظر الملل والنحل - ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ على هامش ابن حزم ، طبع المطبعة الأدبية .

(٢) أنظر مقاتل الطالبين لصاحب الأغاني أبي الفرج الأصفهاني ص ١٤٩ ط عيسى الحلبي بالقاهرة .

تعدى الكافر الجبار فيه
فظلوا يبنشون أبا حسين
فطال به تلعبهم عتواً
وجاور في الجنان بنى أبيه
فكم من والد لأبي حسين
ومن أبناء أعمام سياتي
دعاه معاشر نكثوا أباه
فسار إليهم حتى أتاهم
وكيف تضن بالعبرات عيني
وكيف لها الرقاد ولم تراهي
تجمع للقبائل من معد
كتائب كلما أردت قتيلاً
بأيديهم صفائح مرهفات
بها نسقى النفوس إذا التقينا
ونحكم في بني الحكم العوالي
وننزل بالمعيطيين حرباً
وإن تمكّن صروف الدهر منكم
نجازيكم بما أوليتمونا
ونترككم بأرض الشام صرعى
تنوء بكم خوامعها^(٢) وطلس^(٣)
ولست بأيس من أن تصيروا

فأخرجه من القبر اللحيد
خضيباً بينهم بدم جسيد^(١)
وما قدروا على الروح الصعيد
وأجداداً هم خير الجرد
من الشهداء أو عم شهيد
هم أولى به عند الورود
حسيناً بعد توكيد اليهود
فما أرعوا على تلك العقود
وتطمع بعد زيد في الهجود !
جياذ الخيل تعدو بالأسود !
ومن قحطان في حلق الحديد
تنادت : أن إلى الأعداء عودي
صوارم أخلصت من عهد هود
ونقتل كل جبار عنيد
ونجعلهم بها مثل الحصيد
عمارة منهم وبنو الوليد
وما يأتي من الأمر الجديد
قصاصاً أو نزيد على المزيد
وشقى من قتييل أو طريد
وضارى الطير من بقع وسود
خنازيراً وأشباه القروود

(١) الجسيد : الدم اليابس .

(٢) الخوامع : الضباع ، جمع خامعة .

(٣) الطلس ، جمع أطلس : وهو الذئب الأمعط في لونه غبرة إلى السواد .

وقال أبو ثُمَيْلَةَ الأَبَارِئِيُّ زَيْدًا^(١) :

يا أبا الحسين أعار فقدك لوعةً من يلق ما لقيتُ منها يكمد
فقدنا السهاد ولو سواك رمت به الأُم قدار حيث رمت به لم يسهد
ونقول : لا نبعث ، وبعذك داؤنا وكذلك من يلق المنية يبعث
كنت المؤمن للعظام والنهي تُرجى لأمر الأمة المتأود
فقتلت حين رضيت كل مناضل وصعدت في العلياء كل مصعد
فطلبت غاية سابقين فنلتها بالله في سير كريم المورد
وأبى إهلك أن تموت ولم تسر فيهم بسيرة صادق مستنجد
والتقل في ذات الإله سحبة منكم وأحرى بالفعال الأجد
والناس قد آمنوا ، وآلُ محمدٍ من بين مقتولٍ وبين مشرد
نُصِبَ إذا ألقى الظلام ستوره رقد الحمام وإيلهم لم يرقد
يأليت شعري والخطوب كثيرة أسباب موردها ومالم يورد
ما حجة المستبشرين بقتله بالأمس أو ما عذر أهل المسجد ؟

والزيدية فرقٌ تختلف مذاهبها بصدد عقيدة « المهدي » إثباتاً ونفيًا ؛ فالسليمانية أتباع سليمان بن جرير الزيدي ، والأبترية أو الصاحبية أتباع الحسن بن صالح بن حبي (المتوفى عام ١٦٩ هـ) وكثير النواء الملقب بالأبتري (والمتوفى أيضاً في حدود هذا التاريخ) ، تفكران « المهديّة » لأنهما ترفضان القول برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة .

وتعاليم هاتين الفرقتين في جملتها ، هي تعاليم زيد بن علي نفسه ، وتكاد تقترب « الصاحبية » من أهل السنة ، بل هي أقرب فرق الشيعة إليهم ، وأكبر الظن أن « جولدزيهر » Goldziher كان يقصد هاتين الفرقتين من الزيدية أو إحداها بقوله :

(١) أنظر مقاتل الطالبين للأصفهاني أبي الفرج ص ١٥٠ وما بعدها .

« وهم لا يقولون بالأساطير المتعلقة بالعلم الباطنى عند الأئمة ، إلى غير ذلك من صفات شبيهة بصفات التأليه التى خص الشيعة أئمتهم بها ، وقد تقيّدوا بدلاً من هذه الخيالات والأحلام بالصورة الواقعية للإمام الذى يعمل فى الحياة فى نضال مكشوف » (١) .

أما « الجارودية » من الزيدية ، أتباع أبى الجارود زياد بن المنذر العبدى ، المتوفى بعد عام ١٥٠ هـ ، فتقول بمهدية « النفس الزكية » وستقص عليك نبأه فى شىء من الإفاضة ، لما له من أهمية خاصة .

(١) أنظر العقيدة والشريعة فى الإسلام « الترجمة العربية » ص ٢١١

النفس الزكية محمد بن عبد الله

مهدي الجارودية

هو أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن الحسن ، بن الحسن ، بن علي بن أبي طالب ،
وأمه هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله ، بن زمعة بن الأسود بن المطلب .

وقد وُلد محمد هذا عام مائة من الهجرة ، وبين كتفيه — فيما يقولون^(١) —
خال أسود عظيم كهيئة البيضة ، اتخذوه — فيما بعد — علامة لمهديته ، وكان يقال
له « صريح قريش » ؛ إذ لم تقم عنه « أم ولد » في جميع آباءه وأمهاته
وأجداده^(٢) .

وقد سُرَّ بمولده المنتشيعون جميعاً ، وكانوا يروون عن النبي في أحاديثهم أن اسم
المهدي ، محمد بن عبد الله ، فرجوا أن يكون هو صاحبنا ، محمد بن عبد الله بن
الحسن ، وفرحوا به كثيراً ، وجعلوا يتذاكرونه في مجالسهم ، على أنه الخالص والمنقذ
لهم من مظالم بني أمية ؛ قال شاعرهم^(٣) :

ليهنكم المولود آل محمد	إمام هدى ، هادى الطريقة ، مهتدى
يسوم أمىّ الذلّ من بعد عزّها	وآل بنى العاص الطريد المشرد
فيقتلهم قتلاً ذريعاً ، وهذّه	بشارة جدّيه ، عليّ وأحمّد
هما أنبأنا أن ذلك كائن	برغم أنوف من عُداة وحسد

(١) أنظر مقاتل الطالبين لصاحب الأغاني أبي الفرج الأصفهاني ص ٢٣٨ و ٢٤٣
ط عيسى الحلبي بالقاهرة .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٣

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٥

وقال سلمة بن أسلم الجهني (١) :

إن الذي يروى الرواة لبيّن إذا ما ابنُ عبد الله فيهم تجرداً
له خاتم لم يعطه الله غيره وفيه علاماتٌ من البر والهدى
وقال أيضاً (٢) :

إنّا لنرجو أن يكون محمدٌ إماماً به يحيا الكتاب المنزّل
به يصلح الإسلام بعد فساده ويحيا يتيماً بأُسٍّ ومعوّل
ويملاً عدلاً أرضنا بعد ملئها ضلالاً ويأتينا الذي كنت آمل

ولما شبَّ محمد ، أرسله أبوه مع أخيه إبراهيم ، ليمتلق العلم على يدى عبد الله
ابن طاوس ؛ ففي « مقاتل الطالبين » لصاحب « الأغاني » أبي الفرج الأصفهاني :
« كان عبد الله بن الحسن يأمر ابنه محمداً بطلب العلم والتفقه في الدين ،
وكان يحبُّ به وبأخيه إبراهيم إلى ابن طاوس ، فيقول له : حدّثهما لعل الله أن
ينفعهما (٣) » .

ولقد تعلمد محمد أيضاً لشيخ الاعتزال واصل بن عطاء ، وبين الشيعة والمعتزلة
نسب وصهر ؛ روى أبو الفرج في « مقاتل الطالبين » فقال :
« قدم علينا أبو أيوب بن الأدبر ، رسولاً لأبي حذيفة واصل بن عطاء ،
داعياً إلى مقاتته ، فاستجاب له محمد بن عبد الله بن الحسن في جماعة من آل
أبي طالب (٤) » .

ولم يكن طلب محمد للعلم مقصوراً على أستاذه ابن طاوس وابن عطاء ، فقد
طلبه من غيرهما من رجال العلم ؛ حدثنا هو عن نفسه فقال :

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٤٣ .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٨ .

« إن كنت لأطلب العلم في دور الأنصار ، حتى لأتوسد عتبة أحدهم ، فيوقظني الإنسان فيقول : إن سيدك قد خرج إلى الصلاة ، ما يحسبني إلا عبده ... » (١) .
ولقد لقي محمد ، نافع بن عمر ، وأبا الزناد ، وسمع منهما وحدثت عنهما ، كما حدثت عن غيرهما ، بيد أن حديثه كان قليلاً ، ويرجع ذلك في أكبر الظن إلى رتته في لسانه ، كانت تحبس الكلام في صدره ، فلا يكاد يبين ؛ روى أبو الفرج فقال :

« كان محمد تماماً ، فرأيتُه على المنبر ، يتلجلج الكلام في صدره ، فيضرب يده عليه يستخرج الكلام (٢) » .

ومن الطريف حقاً أن الشيعة لما رأَت هذا العيب القادح في مهديّة محمد ، خرجت على الناس توهمهم أن هذا العيب إنما هو من علامات المهدي ... ! ، ولجأ المشيعون - كعادتهم دائماً - إلى الحديث ، يشدون به أزرهم ، فرووا عن الرسول ، من طريق أبي هريرة أنه قال :

« إن المهدي اسمه محمد بن عبد الله ، في لسانه رتة ... » !!

ومهما يكن من شيء ، فنحن لا نشك أبداً في أن محمداً كان على جانب كبير من العلم والتفقه في الدين ، كما كان على قسط عظيم من التقى والزهد ، حتى لقد لُقّب من أجل ذلك بالنفس الزكية كما يحدثنا المسعودي (٣) ، ويقول أبو الفرج :

« كان من أفضل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه في زمانه ، في علمه بكتاب الله وحفظه له وفقهه في الدين ، وشجاعته وجوده وبأسه ، وكل أمرٍ يجمل بمثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهدي ، وشاع ذلك له في العامة ، وبايعه رجال من بني هاشم جميعاً ، من آل أبي طالب وآل العباس وسائر بني هاشم (٤) » .

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٣٨

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٢

(٣) صروج الذهب - ٨ ص ٧٩ على هامش ابن الأثير .

(٤) مقاتل الطالبين ص ٢٣٣

ولقد اعتقد « النفس الزكية » أنه المهدي حتماً ، وساعده على ذلك الهاشميون من عباسيين وعلويين جميعاً ، ليتمخلصوا عن طريقه من نير بنى أمية الثقيل ، ومن مظالم البيت الرواني الحاكم ، فأخذ « النفس الزكية » منذ صباه ، يدعو الناس إلى مهديته ، في شيء من التستر والتسكتم خوفاً من عيون آل مروان ؛ قال أبو الفرج :

« لم يزل محمد بن عبد الله بن الحسن ، منذ كان صبياً ، يتوارى ويراسل للناس بالدعوة إلى نفسه ، ويسمى بالمهدي ^(١) » .

ولقد بايعه بالمهدية الهاشميون جميعاً ، ومنهم إبراهيم الإمام والسفاح وأبو جعفر المنصور ، الذين أقاموا دولة بنى العباس فيما بعد ، ففي « مقاتل الطالبين » :

« إن نفرأ من بنى هاشم اجتمعوا بالأبواء من طريق مكة ، فيهم إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور ، وصالح بن علي ، وعبد الله بن الحسن ، وابناه محمد وإبراهيم ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فقال لهم صالح بن علي :

« إنكم القوم الذين تمتد أعين الناس إليهم ، فقد جمعكم الله في هذا الموضع ، فاجتمعوا على بيعة أحدكم ، فتفرقوا في الآفاق وادعوا الله ، لعل الله أن يفتح عليكم وينصركم .

« فقال أبو جعفر : لأي شيء تخدعون أنفسكم ؟ والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أميل أعناقاً ، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ، يعني محمد بن عبد الله . « قالوا : قد والله صدقت ، إننا لنعلم هذا ، فبايعوا جميعاً محمداً ، وبايعه إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور ، وسائر من حضر ^(٢) » .

ولا سبيل إلى الشك في أن هذه المبايعة من كبار العباسيين ، لم تكن أبداً خالصة ولا صادقة ؛ فقد كانوا يتخذون آل عليّ درعاً واقياً لهم ، وذريعة لها خطرها

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٣٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦ وما بعدها .

في تنفيذ خطتهم وسياستهم ، فالناس إلى آل عليّ أميل ، وهم بهم الصق وأعلق ، وقد كانوا في بداية أمرهم يدعون إلى « الرضا من آل محمد » ، ونحن لا نشك كذلك في أن هذا التوقير والاحترام من المنصور الداهية للنفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن ، والذي نقرأ عنه في « مقاتل الطالبين » ، كان كذلك مصطنعاً لأمرٍ ما ؛ فأبو الفرج يروي عن عمير بن الفضل الخثعمي أنه قال :

« رأيت أبا جعفر المنصور يوماً ، وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه ، وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود ، وأبو جعفر ينتظره ، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب ، ثم سوتى ثيابه على السرج ، ومضى محمد ، فقلت - وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمداً - من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام ، حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، مهدينا أهل البيت... (١) » .

أرأيت مبلغ احترام المنصور للنفس الزكية ؟ هذا الاحترام المقنع المصطنع ، الذي يخفي وراءه الوقية في أشنع صورها ، كما يخفي العسل الحلو المذاق ، الموت السريع فيما يضمه من سموم قاتلة .

ولقد نجح العباسيون في القضاء على دولة بني أمية ، وتشديد دولتهم الوليدة على اكتاف بني عمومتهم آل عليّ ، وبسواعدهم وجهادهم بل وبنفوذهم الروحي بين الجماهير ، ولكن « السفاح » يسرف في القضاء على أعداء الدولة الجديدة ، من أمويين وعلويين على السواء ، وهكذا أصبح العلويون في نظر أبناء عمهم الماكرين أعداء . . . ! ، ولقد ساء العلويين أن يستأثر أبناء عمومتهم بالملك ، بعد أن اتخذهم معبراً لبنيائهم ، وبوقاً للدعوة إليه ، فبادر محمد بن عبد الله بالخروج على هذه الدولة أيام المنصور - الذي كان يسير في ركابه فيما مضى - ليلتين بقيتا من جمادى

الآخرة عام ١٤٥ هـ مطالباً الناس بالوفاء ببيعتهم له ولهديته ، وتصل أنباؤه إلى أبي جعفر الخليفة العباسي الذي كان إلى وقت قريب ، يبايعه ويحض الناس على مبايعته ، ويأخذ بردائه حتى يركب ، ويسوّى ثيابه على السرج ، ويقول هذا مهدينا — فيعدّ العدة لقتاله ، ويكذّبه في دعواه ؛ قال مولى لأبي جعفر :

« أرسلني أبو جعفر فقال : اجلس عند المنبر فاسمع ما يقول محمد ، فسمعته يقول : إنكم لا تشكّون أني أنا المهدي ، وأنا هو ، فأخبرت بذلك أبا جعفر ، فقال كذب عدوّ الله ، بل هو ابني^(١) ... » ! !

وهكذا يصبح « النفس الزكية » في نظر المنصور ، أو إن شئت في نظر « السياسة » كذاباً وعدواً لله ، وأن المهدي حقاً ، هو المهدي بن المنصور . . . ! ثم تحدثنا الرواية أن المنصور نفسه لم يكن يؤمن بمهدية ولده ، ولقد اصطنعها له ليقوّى من مركزه السياسي ، فأبو الفرج يحدثنا عن مسلم بن قتيبة أنه قال :

« أرسل إلى أبو جعفر ، فدخلت عليه ، فقال : قد خرج محمد بن عبد الله وتسمى بالمهدي ، والله ما هو به . . . وأخرى أقولها لك ، لم أقلها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية ... ! ولكنني تيمّنت به وتفاءلت به »^(٢) !

وهكذا انقلب التابع على متبوعه ، وأصبح أبو جعفر لمحمد خصياً ، وقد حاول جهده أن يستميله إليه بالسياسة واللين ، وبذل له في سبيل ذلك الوعود والعهود . . . ، ولكن محمداً في الحق لم يكن من السداجة إلى هذا الحد الذي تصوره المنصور ، حتى يركن إلى عهوده ووعوده ، وهو يعلم تماماً مقدار صدقها

وفي هذا الصدد دارت بينهما مكاتبات ، رواها لنا الطبري ، تسجل في هذا الصراع حجج كل منهما ، وتصور مقدار تمسكه بما يدعيه ، وهي بحق وثائق خطيرة ،

(١) أنظر مقاتل الطالبين ص ٢٤٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٧

على جانب كبير من الأهمية ، نرى أنفسنا مسوقين هنا إلى تسجيلها ، لما لها من قيمة فيما نحن بصدده .

كتب أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد ابن عبد الله . . . » :

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم » .

« ولك على عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك ، أن أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم ، على دمائكم وأموالكم ، وأسوؤك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق مَنْ في حبسى من أهل بيتك ، وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك ، فإن أدخل معك في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً ، فإن أردت أن تتوثق لنفسك ، فوجه إلى من أحببت يأخذك من الأمان والمهد والميثاق ما تنق به » .

فكتب إليه « النفس الزكية » وقد لقب نفسه بالمهدى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدى ، محمد بن عبد الله ، إلى عبد الله بن محمد :

« طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين

استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمةً ويجعلهم الوارثين ، ونسكن لهم في الأرض ،
وتُرَى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون .

« وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضتَ عليّ ؛ فإن الحق حقنا ،
وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيقتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا عليًّا
كان الوصي وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته ، وولده أحياء ؟

« ثم قد علمتَ أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ ، له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا
وشرف آبائنا ؛ لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء . . . ، وليس يمتُّ أحدٌ
من بني هاشم بمثل الذي نمتُّ به من القرابة والسابقة ، وإنّا بنو أمّ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فاطمة بنت عمرو في الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة في الإسلام ، دونكم .
« إن الله اختارنا واختار لنا ؛ فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن
السلف أولهم إسلاماً عليّ ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى
القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام
حسنٌ وحسينٌ سيّدا شباب أهل الجنة .

« وإن هاشمًا ولدَ عليًّا مرتين ، وإن عبد المطلب ولدَ حسنًا مرتين ، وإن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ، وإنّي أوسط
بني هاشم نسبيًا ، وأصرحهم أبا ، لم تعرق في العجم ، ولم تنازع في أمهات الأولاد . .
فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام ، حتى اختار لي في النار ؛
فأنا ابنُ أرفع الناس درجة في الجنة ، وأهونهم عذاباً في النار ، وأنا ابن خير الأختيار
وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار .

« ولك الله عليّ إن دخلتَ في طاعتي وأجبت دعوتي ، أن أؤمنك على نفسك
ومالك ، وعلى كل أمرٍ أحدثته ، إلا حدثًا من حدود الله ، أوحقًا لمسلم أو معاهد ،
فقد علمتَ ما يلزمك من ذلك .

« وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد ، لأنك أعطيتني من العهد والأمان

ما أعطيتَه رجالاً قبلي ، فأى الأمانات تعطيني : أمان ابن هبيرة ... ؟ أم أمان عمك عبد الله بن علي ... ؟ أم أمان أبي مسلم ... ؟ » .

فردّ عليه أبو جعفر ، مفنداً حججه بقوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد :

« فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك ، فإذا جلّ فخرُ بقرابة النساء ، لتضلّ به الجفأة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء ؛ لأن الله جعل العمّ أبا ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا .

« ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهم ، كانت آمنة أقربهم رحماً وأعظمهم حقاً ، وأول من يدخل الجنة غداً ، ولكن اختيار الله خلقه على علمه لما مضى منهم واصطفائه لهم .

« وأما ما ذكرت من فاطمة أمّ أبي طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا بنتاً ، ولا ابناً ، ولو أن أحداً رُزق الإسلام بالقرابة ، رُزقه عبد الله ، أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ، ولكن الأمر لله ، يختار لدينه من يشاء ؛ قال الله عز وجل : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

« ولقد بعث الله محمداً عليه السلام ، وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل « وأنذر عشيرتک الأقربين » ، فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبي ، وأبى اثنان أحدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلا ، ولا ذمة ولا ميراثاً .

« وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذاباً ، وابن خير الأشرار ، وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله ضعيف ولا يسير ، وليس في الشر خيار ، ولا ينبغى لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وسترد فتعلم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

« وأما ما فخرت به من فاطمة أمّ عليّ ، وأن هاشمًا ولَدَه مرتين ، ومن فاطمة أمّ حسن ، وأن عبد المطلب ولَدَه مرتين ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ولَدَك مرتين ، فخير الأولين والآخريين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يُلده هاشمٌ إلا مرة ، ولا عبد المطلب إلا مرة .

« وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسبًا ، وأصرحهم أمًّا وأبًا ، وأنه لم تلدك العجم ، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرًّا ، فانظر ويحك أين أنت من الله غداً ، فإنك قد تعديتَ طورك ، وفخرت على من هو خير منك نفساً وأبًا ، وأولاً وآخرًا ، إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى والد ولَدَه ، وما خيار بني أبيك خاصة ، وأهل الفضل منهم ، إلا بنو أمهات أولاد ، وما وُلد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفضل من علي بن حسين ، وهو لأمّ ولد ، وهو خير من جدك حسن بن حسن ، وما كان فيكم بعده ، مثلُ ابنه محمد بن علي ، وجدته أمّ ولد ، وهو خير من أبيك ، ولا مثلُ ابنه جعفر ، وجدته أمّ ولد ، وهو خير منك .

« وأما قولك إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله تعالى يقول في كتابه « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » ، ولكنكم بنو ابنته ، وإنها لقربة قريية ، ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف تورث بها . . . ؟! ولقد طلبها أبوك بكل وجه ، فأخرجها نهاراً ومرّضها سرّاً ودفنها ليلاً ، فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما ، ولقد جاءت السنّة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ، أن الجد أب الأم ، والخال والخالّة ، لا يرثون .

« وأما ما فخرت به من عليّ وسابقته ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجالاً بعد رجل ، فلم يأخذوه ، وكان في السنّة ، فتركوه كلهم ، دفعاً له عنها ، ولم يروا له حقاً فيها ، أما عبد الرحمن ، فقدّم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له منهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعة ،

وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه ، وقاتل عليها ، وتفرقت عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكم حكيمين ، رضى بهما وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه .

« ثم كان حسنٌ ، فباعها من معاوية بخزق ودرهم ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا من غير ولائه ولا حله ، فإن كان لكم فيها شيء ، فقد بعموه وأخذتم منه .

« ثم خرج عمك حسين بن علي ، على ابن مرجانة ، فكان الناس معه عليه ، حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه .

« ثم خرجتم على بني أمية ، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان ، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء ، وحلوم بلا وطاء في المحامل كالسبي المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بشاركم ، وأدركنا بدمانكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسئنا سلفكم وفضلناهم ، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلناهم ، لا تقدمه منا على حمزة والعباس وجعفر ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلما منهم مجتمعا عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له وذكروا فضلهم ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه .

« ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية ، سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين إخوانه ، فنازعنا فيها أبوك ، ففقد لنا عليه عمر ، فلم نزل نلها في الجاهلية والإسلام .

« ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ، ولم يقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله وسقام النيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به .

« ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبدالمطلب ، بعد النبي صلى الله عليه وسلم

غيره ، فكان وارثه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم ، فلم ينله إلا ولده ، فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام ، في دنيا ولا آخرة ، إلا والعباس وارثه ومورثه .

« وأما ما ذكرت من بدر ، فإن الإسلام جاء ، والعباس يمون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للأزمة التي أصابته ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً ، لمات طالب وعقيل جوعاً ، ولحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعنين ، فأذهب عنكم العار والشبهة ، وكفاكم النفقة والمثونة ، ثم فدى عقيلاً يوم بدر .

« فكيف تفخر علينا ؟ وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بئاركم ، فأدركننا منه ما معجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم ، والسلام عليكم ورحمة الله »^(١) .

* * *

ولقد كان المنصور يود — دون شك — لو تمكن من القضاء على صاحبنا « النفس الزكية » بالحيلة والخديعة ، وبأساليبه « المكياجيلية » الكثيرة التي اتهمها مع غيره من قبل ، إذ لو حاول أن يببطش به جهراً بادئ الأمر ، لهبت على ملكه الفاشي ، هوج الأعاصير؛ وذلك لمكانة محمد الممتازة في نفسية الجماهير ، ولتلك البيعة له في أعناقهم^(٢) ، بيد أن أبا جعفر أخفق تماماً فيما كان يعتزمه وبتقويه ، ولم تجد هذه المكتاتبات بينهما في حسم النزاع ، بل كانت — فيما يبدو —

(١) الطبري ٩ ص ٢١٠ ط الحسينية ، وانظر أيضاً ابن الأثير ٥ ص ١٩٩ ط الحلبي ، والكامل للمبرد ٨ ص ٢٧٨ نشر المرصفي .

(٢) وكان الإمام الكبير أبو حنيفة النعمان ممن بايعه . وفي سبيل ذلك لاقى مصرعه ؛ قال الشهرستاني : « وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ومن جملة شيعته ، حتى رفع الأمر إلى المنصور فحبسه حبس الأبد حتى مات في الحبس ، وقيل إنه إنما بايع محمد بن عبد الله الإمام في أيام المنصور ، ولما قتل محمد بالمدينة ، بقي الإمام أبو حنيفة على تلك البيعة ، يعتقد موالات أهل البيت ، فرفع حاله إلى المنصور ، فم عليه ماتم » .

انظر الملل والنحل ١ ص ٢١٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

عاملاً هاماً في ازدياده عنفاً وشدة ، وأكبر الظن أن الخليفة قد اتخذها وسيلة لإظهار خصمه بمظهر العصيان والمروق والخروج على الدولة ، حتى يتيح له ذلك أن يلجأ إلى السيف والقوة .

وهكذا لم يجد المنصور بدءاً من أن يرفع القناع ، ويسفر عن سياسته ، فيلجأ إلى السلاح في وضوح النهار ، محافظة على كيان دولته ، ويبعث إلى « النفس الزكية » بالجنود يقودهم عيسى بن موسى ، وحميد بن قحطبة ، اللذان دهماه في « المدينة » ودارت بينهما رحى الحرب ، عنيفة كأشد ما يكون العنف ، ومحمد يقاتل كأشد ما يكون القتال ، بيد أن الدائرة لم تلبث أن دارت عليه وعلى رجاله ، ولقد حاول أن يحرك عواطف خصومه ويستدر عطف قلوبهم ؛ روى أبو الفرج فقال :

« برك محمد على ركبتيه ، وجعل يذبّ عن نفسه يقول : ويحكم ، أنا ابن نبيكم مجروح مظلوم ^(١) » !

بيد أن القائد القاسي القلب « حميد بن قحطبة » لم يأبه له ولم يلبث لقوله ، فجاءه واحتزّ رأسه ، وكان ذلك — كما يحدثنا أبو الفرج — قبل عصر يوم الاثنين الأربعاء عشرة ليلة خلت من شهر رمضان عام ١٤٥ هـ وقد رثاه عبد الله بن مصعب بقوله ^(٢) :

يا صاحبيّ دعا الملامة واعلم	أن لست في هذا بألوم منسكاً
وقفا بقبر ابن النبي وساماً	لا بأس أن تقفا به فتسلماً
قبرٌ تضمن خير أهل زمانه	حسباً وطيب سجية وتكرماً
لم يجتنب قصد السبيل ولم يحد	عنه ولم يفتح بفاحشة فما
بطلٌ يخوض بنفسه غمراتها	لا طائشاً رعشاً ولا مستسماً
حتى مضت فيه السيوف وربما	كانت حقوفهم السيوف وربما

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٧١ ، وانظر الطبري ص ٩٠ ص ٢٢٦ ط الحسينية .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٠٧ ، والطبري ص ٩٠ ص ٢٣١ ، وابن الأثير ص ٥٥ ص ٢٠٥ ط الهامى .

أضحى بنو حسنٍ أبيض حريمهم فينا وأصبح نهبهم متقسّما
ونسأوهم في دورهن نوايح سجع الحمام إذا الحمام ترنما
يتوسلون بقتلهم ويرونه شرفاً لهم عند الإمام ومعنا
والله لو شهد النبي محمدٌ صلى الإله على النبي وسلمّا
إشراع أمته الأسنّة لابنه حتى تقطر من ظباتهم دما
حقاً لأيقن أنهم قد ضيعوا تلك القرابة واستحلوا المحرّما

ولكن « الجارودية » من « الزيدية » - أتباع أبي الجارود - لم تؤمن بموت محمد بن عبد الله ؛ قال العلامة ابن حزم : فهو عندهم « حتى لم يُقتل ولا مات ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(١) » .

ويقول البغدادي : « هو (عند الجارودية) المهدي المنتظر^(٢) » .

ويشارك « الجارودية » في هذا المعتقد « الحمديّة^(٣) » إحدى فرق « الإمامية » فهم ينتظرون محمداً هذا ، ويزعمون أنه مقيم بجبل حاجر من ناحية نجد إلى أن يؤمر بالخروج .

ومن « الجارودية » من ينتظر محمد بن القاسم ، من نسل الحسين ، القائم بالطائفة أيام المعتصم ، وقد أُسر وحُمل إلى الخليفة ، فحبس في داره حتى مات ؛ وقد جاء في « الفصل » :

قالت طائفة إنه « حتى لم يمت ولا قُتل ولا يموت ، حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(٤) » . ومن « الجارودية » أيضاً من ينتظر يحيى بن عمر - من نسل

(١) انظر « الفصل » - ٤ ص ١٧٩ ط مطبعة التمدن .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٣ نهر العطار بالقاهرة .

(٣) المصدر السابق ص ٣٦ ، ومختصر الرسعني ص ٥٣ ، وانظر أيضاً التبصير في الدين .

للأسفراييني ص ٢١

(٤) ابن حزم - ٤ ص ١٧٩ ، وانظر أيضاً الشهرستاني - ١ ص ٢١٣ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية ، وانظر كذلك البغدادي في « الفرق » ص ٢٣ ، والأسفراييني .

في « التبصير » ص ١٧

زيد بن علي — الذي قام بالكوفة عام ٢٥٠ هـ ، في عهد الخليفة العباسي المستعين بالله ، فقتل وحمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقد قال فيه بعض العلويين (١) :

قتلتَ أعزَّ من ركب المطايا وجئتك أستامينك في الكلام
وعزَّ عليَّ أن ألقاك إلّا وفيما بيننا حدُّ الحسام
والأشعري يحدثنا في « مقالات الإسلاميين » أن فرقة أخرى من الزيدية ، لا تنكر « الرجعة » فيقول :

« والفرقة الخامسة من الزيدية يتبرأون من أبي بكر وعمر ، ولا يفكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة » .

فليس ما يقوله إذا الأستاذ أحمد أمين (٢) . من أن الزيدية تنكر المهديّة ، وذلك راجع إلى تعاليم المعتزلة صحيحاً على إطلاقه ، ومن الزيدية « الجارودية » ، وتلك الفرقة التي حدثنا عنها الأشعري ، وكذلك ليس ما يقوله الباحث الكبير « جولدزهر » Goldziher من أن نظرية الزيدية المثلثية « هي الإمامة النشيطة العاملة ، وليست الإمامة السلبية التي تنتهي بهم إلى الإمام الخفي (٣) » ، بمنطبق تماماً على كافة فروع « الزيدية » ومنها « الجارودية » ، ولا ينصرف هذا القول إلا إلى « الصالحية » أو أختها « السليمانية » ، أو إليهما معاً ، ومن العجيب أن « جولدزهر » يقول — ويبدو متضارباً — « والاعتقاد بالإمام الخفي يسود كافة فروع الشيعة (٤) » ، وفي هذا القول — دون شك — سرف ظاهر .

(١) أنظر الملل والنحل للشهرستاني > ١ ص ٢١٣ ، والفصل لابن حزم > ٤ ص ١٧٩ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٣ — وقد ورد هذا المهدي فيه خطأ باسم محمد بن همر — وانظر أيضاً التبصير في الدين للأُسفرايينى ص ١٧ .

(٢) ضحى الإسلام > ٣ ص ٢٤٣

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٢١١

(٤) المصدر السابق ص ١٩١

وأكبر الظن أن تكبير الزيدية الأحرار ، كان قد انحط في القرن السادس الهجري ، عصر الشهرستاني ، حتى لنراه يقول :

« وأكثرم في زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأى واجتهاد ، أما في الأصول فيرون رأى المعتزلة حذو القُذَّة بالقُذَّة ، ويعظمون أئمة الاعتزال ، أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت . وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة ، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعى رحمه الله^(١) . »

ويرجع هذا الانحطاط إلى جنافية « الجارودية » — إحدى فرقهم — عليهم ، ومنعهم إياهم من طلب العلم ، بإفهامهم أن الله يلهمهم إياه إلهاماً ...! ، كما ينقل لنا ذلك عن الجاحظ ، الخياط المعتزلى ، صاحب « الانتصار » .

ويمثل الزيدية في العصر الحديث ، حكومة اليمن الحالية التي يرأسها الإمام سيف الإسلام أحمد ابن الإمام يحيى حميد الدين ، وهو من بنى القاسم الرسى ، ابن إبراهيم طباطبا ، بن اسماعيل بن عبد الله ، بن الحسن بن الحسن ، بن علي بن أبي طالب : قال القلقشندي :

« وكان مبدأ أمرهم أن محمد بن إبراهيم طباطبا ، خرج بالكوفة في خلافة المأمون في سنة تسع وتسعين ومائة ، ودعا إلى نفسه ، وكان شيعته من الزيدية وغيرهم يقولون : إنه مستحق للإمامة بالتوارث عن آبائه ، عن جده إبراهيم الإمام وغلب على كثير من بلاد العراق ، ثم خمدت سورته ، فتطلب المأمون أخاه القاسم الرسى ، فهرب إلى الهند ، ولم يزل بها حتى هلك سنة خمس وأربعين ومائتين ، فرجع ابنه الحسين بن القاسم الرسى ، بن إبراهيم طباطبا إلى اليمن ، فكان من عقبه هؤلاء الأئمة^(٢) . »

(١) الملل والنحل - ١ - ص ٢١٨ على هامش ابن حزم ط الطبعة الأدبية .

(٢) صبح الأعشى - ٥ - ص ٤٧

وليس هناك قرابة أو صلة بين أئمة اليمن ، وبين الدولة الزيدية التي قامت بطبرستان في القرن الثالث الهجري ؛ قال القلقشندي :

« وقد وهم في (التعريف) فجعل هذه الأئمة (أئمة اليمن) من بقايا الحسينيين القائمين بأمل الشط من بلاد طبرستان ، وأن القائم منهم بأمل الشط بطبرستان ، هو الداعي المعروف بالعلوي من الزيدية ، وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل ، ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . خرج سنة خمس وخمسين ومائتين ، أو ما يقاربها ، فملك طبرستان وجرجان ، وسائر أعمالها ثم مات ، وقام أخوه محمد بن زيد مقامه . وكان لشيعته من الزيدية دولة هناك ، ثم انقضت وورثها الناصر الأطروشي ، وهو الحسن بن علي ، بن الحسين بن علي ، بن عمر ابن علي زين العابدين ، بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ، وكان له دولة هناك .

« ثم خرج علي الأطروشي من الزيدية الداعي الأصغر ، وهو الحسن بن القاسم ابن علي بن عبد الرحمن ، بن القاسم بن محمد البطحائي ، بن القاسم بن الحسن ، ابن زيد بن الحسن السبط ، وجرى بينه وبين الأطروشي حروب ، إلى أن قتل سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، ويجتمع الداعي الأصغر مع الداعي الأكبر في الحسن بن زيد ، وليس بنو الرسي الذين منهم أئمة اليمن من هؤلاء بوجه (١) » .

ومهما يكن من شيء فتاريخ الزيدية في اليمن — قديمه وحديثه — مجهول ، ولا نكاد نعرف عنها شيئاً رغم معاصرتنا لها ، وذلك يرجع إلى القائمين بالأمر في تلك البلاد فقد أحاطوا نحلهم بسياج من السرية والسكران .

الإمامية

كثير تعداد فرق الإمامية حتى أربى على خمس عشرة فرقة ، ولكل فرقة مهدي خاص . ونحن لا تعيننا هذه الكثرة ، بقدر ما تعيننا فرقتان فحسب من فرق الإمامية ، لما لها من خطر وانتشار ، وهما « الاثنا عشرية » و « الإسماعيلية » ، فسنقتصر في حديثنا عن الإمامية على هاتين الفرقتين .

الاثنا عشرية :

لقبوا بذلك ؛ لادعائهم أن الإمام المنتظر ، هو الثاني عشر من أولاد علي بن أبي طالب ، وقد قالوا بوجود سلسلة من اثني عشر إماماً ، أوحى الله تعالى بهم لنبيه محمد ، بل وعيّنهم له بأسمائهم ، وقد انتقلت الإمامة من أمير المؤمنين علي المرتضى ، إلى الحسن المجتبي ، ثم الحسين الشهيد ، فالسجاد علي زين العابدين ، فولده محمد الباقر ، فابنه جعفر الصادق ، فموسى الكاظم ، فعلي الرضا ، فمحمد التقي ، فعلي النقي ، فالزكي حسن العسكري^(١) ، ثم الحجة محمد المهدي ، ويكنى بأبي القاسم ، ويلقب بالقائم والمهدي وصاحب الزمان .

وقد اختلف في محمد هذا وفي أبيه الحسن اختلافاً كبيراً ؛ ف قيل إن الحسن لم يمت ولكنه غائب فقط ، وقيل مات ولا ولد له ولكنه سيهود بعد الموت ، وقيل مات ولن يعود ، وقد أوصى إلى أخيه جعفر ، وقيل مات ولم يوص ولم يترك وارثاً في الإمامة ، وقيل إنه ترك ولداً غير معروف .

وقالت الاثنا عشرية : إن للحسن ولداً هو محمد المهدي ، خاتم الأئمة الاثني عشر ، وقد وُلد ببغداد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٢٥٥ هـ ، من أمّ ولد

(١) العسكري : نسبة إلى « العسكر » وهي « سر من رأى » ، انتقل إليها المنتصم بعسكره ، فن تم قيل لها العسكر ، ونسب إليها الحسن العسكري ؛ لأن المتوكل أشخص أباه علياً إليها فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، فنسب هو وولده الحسن إليها .

يقال لها نرجس وقيل خخط ، وشهدت بذلك قابله حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى ، التي تلقته وزعمت أنها سمعته يتكلم ، ويقرأ القرآن حين نزل من بطن أمه ...! وقد مات أبوه وهو ابن سنتين ، وقيل خمس^(١) سنين ، أتاه الله فيها الحكمة كما أنها يحيى صبيها ... وقد اختفى محمد هذا ولما يبلغ الثامنة من عمره ، وقيل في التاسعة ، وذلك عام ٢٦٥ هـ ؛ إذ يزعمون أنه دخل مع أمه سرداباً « بالحلّة » بالقرب من بغداد ، ففقد ولم يعد ، فهم ينتظرونه إلى الآن^(٢) ، ويقال إنهم يقفون كل ليلة عند باب السرداب ، ببغلة مشدودة ملجمة من الغروب إلى مغيب الشفق ، ينادون : « أيها الإمام ، قد كثرت الظلم وظهر الجور فأخرج إلينا » ثم يرجعون إلى الليلة الأخرى ، وروى ياقوت أنهم كانوا في « قاشان » - من بلاد العجم - يركبون كل صباح إلى لقائه ، وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري .

ويقول الرحالة ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري) في وصف مدينة « الحلّة »^(٣) :
« وبمقربة من السوق الأعظم بهذه المدينة مسجد ، على بابه ستر حرير مسدل ، وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ، ومن عاداتهم أنه يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة ، عليهم السلاح وبأيديهم سيوف مشهورة ، فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر ، فيأخذون منه فرساً ملجماً أو بغلة كذلك ، ويضربون الطبول والأناقير والبوقات أمام تلك الدابة ، ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ، ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ، ويأتون مشهد (صاحب الزمان) ، فيقفون بالباب

(١) وقيل أيضاً إنه ولد بعد موت أبيه بثمانية أشهر .

(٢) أنظر فيما يتعلق بهذه الفرقة « الفصل » لابن حزم ج ٤ ص ١٨١ ، و « الملل » للشهرستاني ج ٢ ص ٥ . على هامش ابن حزم ، و « الفرق » لبغدادى ص ٤٠ ، ومختصره للرسعنى ص ٦٠ ، و « التبصير » للأسفرايينى ص ٢٣ ، وانظر أيضاً مادة « الاثني عشرية » بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٤٢٩ من الترجمة العربية ، و « عقيدة الشيعة » لدونلدسن ص ٢٢٢ ، الترجمة العربية .

(٣) قرية بالعراق بالقرب من بغداد ، غربى الفرات ، قال ابن بطوطة : « وأهل هذه المدينة لامامية اثنا عشرية ، وهم طائفتان : إحداهما تعرف بالأكراد ، والأخرى تعرف بأهل الجامعين ، والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم أبداً » . أنظر رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٨

ويقولون : (باسم الله يا صاحب الزمان ، باسم الله اخرج ؛ فقد ظهر الفساد وكثر الظلم ، وهذا أوان خروجك ، فيفترق الله بك بين الحق والباطل) ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنتقار ، إلى صلاة المغرب ^(١) .

ولزيارة هذا الإمام طريق مرسوم يجب أن يسلك ، فعلى الزائر للسرداب أن يسلم على الغائب ويناديه بخليفة الله ، ووصى الأوصياء الماضين ، وحافظ أسرار رب العالمين ، وبقية الله من الصفوة المنتخبين ، وباب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، ونور الله الذي لا يُطفأ ، وحنة الله على من في الأرض والسماء ، ثم يخاطبه بما يلي :

« أشهد أنك الحجة على من مضى ومن بقى ، وأن حزبك هم الغالبون ، وأولياءك هم الفائزون ، وأعدائك هم الخاسرون ، وأنت خازن كل علم ، وفاتق كل رتق ، ومحقق كل حق ، ومبطل كل باطل ، رضيتك يا مولاي إماماً وهادياً وولياً ومرشداً ، لا أبتغي بك بدلاً ، ولا أتخذ من دونك ولياً .

« أشهد أنك الحق الثابت الذي لا ريب فيه ، وأن وعد الله فيك حق ، لا أرتاب لطول الغيبة وبعْد الأمد ، ولا أتخير مع من جهلك وجهل بك ، منتظر متوقع لأبياديك ، وأنت الشافع الذي لا تُنزع ، والولى الذي لا تدافع ، ادخرك الله لنصره ، وإعزاز المؤمنين ، والانتقام من الجاحدين المارقين .

« أشهد أن بولايتك تُقبل الأعمال ، وتزكى الأفعال ، وتضاعف الحسنات ، وتُمحى السيئات ، فمن جاء بولايتك ، واعترف بإمامتك قبلت أعماله ، وصدقت أقواله ؛ وتضاعفت حسناته ، ومحيت سيئاته ، ومن عدل عن ولايتك ، وجهل معرفتك ، واستبدل بك غيرك ، كبه الله على منخره في النار ، ولم يقبل الله له عملاً ؛ ولم يُقم له يوم القيامة وزناً .

« أشهد الله وأشهد ملائكته وأشهدك يا مولاي بهذا ، ظاهره كباطنه وسرّه كعلانيته ، وأنت الشاهد على ذلك ، وهو عهدى إليك وميثاقى لديك .

(١) رحلة ابن بطوطة - ص ١٣٨ ط مطبعة التقدم بالقاهرة .

«وبذلك أمرني رب العالمين ؛ فلو تطاولت الدهور ، وتمادت الأعمار ، لم أزد
فيك إلا يقيناً ، ولك إلا حباً ، وعليك إلا مُتَّكلاً واعتماداً ، ولظهورك إلا توقعاً
وانتظاراً ، ولجهادى بين يديك إلا مترقباً ؛ فأبذل نفسى ومالى وأهلى وجميع
ما خولنى ربي بين يديك ، والتصرف بين أمرك ونهيك .

« مولاى : فإن أدركت أيامك الزاهرة ، وأعلامك الباهرة ، فهذا أنا ذا عبدك
المتصرف بين أمرك ونهيك ، أرجو به الشهادة بين يديك ، والفوز لديك .
« مولاى : فإن أدركنى الموت قبل ظهورك ، فأتوسل بك ، وبآبائك الطاهرين
إلى الله سبحانه وتعالى ، واسأله أن يجعل لى كربةً فى ظهورك ، ورجعةً فى أيامك ،
لأبلغ من طاعتك مرادى ، وأشفى من أعدائك فؤادى .

« مولاى : وقتت فى زيارتى إياك ، موقف الخاطئين النادمين الخائفين من
عقاب رب العالمين ، وقد اتكلت على شفاعتك ، ورجوت بموالائك وشفاعتك
محو ذنوبى ، وستر عيوبى ، ومغفرة زللى . فكن لوليك يامولاى عند تحقيق أمله ،
واسأل الله غفران زلله ؛ فقد تعلق بجملك وتمسك بولائك^(١) ... » !!
ثم يصلى الزائر ركعتين يقول بعدما :

« الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد ، الحمد لله الذى
هدانا لهذا ، وعرفنا أوليائه ، وأعداءه ، ووقفنا لزيارة أئمتنا ، ولم يجعلنا من المعاندين
الناصبين ، ولا من الغلاة المقوضين ، ولا من المرتابين المقصرين .
« السلام على ولى الله ، وابن أوليائه ، والسلام على المدخر لكرامة أوليائه الله
وبوار أعدائه .

« اللهم كما جعلت قلبى بذكره معموراً ، فأجعل سلاحى بنصرته مشهوراً ،
وإن حال بينى وبين لقائه الموت ، الذى جعلته على عبادك حتماً ، وقدرت به على

(١) أنظر عقيدة الشيعة للعلامة دونالدسن « الترجمة العربية » ص ٢٤٩ نشر الخانجي بالقاهرة .

خليقتك رغماً ، فابعثني عند خروجه ظاهراً من حفرتي ، مؤتزرأ كفني حتى أجاهد بين يديه ، في الصف الذي أثنيت على أهله في كتابك ، كأنهم بنيان مرصوص .

« اللهم طال الانتظار ، وشمتم بنا الفجار ، وصعب علينا الانتصار .

« اللهم أرنا وجه وليك الميمون في حياتنا ، وبعد المنون .

« اللهم إني أدين لك بالرجعة ، بين يدي صاحب هذه البقعة . الفوث .

الفوث . الفوث

« يا صاحب الزمان . قطعت في وصلتك الخلان ، وهجرت لزيارتك الأوطان ،

وأخفيت أسرى عن أهل البلدان ؛ لتكون لي شفيماً عند ربك ورببي ، وإلى آبائك مالياً في حسن التوفيق لي ، وإسباغ النعمة عليّ ، وسوق الإحسان إليّ » (١)

وقد أورد المجلسي في كتابه « تحفة الزائر » عهداً ، يقطعه الزائر للسرداب

على نفسه ، ويبايع به الإمام الغائب ، وقد رفع المجلسي هذا النص للبيعة — بسند

طويل — إلى الإمام جعفر الصادق ، وقال : « إن من قرأ هذا العهد أربعين صباحاً ،

كان من أصحاب الأئمة الأبرار ، وإذا مات قبل ظهور الإمام الثاني عشر ، أقامه الله

من قبره ليكون مع الإمام عند مجيئه ، وبكل كلمة يقرؤها من هذا العهد ، يرفع الله

له ألف درجة ، ويغفر له ألف ذنب . . . » (٢)

وهاك نص هذه البيعة :

« اللهم رب النور العظيم ، ورب الكرسي الرفيع ، ورب البحر المسجور ، ومنزل

التوراة والإنجيل والزيور ، ورب الظل والحرور ، ومنزل القرآن العظيم ، ورب

الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين .

« اللهم إني أسألك بوجهك الكريم ، وبنور وجهك المنير ، وملئك القديم ،

يا حيّ ، يا قيوم ، أسألك باسمك الذي أشرفت به السماوات والأرضون ، وباسمك

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٥٠

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٥

الذي يصلح به الأولون والآخرون ، يا حيّ قبل كل حيّ ، ويا حيّ بعد كل حيّ ،
ويا حيّ حين لا حيّ ، يا حيّ الموتى ، وميت الأحياء ، يا حيّ لا إله إلا أنت .

« اللهم بلغ مولانا الإمام الهادي المهدي القائم بأمرك صلوات الله عليه ، وعلى
آبائه الطاهرين من جميع المؤمنين والمؤمنات ، في مشارق الأرض ومغاربها ، سهلها
وجبلها ، وبرها وبحرها ، غنى وعن ولدى من الصلوات زنة عرش الله ، ومداد
كلماته ، وما أحصاه علمه ، وأحاط به كتابه .

« اللهم إنى أجدد له في صبيحة يومى هذا ، وما عشت من أيامى ، عهداً وعقداً
وبيعة له في عنقي ، لا أحول عنها ، ولا أزول .

« اللهم اجعلنى من أنصاره وأعوانه ، والذابّين عنه ، والمسارعين إليه في قضاء
حوائجه ، والممثلين لأوامره ، والحامين عنه ، والسابقين إلى إرادته ، والمستشهادين
بين يديه

« اللهم إن حال بينى وبينه الموت ، الذى جعلت على عبادك حتماً ، فأخرجنى
من قبرى مؤثراً كفى ، شاهراً سيفى ، مجرداً قناتى ، ملبياً دعوة الداعى ، فى
الحاضر والبادى ^(١) ! !

« اللهم أرنى الطلعة الرشيدة ، والفترة الحميدة ، وأكمل ناظرى بنظرة منى إليه ،
ومجّل فرجه ، وسهّل مخرجه ، وأوسع منهجه ، واسلك بى محجته ، وأنفذ أمره ،
واشدد أزره ، واعمر اللهم به بلادك ، وأحى به عبادك ؛ فإنك قلت ، وقولك الحق ،
(ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس) .

« فأظهر اللهم لنا وليك ، وابن بنت نبيك ، المسمى باسم رسولك حتى لا يظفر
بشئ من الباطل إلا مزّقه ، ويحق الحق ويحققه ، واجعله اللهم مغزماً لمظلوم عبادك ،

(١) يتضح لك من هذه الدعوات الحارة صدق ما حدثناك به من أن الاثني عشرية يدينون
بالرجعة ، ويسألون الله أن يخرجهم من قبورهم قبل يوم القيامة ، ليكونوا فى جيش مهديهم
محمد بن الحسن العسكري ، ويسهموا معه فى انتصاره على الكفرة والمارقين .

وانصراً لمن لا يجد له ناصرًا غيرك ، ومجدداً لما عُطلَّ من أحكام كتابك ، ومشيئاً
لما ورد عن أعلام دينك ، وسنن نبيك صلى الله عليه وآله ، واجعله اللهم في حصن
من بأس المعتدين .

« اللهم وسِّرْ نبيك محمداً صلى الله عليه وآله برويته ، ومن تبعه على دعوته ،
وارحم استكانتنا بعده .

« اللهم اكشف هذه الغمة ، عن هذه الأمة بحضوره ، وعجل لنا ظهوره ، وإنهم
يرونه بعيداً ، ونراه قريباً برحمتك يا أرحم الراحمين ^(١) .. !! » .

وقد استمر تيار الشك في وجود محمد بن الحسن قوياً جارفاً حتى العصور الحديثة ؛
قال العلامة الفارسي « ميرزا عبد الحسين آواره » :

« وفي الحقيقة ونفس الأمر ، لم يكن القول بوجود شخص كهذا ، إلا فرية
واختلاقاً ؛ وذلك أنه لما توفي الإمام الحسن العسكري ، لم يكن له خلف ولا ذرية ،
فاستولى المتوكل العباسي ، بعد وفاته على أمواله جميعها ووزعها ، وبعث بالقوالب إلى
حرمه ، للكشف على نسائه ، وتبين حملهن من عدمه ، فتحقق بعد الكشف أنه
لا يوجد بينهن حامل ، وشاعت الأخبار وذاعت أن الحسن مات عقيماً ، ولكن
هذا الخبر ، لما لم يرق في أعين زمرة من شيعته ، أشاعوا نقيضه ، وهو أن الإمام
الحسن له ولد صغير السن ، كان يخفيه والده عن أعين الناس خوفاً عليه من الأعداء ،
وهو الآن في الغيبة الصغرى . وعلى أثر تلك الإشاعة قام أربعة رجال ، الواحد بعد
الآخر ، وادعوا النياية عن الإمام الغائب ، وعُرفوا باسم (النواب الأربعة) ^(٢) » .

ويحدثنا أيضاً البجائة « ميرزا آواره » ^(٣) ، أنه في سنة ستين بعد المائتين من
الهجرة ، مات النائب الرابع وهو محمد بن عثمان السري ، وقد قرر وهو مختصر سدَّ
باب النياية ، وابتداء غيبة الإمام الكبرى ، وقد أخذ علماء الشيعة يعملون جهدهم

(١) عقيدة الشيعة ص ٣٤٥

(٢) الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهاية ص ١٠ ص ٣١

(٣) المصدر السابق ص ١٠ ص ٣٣ وما بعدها .

في تأييدها بالحجج والبراهين ، واشتد ذلك في القرون الوسطى للإسلام ، غير أن هذه البراهين كانت — كما يقول آواره — من الضعف بمكان .

ويشغل محمد بن الحسن العسكري صحائف عديدة من أدب الشيعة الاثني عشرية ، وقد امتدحه بهاء الدين العاملي — المتشيع الاثنا عشرى صاحب الكشكول — بقصائد تُعد من أروع الشعر العربي ، سلاسة ورقة وصدقاً ، وسنفرض لذلك في حينه . وقد سخر أهل السنة من عقيدة الاثني عشرية الخاصة بالمهدى وقتدوها بقولهم : إن المهدي — تبعاً لما جاء في الروايات — يجب أن يكون اسمه محمداً (كاسم النبي) ، واسم أبيه عبد الله (كاسم أبيه عليه السلام) ، ووالد المهدي ، وهو الإمام الحادى عشر اسمه الحسن ، لا عبد الله ، كما يجب أن يكون .

وقد سخر أهل السنة أيضاً سخريه لاذعة من غيبة محمد بن الحسن ، واختفائه في السرداب ، وفي ذلك يقول ابن حجر ^(١) :

ماحان للسرداب أن يلد الذى سميتموه بزعمكم إنساناً !؟
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيالانا

وقد أجاب الاثنا عشرية — كما لاحظ ذلك « جولدزيهر » Goldziher ^(٢) — بقولهم : إن متن الحديث الدال على اسم المهدي قد صُحِّف ، فبدلاً من عبارة (يواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى) الواردة في الحديث ، يزعمون أن الصواب (واسم أبيه اسم ابني) ، وأبو المهدي اسمه (الحسن) وهو اسم حفيد النبي (الحسن بن علي) ، ولا يشكون في أن كلمة (ابن) تفيد أيضاً معنى الحفيد !

أما اختفاء الإمام وغيبته ، فقد اشتغلوا بها في العصور الوسطى الإسلامية ، وأقاموا عليها أدلة وبراهين ، غير أنها كانت من الضعف بحيث لم تقنع الشيعة أنفسهم ، بله أهل السنة ، وقد كانت في الحق مجرد جدال ولجاج .

(١) الكواكب الدرية ١ ص ٣٢

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٤

والاثنا عشرية من أعظم فرق الشيعة انتشاراً في العصر الحديث ، وقد أقرت مذهبهم في إيران ، الأسرة الصفوية - التي تزعم أنها من سلالة موسى الكاظم - فأصبح بذلك المذهب الرسمي للدولة ، وقد أمر الشاه اسماعيل الصفوي - بعد اعتلائه العرش عام ١٥٠٦ هـ / ١٥٠٠ م - خطباء أذربيجان ، أن تكون الخطبة باسم الأئمة الاثني عشر .

ومن الاثني عشرية في إيران انشعبت « البائية » و « البهائية » ، وانفردت كل منهما بعقائد جديدة ، لاقت رواجاً في العصر الحديث كما سنحدثك فيما بعد .
وللمذهب الاثني عشرى - كما يقول ^(١) العلامة « هيار » Huart - أهمية كبرى عند الفرس ، الذين نظروا إلى الأئمة كما نظر النصارى إلى أفانيمهم ، وقالوا إن بأيديهم مقادير العالم ، وعليهم حفظه وهدايته ، وطاعتهم والتوسل إليهم أمران ضروريان ، وهناك صلوات خاصة بهم ، وأيام وساعات مقدسة من أجلهم ، وللذين يزورون قبورهم أجر معلوم ...

الإسماعيلية ^(٢) :

تنسب هذه الفرقة إلى الإمام السابع « إسماعيل » وهو الابن الأكبر للإمام السادس جعفر الصادق ، وكان جعفر قد عين إسماعيل خلفاً له ، غير أنه لقيه مرة ثملاً مخوراً ، فعاد وعين ابنه الثاني موسى ، ولكن الإسماعيلية لا تسلّم بنزع الإمامة من إسماعيل ؛ لأنهم يرون أن الإمام معصوم ، وشرب الخمر لا يقدر في عصمته ، ويلومون جعفرأ على فعلته ، التي تمس عصمة الأئمة وترتيبهم الإلهي المقدس . وقد توفي

(١) أنظر مادة الاثني عشرية بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٤٢٩ من الترجمة العربية .
(٢) ويسمون أيضاً بالباطنية ؛ وذلك لقولهم بالإمام الباطن أى المستور أو لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره . وقد عني أبو حامد الغزالي بالرد على هذه الطائفة ذات التعاليم الخفية في كتابه « فضاء الباطنية » الذي نشره العلامة « جولزبير » Goldziher بليدن عام ١٩١٦

إسماعيل هذا بالمدينة عام ١٤٣ هـ = ٧٦٠ - ٧٦١ م ، أى قبل وفاة أبيه بخمس سنين ودفن ببيقاع القرقد^(١) .

وقد أراد جعفر الصادق أن يؤكد وفاة ابنه — الذى يظهر تماماً أنه لم يكن راضياً عنه — فتم له ذلك بشهادة عدول كثيرين ، بيد أن الإسماعيلية أيضاً لم يسلموا بموت صاحبهم ، على الرغم من تأكيدات جعفر القاطعة ، وزعموا أنه كان حياً بعد وفاة أبيه بخمس سنين ، وأنه رؤى فى سوق البصرة ، حيث وضع يده على مُقعد فأراه

وقد انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ولده محمد الـكتوم ، الذى أصبح الإمام السابع الحقيقى ، وحلَّ بذلك محلَّ أبيه ، وهو أول الأئمة المستورين ، الذين تفرقوا فى البلاد مختلفين ، لما لحقهم من الاضطهادات السياسية التى حاقت بالعلوين جميعاً . وكان هؤلاء الأئمة المستورون ، يبعثون إلى العالم الإسلامى بالدعاة ، مجتنبين المجاهرة بالدعوة ، إلى أن مات الإمام محمد الحبيب بن جعفر الصادق ، بن محمد الـكتوم بن إسماعيل ، بن جعفر الصادق ، آخر هؤلاء الأئمة المختلفين ، وحانت عقيب موته تلك اللحظة الحاسمة ، التى أثمرت فيها تعاليم الحركة السريّة الإسماعيلية بظهور ولده عبيد الله ، على اعتبار أنه المهدي المنتظر ، وقد دعا له فى صحارى المغرب ، أبو عبد الله الشيعى ، الحسن بن أحمد ، الذى يظهر أنه نجح فى مهمته أيما نجاح . وقد حاول الخليفة العباسى المكتفى بالله ، القبض على أحد دعاة الدعوة الخطر بن سعيد بن الحسين ، ولكنه فرَّ إلى مصر ومنها إلى بلاد المغرب ، حيث وجد فيها أرضاً خصيبة صالحة لبذور دعوته ؛ وذلك لما كان يسودها وقت ذاك من انحطاط فكرى عام وبدعوة شاملة .

(١) أنظر فيما يتعلق بالإسماعيلية ، الشهرستانى ٢ ص ٢٧ على هامش ابن حزم ، طبع المطبعة الأدبية ، والبغدادي فى « الفرق » ص ٣٩ ، نشر الطائر بالقاهرة ، ومختصر الرسعنى ص ٥٨ ، والأسفراينى فى « التبصير فى الدين » ص ٢٣ ، وانظر أيضاً هذه المادة بدائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٢ ص ١٨٧ من الترجمة العربية .

ويحدثنا الرواة أن هذا الداعية الخطر «سعيد بن الحسين» هو الذي زعم أنه المهدي المفتظر، أبو محمد عبيد الله من ولد جعفر الصادق، ولم ينكر عليه الداعية أبو عبد الله الشيعي هذا الزعم، بل عمل على تأكيده وأخذ البيعة له، فبايعه على دعوته بربر قبيلة كتمامة، ثم تنابح المغاربة على المبايعة، فاستطاع أبو عبيد الله المهدي — بعد خطوب وحروب — أن يفتزع ملك الأغالبة، وأن يحقق أحلام العلوين بقيام دولة بني عبيد الفاطمية في شمال أفريقيا، في أواخر القرن الثالث الهجري ٢٩٦ هـ — ٩٠٩ م .
وللشيعة الإسماعيلية دعوة سرّية فلسفية إلحادية، لها درجات ومراتب؛ قال
عضد الدين الإيجي :

« ولهم في الدعوة مراتب :

« الذوق — وهو تفرّس حال المدعوّ؛ هل هو قابل للدعوة أم لا؟ ولذلك

منعوا إلقاء البذر في السبخة، والتكلم في بيت فيه سراج .

« ثم التأنيس باستمالة كل أحد بما يميل إليه، من زهد وخلاعة .

« ثم التشكيك في أركان الشريعة بمقطعات السور، وقضاء صوم الخائض

دون قضاء صلاتها، والغسل من المتى دون البول، وعدد الركعات .

« ثم الربط : أخذ الميثاق منه بحسب اعتقاده، ألا يفشى لهم سرّاً، وحوالته

على الإمام في حل ما أشكل عليه .

« ثم التدليس : وهو دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا لهم، حتى يزداد ميله

« ثم التأسيس : وهو تمهيد بمقدمات يقبلها المدعو .

« ثم الخلع : وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية .

« ثم السلخ عن الاعتقادات، وحينئذ يأخذون في استعجال اللذات،

وتأويل الشرائع»^(١) .

وقد حدثنا العلامة تقي الدين المقرئ^(٢) عن دعوة الإسماعيلية هذه، وصوورها

(١) المواقف ص ٤٢٢، والفرق بين الفرق ص ١٧٩

(٢) انظر المقرئ ص ١٠٣ وما بعدها ط بولاق عام ١٢٧٠ هـ .

لنا تصويراً رائعاً ، يدلنا على مقدار ما وصل إليه دعاة الإسماعيلية من براعة فائقة في جذب الناس إلى حظيرة الدعوة بأساليب سيكلوجية دقيقة ؛ فالداعى يبدأ مهمته بسؤال من يدعوهُ إلى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ، ومعانى الأمور الشرعية ، وشيء من الطبيعيات ومن الأمور الغامضة ، فإن كان المدعوّ عالماً بمثل ذلك سلم له الداعى ، وإلا تركه يُعمل فكره فيما ألقاه عليه من الأسئلة ، قائلًا له : يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأَكثَر له منكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأئمة من العلم لم تختلف ، وحينئذ يشناق الطالب إلى معرفة ما عند الداعى من هذا العلم المستور ، وحينما يجد صاحبنا إقبالاً من تلميذه ، يأخذ في ذكر معانى شرائع الدين ، وتقرير أن الآفة التي نزلت بالأمة وقرت الكلمة وأورثت الأهواء المضلة ، هي ذهاب الناس وانصرافهم عن الأئمة الذين نُصّبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم ، يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها ، غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة ونظروا في الأمور بعقولهم ، واتبعوا ما حسُن في رأيهم ، وقلدوا سفلتهم وأطاعوا ساداتهم وكبراءهم ، اتباعاً للملوك وطلباً للدنيا ، التي هي أيدى متبعي الإثم وأجناد الظلمة ، وأعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجهدون في طلب الرياسة على الضعفاء ، ومكايده رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ، وتغيير كتاب الله عز وجل ، وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومخالفة دعوته وإفساد شريعته وسلوك غير طريقته ، ومعاندة الخلفاء والأئمة من بعده ، صار الناس إلى أنواع الضلالات ، فإن دين محمد ما جاء بشهوات الناس ولا بما خفّ على الألسنة وعرفته دماء العامة ، ولكنه صعبٌ مستصعب وعلمٌ خفي غامض ، ستره الله في حجبهِ وعظُم شأنه عن ابتذال أسراره ، فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذي لا يطبق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله إلا ملكٌ مقربٌ ، أو نبي مرسل أو عبد مؤمن ، امتحن الله قلبه للتموى . . . !

فإذا أنس الداعى من تلميذه إنصافاً له وإقبالاً عليه نقله إلى المرتبة الثانية ، بعد أن يعمل على تشكيكه في الشريعة الإسلامية .

ومن المسائل التي كانوا يبعثون بها الشك والتلق في نفوس الناس ، قولهم :
ما معنى رمي الجمار والعدو بين الصفا والمروة ؟ ولم كانت الحائض تقضي الصوم
ولا تقضي الصلاة ؟ وما بال جنب يغتسل من ماء دافق يسير ، ولا يغتسل
من البول النجس الكثير ؟ وما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام ؟ أمجز عن
خلقها في ساعة واحدة ؟ وما معنى الصراط الوارد في القرآن ؟ وما معنى الكاتبين
الحافظين ؟ وما لنا لا نراها ؟ أخاف الله أن نكابره ونجأه ، فأقام علينا
الشهود وقيد ذلك بالكتابة في القراطيس ؟ وما تبديل الأرض غير الأرض ؟
وما عذاب جهنم ؟ وكيف يصح تبديل جلد مذب بجلد لم يذنب حتى يعذب ؟
وما معنى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ؟ وما إبليس ؟ وما الشياطين
وما وُصفوا به ؟ وأين مستقرهم ؟ وما يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت ؟
وأين مستقرهم ؟ وما سبعة أبواب للنار ؟ وما ثمانية أبواب للجنة ؟ وما شجرة
الزقوم النابتة في الجحيم ؟ وما دابة الأرض ورءوس الشياطين ؟ وما الشجرة
الملعونة في القرآن ؟ وما التين والزيتون ؟ وما الخنثى والكنثى ؟ وما معنى ألم والمص ؟
وما معنى كهيعص وحمسق ؟ ولم جعلت السموات سبعا ، والأرضون سبعا ، والثاني
من القرآن سبع آيات ؟ ولم تجرت العيون اثنتي عشرة عينا ؟ ولم جعلت الشهور
اثني عشر شهرا ؟ وماذا ينفعكم العمل بالكتاب والسنة من غير أن تفكروا
أولاً في أنفسكم : أين أرواحكم ؟ وكيف صورها وأين مستقرها وما أول أمرها ؟
والإنسان : ما هي حقيقته ، وما الفرق بين حياته وحياته البهائم ؟ وما معنى قول
الرسول : خلقت حواء من ضلع آدم ؟ وما معنى قول الفلاسفة : الإنسان عالم صغير
والعالم إنسان كبير ؟ ولم كانت قامة الإنسان منتصبه دون غيره من الحيوانات ؟
ولم كان في يديه من الأصابع عشر وكذلك في رجله ؟ ولم كان في ظهره اثنتا عشرة
عقدة وفي عنقه سبع عقد ؟ ولم جعلت أعداد عظام الإنسان كذا ... وأعداد أسفانه
كذا ... والأعضاء الرئيسية كذا ... ؟ إلى غير ذلك من التشريح والقول في العروق
والأعضاء ومنافع الحيوان . . . !

هذه هي مسائلهم التي كانوا يثيرون بها الشك في نفوس الجماهير ، فإذا نجحوا في ذلك ، وأكبر الظن أنهم كانوا ينجحون ، يقول الداعي لتلاميذه :

ألا تتفكرون في حالكم وتعتبرون؟ وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم؟ وأنه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية ، حتى جمع ما جمع وفرّق ما فرّق؟ فكيف يسمعكم الإعراض عن هذه الأمور ، وأنتم تسمعون قول الله عز وجل : « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ، « ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون » ، « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »؟ . وأى حق عرفه من جحد الديانة؟ ألا يدلكم هذا على أن الله جلّ اسمه أراد أن يرشدكم إلى بواطن الأمور الخفية وأسرارها المكتومة؟ . ولو تنبهتم لها وعرفتموها ، زالت عنكم كل حيرة ، ودُحضت كل شبهة ، وظهرت لكم المعارف السنية ، ألا ترون أنكم جهلتم أنفسكم التي من جهلها كان حريّاً ألاّ يعلم غيرها؟ أليس الله تعالى يقول : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً »؟ .

وهكذا يستمر الداعي في تأويل القرآن ، وتفسير السنن والأحكام ، وإيراد أبواب من التجويز والتعليل ، فإذا علم أن نفس الطالب قد تعلقت بما سأله عنه ، وطلب منه الجواب عنها ، قال له حينئذ :

« لا تعجل فإن دين الله أعلى وأجل من أن يُبدل لغير أهله ، ويُجعل غرضاً للعب » . وجرت عادة الله وسنته في عباده عند شرع من نصبه ، أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » ، وقال عز وجل : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً » ، وقال جل جلاله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، وقال : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً » ، وقال : « لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل » .

فأعطينا صفقة يمينك ، وعاهدنا بالموءد من أيمانك وعقودك ، ألا تفشى لنا سرا ولا تظاهر علينا أحدا ، ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا ، ولا توالى لنا عدوا . فإذا أعطى الطالب العهد ، قال له الداعى : أعطينا جُعللاً من مالك نجمله مقدمة أمام كشفنا لك الأمور وتعريفك إياها ... يقول المقرىزى : « والرسم فى هذا الجمل بحسب ما يراه الداعى ، فإن امتنع المدعوّ أمسك عنه الداعى ، وإن أجاب نقله إلى الدعوة الثانية » .

وهذه صورة العهد الذى يؤخذ على من يريد الدخول فى حظيرة الإسماعيلية^(١) : يقول الداعى لتلميذه : « جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسوله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق ، أنك تستر جميع ما سمعه وسمعه ، وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من أمرى وأمر المقيم بهذا البلد ، لصاحب الحق الإمام ، الذى عرفت إقرارى له ونصحى لمن عقد ذمته ، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له ، من الذكور والإناث والصغار والكبار ، فلا تظهر من ذلك شيئاً قليلاً ولا كثيراً ، ولا شيئاً يدل عليه ، إلا ما أطلقت لك أن تتكلم به ، أو أطلقه لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد ، فتعمل فى ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه ، وليسكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك ، أن تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الموت حق وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وتقيم الصلاة لوقتها ، وتؤتى الزكاة لحقها ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتجاهد فى سبيل الله حق جهاده ، على ما أمر الله به ورسوله ، وتوالى أولياء الله وتعدى أعداء الله ، وتقوم بفرائض الله وسننه ، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، ظاهراً وباطناً ، وعلانية سرراً وجهرأ ، فإن ذلك يؤكّد هذا

(١) خطط المقرىزى ص ١٠٦ وما بعدها ط بولاق .

العهد ولا يهدمه ، ويثبتته ولا يزيله ، ويقربه ولا يباعدته ، ويشده ولا يضعفه ،
ويوجب ذلك ولا يبطله ، ويوضحه ولا يعتميه ، كذلك هو الظاهر والباطن وسائر
ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين ، على الشرائط المبينة في هذا
العهد ، جعلت على نفسك الوفاء بذلك ، قل : نعم — فيقول المدعو : نعم ، ثم يقول
الداعي له — والصيانة له بذلك ، وأداء الأمانة ، على ألا تظهر شيئاً أخذ عليك في
هذا العهد ، في حياتنا ولا بعد وفاتنا ، لا في غضب ولا على حال رضى ، ولا على رغبة
ولا في حال رهبة ، ولا عند شدة ولا في حال رخاء ، ولا على طمع ولا على حرمان ،
تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد ، وجعلت على
نفسك عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن تمنعني وجميع من
أسميه لك وأثبته عندك ، مما تمنع منه نفسك ، وتنصح لنا ولولايتك ولى الله ، نصحاً
ظاهراً وباطناً ، فلا تخن الله ووليه ولا أحداً من إخواننا وأوليائنا ، ومن تعلم أنه
مننا بسبب ، في أهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما يبطله ، فإن
فعلت شيئاً من ذلك ، وأنت تعلم أنك قد خالفته وأنت على ذكر منه ، فأنت برىء
من الله خالق السموات والأرض الذى سوى خلقك وأف تركيبك ، وأحسن إليك
في دينك ودينك وأخرتك ، وتبرأ من رسله الأولين والآخرين ، وملائكته المقرين
السكرانيين والروحانيين ، والكلمات التامات ، والسمع المثانى والقرآن العظيم ، وتبرأ
من التوراة والإنجيل والزمور والذكر الحكيم ، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم
الدار الآخرة ، ومن كل عبد رضى الله عنه ، وأنت خارج من حزب الله وحزب
أوليائه ، وخذلك الله خذلاناً بيناً ، يعجل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير إلى نار
جهنم ، التى ليس لله فيها رحمة ، وأنت برىء من حول الله وقوته ، ملجأ إلى حول
نفسك وقوتك ، وعليك لعنة الله ، التى لعن الله بها إبليس ، وحرّم عليه بها الجنة
وخلده في النار ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان
ولله عليك أن تحجج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حججاً واجباً ماشياً حافياً ، لا يقبل الله

منك إلا الوفاء بذلك ، وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين ، الذين لا رحم بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه ، ولا يدخل عليك بذلك منفعة ، وكل مملوك لك من ذكر أو أنثى في ماسكك أو تستفيده إلى وقت وفاتك ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، فهم أحرار لوجه الله عز وجل ، وكل امرأة لك أو تتزوجها إلى وقت وفاتك ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، فمن طوالق ثلاثاً بته ، طلاق الحرج لامثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة ، وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرها ، فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك ، وأنا المسقحلف لك ، لإمامك وحبجتك ، وأنت الخالف لهما ، وإن نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به ، فهذه اليمين من أولها إلى آخرها مجددة عليك لازمة لك ، لا يقبل الله منك إلا الوفاء بها ، والقيام بما عاهدت بيني وبينك . قل : نعم ، فيقول : نعم . » .

فإذا أعطى الطالب على نفسه هذا العهد الوثيق ، قال له الداعي : إن الله تعالى لم يرض في إقامة حقه وما شرعه لعباده ، إلا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس ، وأقامهم لحفظ شريعته على ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى ، فإذا تقرر ذلك في نفس الطالب نقله إلى المرتبة الثالثة ، ويعرفه أن الأئمة سبعة ، قد رتبهم الله تعالى كما رتب الأمور الجليلة ، فإنه جعل الكواكب السيارة سبعة ، وجعل السموات سبعاً ، وجعل الأرضين سبعاً ، وهؤلاء الأئمة السبعة هم علي بن أبي طالب ، والحسن بن علي والحسين بن علي ، وعلي بن الحسين الملقب بزین العابدين ، ومحمد بن علي ، وجعفر ابن محمد الصادق ، والسابع هو القائم صاحب الزمان .

والإسماعيلية كما يقول المقرئ زري : « مختلفون في هذا القائم ، فمنهم من يجعله محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويسقط إسماعيل بن جعفر ، ومنهم من يعدّ إسماعيل بن جعفر إماماً ثم يعدُّ ابنه محمد بن إسماعيل . » .

فإذا تقرر عند الطالب أن الأئمة سبعة ، شرع الداعي في ثلث بقية الأئمة

الذين تعتقد الإمامية فيهم الإمامة ، وأخذ يؤكد لتلميذه أن محمد بن إسماعيل عنده علم المستورات و بواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره ، وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة ، ثم بشرع الداعي في تقرير المرتبة الرابعة ، بعد أن يتيقن من صحة انقياد تلميذه لجميع ماتقدم ، وفي هذه المرتبة يحدّثه عن الأنبياء الفاسخين للشرائع المبدئين لأحكامها أصحاب الأدوار وتقليب الأحوال ، وأنهم سبعة فقط كعدد الأئمة سواء ، وكل واحد من هؤلاء الأنبياء لا بدّ له من صاحب ، يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ؛ ويكون معه ظهيراً له في حياته وخليفة له من بعد وفاته ، وأن آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان صاحبه عليّ بن أبي طالب ، ثم من بعد عليّ ستة صمتموا على الشريعة الحمديّة ، وقاموا بميراث أسرارها ، وهم ابنه الحسن ، ثم ابنه الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم إسماعيل بن جعفر الصادق ، أما ابنه محمد فهو صاحب الزمان ، الذي انتهى إليه علم الأولين ، وعلى جميع الناس اتباعه والخضوع له والانقياد إليه ، ثم ينتقل الداعي إلى المرتبة الخامسة ، وفيها يقرر أنه لا بد لكل إمام قائم من أعوان ، هم حجج الله على خلقه ، متفرقون في أنحاء الأرض وعليهم تقوم ، وعدنهم اثنا عشر رجلاً في كل زمان ، ثم ينتقل الداعي إلى المرتبة السادسة ، وفيها يفسر شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمر مخالف للظاهر ، وأن هذه الأشياء جاءت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم ، حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض ، ولتصدّمهم عن الفساد في الأرض ... !

فإذا طال الزمان وصار الطالب يمتدّد أن أحكام الشريعة كلها وُضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة ، وأن لها معاني آخر غير ما يدل عليه الظاهر ، نقله الداعي إلى الكلام في الفلسفة ، وحضّه على النظر في كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ، ونهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات ، وزين له الاقتداء بالأدلة العقلية

والتعويل عليها ، فإذا استقر ذلك عنده ، نقله إلى المرتبة السابعة ، وفيها يتحدث الداعي عن الناصب للشريعة وأنه لا يستغنى بنفسه ، ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ، ليكون أحدهما الأصل والآخر عنه كان وصدر ، ثم ينتقل إلى المرتبة الثامنة وفيها يشرح الداعي ويقرر أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب ، معناها سوى ما يفهمه العامة ، وغير ما يتبادر الذهن إليه ، وليس هو إلا حدوث أدوار عند انقضاء دور من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد ، جاء على ترتيب الطبائع ، ثم ينتقل الداعي إلى المرتبة التاسعة ، وهي النتيجة التي يحاول بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه ، فإذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والإفصاح عن الرموز ، أحاله على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الإلهي . وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية . حتى إذا تمكن الطالب من معرفة ذلك ، كشف الداعي قناعه ، وأخذ يشرح لتلميذه أن الوحي ماهو إلا صفاء النفس ، فيجد النبي في فهمه ما يلقي إليه ويتنزل عليه ، فيبرزه إلى الناس ويعبر عنه بكلام الله ، الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة العامة ، ولا يجب حينئذ العمل بها ، إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء ... ! ، بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها ، ويكفيه معرفته فإنها اليقين الذي يجب المصير إليه ... ! وما عدا المعرفة من سائر أمور الشرع فإنما هي أفعال وأوضاع ، حملها الكفار أهل الجهالة ... !

فالأنبياء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة ، أما الفلاسفة فهم أنبياء
حكمة الخاصة ... !!

ونحن لانشك أن هذه الدعوة الإسماعيلية هي بعينها ومراتبها دعوة ابن ميمون السريّة الإلحادية التي كانت سبباً في ثورة القرامطة الإباحية ، والقرامطة باطنية إسماعيلية ؛ فقد كان ابن ميمون من تلامذة جعفر الصادق ؛ قال ابن شهر آشوب :

« عبد الله بن ميمون القدّاح المسكي ، من أصحاب الصادق عليه السلام ^(١) » .
ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن من الإسماعيلية ، « الدرورز » أتباع حمزة بن علي
وأبي محمد الدرزي ، الذين يقولون بألوهية الخليفة الفاطمي الإسماعيلي الحاكم
بأمر الله ، ويعتقدون رجعتهم إلى الدنيا .

والإسماعيلية اليوم من فرق الشيعة الواسعة الانتشار ، وإمامهم المعاصر هو الزعيم
الهندي المعروف « أغاخان » أحد أترياء العالم .

ومن « الإسماعيلية » و « البهرا » يتكون في الهند الجانب الأكبر من المسلمين
كما يحدثنا العلامة « هيار ^(٢) » Huart ، وهم منتشرون أيضاً في الشام وإيران
وأواسط آسيا بالقرب من « بلخ » ، وفي أفغانستان ، حيث يعرفون هناك باسم
« مقتدي » ، كذلك يوجد منهم عدد كبير في البلاد الواقعة في حوض نهر جيحون
الأعلى ، كما يوجدون أيضاً في زنجبار وتنجانيقا ، ويمدون هناك بعشرات الألوف ^(٣) .

(١) معالم العلماء ص ٦٥ ط طهران .

(٢) أنظر مادة « الإسماعيلية » بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ٢ ص ١٨٧ من الترجمة العربية

(٣) المصدر السابق .

الفصل الخامس

أدب المهديّة عند الشيعة

أدب الشيعة بوجه عام ، أدب حزين مكلوم ؛ تشيع الدموع بين طواياه ، فتطالعك بها سطوره ، وتدعوك إليها ألفاظه حتى ليكاد يبكيك . وهو أدب صادق ، فاض به نبع خالص فياض ؛ تطالعه فلا تحس دجلاً مستوراً في زخرف القول ، أو نفاقاً مبرقماً بصنعة اللفظ وتهريج الكلم ، بل إنك لتكاد تحس بالنفوس مذابة في كلمات ، وبالأرواح سيالة في سطور . وهو مع هذا سلس لا تعقيد فيه ولا صنعة ، لاتكاد تبدأ في قراءة القصيدة من شعره ، حتى تسلمك البداية إلى النهاية ، في جو حزين مليء بالعواطف ، دون تعثر بحوشى اللفظ ، أو إسفاف وتدلّ إلى بهرج الصنعة الزائف ؛ تأخذك دموعه ، كما يأخذك جرسه في الأذن ووقعه في القلب . وإنك لتلمس ذلك واضحاً أيما وضوح في أشعار « دعبل » و « هاشميات » الحكيم .

ولقد كان لتاريخ الشيعة السياسي ، ولما ذاقه العلويون من صنوف المحن والمظالم ، أثر كبير في طبع هذا الأدب بطابع الحزن والصدق والقوة الفنية . وهو في جملته يكاد يدور حول مناقب عليّ بن أبي طالب ، وإمامته ووصايته واغتصاب حقه في الخلافة ، ثم في مقاتل الطالبيين ، والنياحة على قبورهم والإشادة بفضائلهم . وصبّ اللعنات على ظالمهم ، والتقرب من أحيائهم ، والتوسل بأمواتهم ، كل ذلك حسبة لله تعالى وزلفى إليه .

بيد أن الشاعر المتشيع كثيراً ماتدفعه حماسته لآل البيت ، إلى الإغراق في شعره والغلوّ فيه إلى حد بعيد ، تدفعه إلى ذلك عقيدته المقدسة في « الإمام » الذي يكاد الشاعر يرتفع به إلى مصاف الآلهة ؛ كما في قول ابن هانيّ الأندلسي في المعزّ لدين الله الفاطمي :

ماشئتَ لا ماشأت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار!

وكما في أشعار « العاملي » التي سنأتى عليها بعد حين .

ولقد كان لعقيدة « المهدي » عند الشيعة نصيب كبير من أدبهم ، فشغلت منه صحائف رائعة حقاً ، والذي يعنيننا في هذا المقام ، هو هذا الأدب الذي يدور حول « المهدي » أو يتصل به بسبب أو نسب . وستنقصر حديثنا في هذا الصدد على شعراء ثلاثة ، يعتبرون بحق من فحول شعراء الشيعة في القديم والحديث ، وهم : كثير عزة ، والسيد الحميري ، وبهاء الدين العاملي .

كثير عزة :

هو الشاعر الغزلي المشهور ، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن ، كان كما يقول صاحب الأغاني :

« من فحول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي ، وكان غالباً في التشيع ، يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجمة والتناسخ ، وكان مُحَمَّماً مشهوراً بذلك ، وكان آل مروان يعلمون بمذهبه ، فلا يغيرم ذلك لجلالته في أعينهم ، ولطف محله في أنفسهم وعندهم ، وكان من أتيه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد »^(١) .

فكثير شاعر كيساني كربى^(٢) ، يدين بمهدية محمد بن الحنفية وبقائه حياً بجبال رضوى ، وخروجه يوماً ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ...

ولقد كان يدين بالتناسخ ، دخل يوماً على عمه له يزورها — وكانت تكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها — فقال لها : والله ما تعرفيني ولا تكرميني حق كرامتي ، قالت : بلى ، والله إنى لأعرفك . قال : فمن أنا ؟ قالت : فلان بن فلان

(١) أنظر الأغاني ج ٩ ص ٤ ط الدار .

(٢) الكربية أتباع أبي كرب الضرير ، وهم إحدى فرق الكيسانية التي قالت بمهدية ابن الحنفية وحياته بجبل رضوى كما أوضحنا ذلك من قبل .

وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه ، فقال : قد علمت أنك لا تعرفيني ، قالت :
فن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى^(١) . . . !

وكان طبعياً أن يدين بالرجعة ، دخل عليه عبد الله بن حسن ، بن حسن بن عليّ
ابن أبي طالب ، يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فقال له كثيرٌ : أبشرْ فكأنك
بي بعد أربعين ليلة ، قد طلعتُ عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله بن حسن :
مالك ؟ ! عليك لعنة الله ، فوالله لئن متَّ لا أشهدك ، ووالله لا أعودك
ولا أكلمك أبداً^(٢) . . .

ولقد بكاه بعض أهله في مرض موته فقال له : لا تبك فكأنني بك بعد أربعين
يوماً تسمع خشفة^(٣) نعلي من تلحم الشعبة راجعاً إليكم^(٤) . . . !
ولقد تبرأ كثيرٌ من الخلفاء الثلاثة الأول ، إذ رآهم مغتصبين لحق عليّ
في الخلافة ، فقال^(٥) :

برئتُ إلى الإله من ابن أروى ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عمرٍ برئتُ ومن عتيق غداة دُعي أمير المؤمنين
وقد أجابه البغدادي بقوله^(٦) :
برئتَ إلى الإله ببغض قوم بهم أحيما الإله المؤمنين
وما ضرَّ ابنَ أروى منك بغضٌ وبغض البرِّ دين الكافرينا
أبو بكرٍ لنا حقاً إمام على رغم الروافض أجمعينا
وفاروق الوري عمر بحق يقال له أمير المؤمنين

(١) الأغاني > ٩ ص ١٩

(٢) المصدر السابق ص ١٧

(٣) خشفة النعل : صوتها .

(٤) الأغاني > ٩ ص ٢٦

(٥) أنظر شرح ديوان كثير > ١ ص ٢٦٩ ط الجزائر ، وانظر أيضا المقدم الفريد

لابن عبد ربه > ٢ ص ٤٠٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٨

والحق أن كثيرًا كان صادقًا كل الصدق في تشيعه ، وإن كان كاذبًا كل الكذب في عشقه ، منافقًا كل النفاق في سياسته ، ولقد مات بالمدينة عام ١٠٥ هـ قال ابن سلام :

« مات كثيرٌ وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ، فاختلفت قریش في جنازة كثيرٍ ، ولم يوجد لعكرمة من يحمله ^(١) » .
وفي ابن خلكان :

« عن الواقدي قال مات عكرمة مولى ابن عباس وكثيرٌ عزّة في يوم واحد في سنة خمس ومائة ، فرأيتهما جميعاً ، صلّي عليهما في موضع واحد ، فقال الناس : مات أफقه الناس وأشهر الناس ، وكان موتهما بالمدينة ^(٢) » .
ولقد عاصر كثيرٌ ، محمد بن الحنفية ، الذي كان يحبه ويعطف عليه ويتلطف به ، لنضاله عن آل البيت ، وقد افتخر كثيرٌ بذلك فقال ^(٣) :

أقرّ الله عيني إذ دعاني أمين الله يلفظ في السؤال
وأثنى في هواي على خيراً وساءل عن بنيّ وكيف حالي
وكيف ذكرتُ حال أبي خبيب ^(٤) وزلّة فعله عند السؤال
هو المهديّ خبرناه كعب أخو الأخبار في الحقب الخوالي
وعندما حبس عبد الله بن الزبير ، محمد بن الحنفية في سجن عارم بمكة — انتقاماً منه ومن بني هاشم جميعاً ، لرفضهم مبايعته والتماون معه كما أوضحنا ذلك من قبل — أنشد كثيرٌ ^(٥) :

(١) طبقات الشعراء ص ١٨٤ ط السعادة .

(٢) انظر وفيات الأعيان ١ ص ٤٣٥ ط الحلبي ، وانظر أيضاً « شذرات الذهب » لابن العماد ١ ص ١٣٠ وما بعدها .

(٣) الأغاني ٩ ص ١٦ ، والديوان ١ ص ٢٧٥

(٤) كنية عبد الله بن الزبير ، وكان ميخلاً .

(٥) الأغاني ٩ ص ١٥ ، وانظر الديوان ١ ص ٢٧٨ ، وانظر أيضاً الكامل

لمبرد ٧ ص ١٣١ نثر المرصفي .

من يرى هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمى النبي المصطفى وابن عمه وفكّاك أغلال ونفّاع غارم
أبى فهو لا يشرى هدى بضلالة ولا يتقى في الله لومة لائم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه حولاً بهذا الخيف خيف المحارم
بحيث الحمام آمن الروع ساكن وحيث العدو كالصديق المسالم
فما فرح الدنيا بباقي لأهله ولا شدة البلوى بضربة لازم
تُخبّر من لا قيت أنك عائد^(١) بل العائد المظلوم في سجن عارم

السيد الحميري :

أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري ، شاعر الشيعة الكيسانية غير مدافع ، وقد كان جده يزيد شاعراً فحلاً مشهوراً ، هجاً زياد بن سمية وبنيه ، ونفاهم عن آل حرب ، فخبسه عميد الله بن زياد وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . وقد كان السيد كجده ، شاعراً متقدماً مطبوعاً مكثراً ، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره ، لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله وأزواجه كما يقول صاحب الأغاني^(٢) ، ولكن بالرغم من ذلك ، فإننا نجد سدياً كبيراً ومحدثاً مشهوراً كالدارقطني يحفظ ديوانه ، ويقول في حقه بشار : « لولا أن هذا الرجل شغل عنا بمدح بني هاشم لأتعبنا^(٣) » .

ولد شاعرنا الأبوين خارجيين إباضيين ، كان منزلها بالبصرة في غرفة بني ضبة ، التي طالما سب فيها علي بن أبي طالب ، كما يخبرنا السيد عن أبيه ، فإذا سئل الشاعر عن هذا التشيع من أين وقع له ؟ قال : « غاصت علي الرحمة غوصاً^(٤) » ، ولما علم

(١) لقب ابن الزبير .

(٢) الأغاني - ٧ ص ٢٢٩ ط الدار .

(٣) ابن شهر آشوب « معالم العلماء » ص ١٣٤ ط طهران .

(٤) الأغاني - ٧ ص ٢٣٠ .

أبواه بتشيعه ، هَمَّا بقتله ، فأتى عقبة بن مسلم الهنأى مستجيراً ، فأجاره وبوأه منزلاً وهبه له ، فكان فيه حتى مات أبواه فورثهما .

والحميري كصاحبه كثير ، صادق في تشيعه مفاقي في سياسته مع بنى العباس ، ولقد كان الحميري مُلهماً في شعره ، بالفأ به حدّ الروعة والإعجاب ؛ وإنه ليحدثنا عن شاعريته الفذة هذه فيدعى أنها نفحة من نفحات الرسول عليه السلام في حلم رآه ، ولم يفته أن يقصه علينا فيقول :

« رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، وكأنه في حديقة سبخة فيها نخل طوال ، وإلى جانبها أرض كأنها الكافور ، ليس فيها شيء فقال : أتدرى لمن هذا النخل ؟ قلت : لا يا رسول الله . قال : لامرئ القيس بن حُجْر ، فاقلمها واغرسها في هذه الأرض ففعلت » . وأتيت ابن سيرين فقصت رؤياي عليه ، فقال : أتقول الشعر ؟ قلت : لا . قال : أما إنك ستقول شعراً مثل شعر امرئ القيس ، إلا أنك تقول في قوم بررة . قال : فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر ^(١) !

والحق أن صاحبنا لم يكن قط بحاجة إلى هذا الحلم العجيب ، ليناضل عن شعره أو تشيعه ، فكلالهما كان من القوة بحيث لا يحتاج إلى مثل هذه الدعامة الأسطورية التي تقرأها مبتمسين .

ولقد كان الحميري كصاحبه كثير يدين بمهدية ابن الحنفية ، وبقائه حياً بجبل رضوى عنده غسل وماء ، عن يمينه أسد وعن يساره نمر ، يحفظانه إلى أن يؤمر بالخروج ، فيملاً الدنيا عدلاً . . .

ومن شعره في ذلك ، تلك الأبيات الرائعة الذائعة ، التي تنسب أيضاً لكثير لشابه الشاعرين في المنزح والعقيدة ، يقول الحميري ^(٢) :

(١) الأغاني > ٧ ص ٢٣٧ وما بعدها .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٨ ، وقد نسب هذه الأبيات إلى كثير ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير > ٩ ص ٣٨ ، ومراجع الأدب تخلص في نسبتها إلى الشاعرين ، انظر الأغاني > ٩ ص ١٤ حيث نسبها لكثير ، مع أنه قد عزاها قبل ذلك مع شيء من الاختلاف في الرواية للسيد الحميري انظر > ٧ ص ٢٤٥ ، وقد جعلها شارح ديوان كثير المطبوع بالجزائر من الشعر المنحول له .

ألا إن الأئمة من قریش ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنیه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط^(١) سبط إيمان وبرّ وسبط^(٢) غيبتته كربلاء
وسبط^(٣) لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تعيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده غسل وماء

وقد أجابه عبد القاهر البغدادي بقوله^(٤) :

ولاية الحق أربعة ولكن لثاني اثنين قد سبق العلاء
وفاروق الذي أضحي إماماً وذو النورين بعد له الولاء
على بعدهم أضحي إماماً بترتيب لهم نزل القضاء
ومبغض من ذكرناهم لعين وفي نار الجحيم له الجزاء
وأهل الرفض قوم كالنصارى حيارى وما لحيرتهم دواء

ولخطر شعر الحميري ومكانته ، حاولت الإمامية^(٥) الجعفرية جذبته بعد موته
إلى صفوفها ، لتنال بذلك حظاً كبيراً من القوة وقسطاً وافراً من الأيد ، وقد عدّه
ابن شهر آشوب من أصحاب الصادق^(٦) ، وزعمت الجعفرية أنه تاب من كيسانينته ،
وأنا ب إلى جعفر الصادق بقوله^(٧) :

تجعفرتُ باسم الله والله أكبر وأيقنتُ أن الله يعفو ويعفر

أو بقوله :

تجعفرتُ باسم الله في من تجعفرا

- (١) الحسن بن علي .
- (٢) الحسين بن علي .
- (٣) محمد بن الحنفية .
- (٤) الفرق بين الفرق ص ٢٨
- (٥) أتباع جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
- (٦) معالم العلماء ص ١٣٤
- (٧) أنظر الأغاني - ٧ ص ٢٣٥

وتكاد فسولة هذا الشعر الساقط ، وهلمة نسجه وركاكة لفظه ، تعلن بنفسها أنه ليس من الحميري الفحل في نسب أو سبب ، قريب أو بعيد ؛ ويقول الأغاني بحق : « وما وجدنا ذلك في رواية محصّل ، ولا شعره (الحميري) أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب ؛ لأن هذا شعر ضعيف يتبين التوليد فيه ، وشعره في قصائده الكيسانية ، مبان لهذا جزالة ومتانة ، وله رونق ومعنى ليس لما يُذكر عنه في غيره ^(١) » .

ويحدثنا الأغاني أيضاً ، أصدق حديث عن راوية الحميري ، أبي داود سليمان ابن سفيان الذي قال : « ماضى والله إلا على مذهب الكيسانية ^(٢) » ، ونسب الراوية هذه الأشعار الجعفرية الوضيعة ، لغلام للسيد يقال له قاسم الخياط ، قالها ونحلها سيده السيد ، فجازت على كثير من الناس ممن لا يعرف خبرها ؛ وذلك لمحل قاسم هذا من مولاه وخدمته إياه ^(٣) .

ويحدثنا الأصفهاني : أن جماعة ذكروا رجوع الحميري عن مذهبه في ابن الحنفية بحضرة راويته الثاني المعروف بابن الساحر ، فنفي ذلك بقوله ^(٤) : « والله ما رجع عن ذلك ولا القصائد الجعفريات إلا منحوالة له ، قيلت بعده ، وآخر عهدى به قبل موته بثلاث ، وقد سمع رجلاً يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لعلي عليه السلام : « إنه سيولد لك بعدى ولد وقد نخلته اسمي وكنيتي » ، فقال في ذلك ، وهي آخر قصيدة قالها :

أشأقتك المنازل بعد هند وتربيها وذات الدلّ دعد
منازل أفقرت منهن محت معالمهن من سبيل ^(٥) ورعد

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٣٦ ط الدار .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣١

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٣

(٥) السبل : المطر

وريح حَرْجَفٍ ^(١) تَسْتَنُّ ^(٢) فيها
ألم يبلغك والأنباء تَنَمِّي
إلى ذى علمه الهادى على
ألم تر أن خولة سوف تأتي
يفوز بكنيتي واسمى لأنى
يُغَيَّبُ عنهم حتى يقولوا
سنين وأشهرأ ويرى برضوى
مقيم بين آرام وعين
تراعيها السباع وليس منها
أمن به الردى فرتعن طوراً ^(٨)
حلفتُ رب مكة والمصلى
يطوف به الحجيج وكلَّ عام
لقد كان ابنُ خولة غير شك
فما أحدٌ أحبَّ إلىَّ فيما
سوى ذى الوحي أحمد أو على
ومن ذا يا ابن خولة إذ رمتنى
يُذَبِّبُ عنكم ويسدُّ مما

بسافى الترب تُلحِمُ ما تُسدَّى
مقالُ محمد فيما يؤدى
وخولة ^(٣) خادمٌ فى البيت تردى ^(٤)
بوارى الزند صافى الخيم ^(٥) نجد
نحلتهماه والمهدى بعدى
تضمَّنه بطيبة بطنُ لحد
بشعب بين أثمار وأسد
وحفان ^(٦) تروح خلال رُبْد ^(٧)
ملاقيهن مفترساً بجد
بلاخوف لدى مرَّعى وورذ
وبيت طاهر الأركان فرد
يحمل لديه وفدٌ بعد وفد
صفاء ولايتى وخلوص ودى
أُسرُّ وما أبوح به وأبدى
ولا أزكى وأطيب منه عندى
بأسهمها المنية حين وعدى
تثلم من حصونكم كسدَّى

(١) حرجف : باردة .

(٢) تستن : تقبل وتدبر .

(٣) اسم امرأة من بنى حنيفة ، هى أم محمد بن على بن أبى طالب .

(٤) تردى : تلعب .

(٥) الخيم : الطبيعة والسجبة .

(٦) حفان : صفار النعام .

(٧) الربة : لون يختلط سواده بكبدرة ، والمراد هنا بالربد : الرانع .

(٨) كذا فى الأغاني ، وجاء فى الحاشية « لعله (صوراً) جمع صوراء ، وهى المائلة العنق ،

على أن يكون المراد أنها لا ترفع رأسها خوف ما يزعجها » .

ومالى أن أمرَ به ولكن أوْمَل أن يؤخَّر يومُ فقدى
فأدرُكُ دولة لك لستَ فيها يجبار فتوصف بالتعدى
لِتَعَلُّ بنا عليهم حيث كانوا بغورٍ من تهامة أو بنجد
إذا ما سرتَ من بلد حرام إلى مَنْ بالمدينة من معدِّ

وهذه القصيدة من أمتع ما قيل في ابن الحنفية ، وهي من روائع الشعر العربي وبدائعه .
ومن شعر الحميري في ابن الحنفية أيضاً قوله ^(١) :

الأقل للوصى فدتك نفسى أطلتَ بذلك الجبل المقاما
أضرَّ بمهشر والوك منّا وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً مقامك عندهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرضٌ عظاما
لقد أوفى بمورقِ شعب رضوى تراجمه الملائكة الكلاما
وإنَّ له به لمقيل صدقٍ وأندية تحدثه كراما
هدانا الله إذ جرتم لأمرٍ به ولديه نلتمس التماما
تمام مودة « المهدي » حتى ترَوا راياتنا تترى نظاما
وقد أجا به البغدادي بقوله ^(٢) :

لقد أفيتَ عمرك بانتظارٍ لمن وارى الترابُ له عظاما
فليس بشعب رضواكم إمامٌ تراجمه الملائكة الكلاما
وقد ذاق ابنُ خولة طعم موت كما قد ذاق والده الحماما
ولو خلد امرؤ لعلو مجدٍ لعاش المصطفى أبداً دواما
ولكن كلُّ من في الأرض فانٍ كذا حكمَ الذى خلق الأناما

(١) الأغانى > ٩ ص ١٤ ط الدار ، والتبصير في الدين للأسفرايينى ص ١٩ ، ومختصر الفرق

للسعنى ص ٣٩ والبداية والنهاية لابن كثير > ٩ ص ٣٩

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٩ حيث أسند الأبيات إلى كثير ، مع أن الرسعنى في المختصر

أسندها إلى الحميرى .

ويقول الحميري في إيمان عميق ، وتحسر ظاهر ولهفة بالغة :

يا شِعْبَ رضوى ما لمن بك لا يرى حتى متى تخفى وأنت قريب ؟
يا ابن الوصيِّ ويا سميَّ محمد وكنيَّه نفسى عليك تذوب
لو غاب عتقا عمر نوح أيقنت منّا النفوس بأنه سيؤوب
ومن شعره الباكي قوله (١) :

أمرُز على جدث الحسـ بين قفل لأعظمه الزكيه
أأعظماً لا زلتِ من وطفاء (٢) ساكبة رويته
وإذا مررت بقبـ فأطلِّ به وقف المطيِّه
وابك المطهَّر للمطهَّ ر والمطهرة النقيه
كبكاء معولة أنت يوماً لواحدھا المنيه

ومن قوله متبرئاً من الشيخين أبي بكر وعمر (٣) :

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد ولا عهدہ يوم الغدير المؤكدا
فإني كمن يشرى الضلالة بالهدى تنصَّر من بعد التقى وتهودا
ومالى وتيم أو عديِّ وإمما أولو نعمتي في الله من آل أحدا
تم صلاتي بالصلاة عليهمُ وأدعو لهم رباً كريماً ممجداً
بدلتُ لهم وُدِّي ونصحتي ونصرتي مدى الدهر ما سميتُ يا صاح سيدا

ولقد كان الحميري ساخطاً كلَّ السخط على أبي بكر وعمر ، لاغتصابهما
— فيما يزعم — حق عليّ في الخلافة ؛ روى الأغاني أن الأمير العباسي « المهدي »
جلس يوماً يعطى قريشاً صلواتٍ لهم — وهو وليُّ عهد — فبدأ ببني هاشم ثم بسائر
قريش ، فجاء الحميري ورفع إلى الربيع بن يونس بن محمد الحاجب رقعة مخطومة وقال :
إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه ، فأوصلها فإذا فيها :

(١) الأغاني - ٧ ص ٢٤٠

(٢) سحابة وطفاء : كثيرة الماء

(٣) الأغاني - ٧ ص ٢٦٣ ط الدار .

قل لابن عباسٍ سمىَّ محمدٍ لا تُعطينَّ بنى عديٍّ درهما
احريمُ بنى تيم بن مرّةٍ إنهم شرُّ البريةِ آخرًا ومُقَدِّمًا
إن أعطهم لا يشكروا لك نعمةً ويكافئوك بأن تُدَمَّ وتُسْتَمَّا
وإن ائتمنتهم أو استعملتهم خافوك واتخذوا خراجك مغنا
ولئن منعتهم لقد بدءوكم بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلمًا
منعوا تراث محمدٍ أعمامه وابنيه وابنته عديلة مريمًا
وتأمروا من غير أن يُستخلفوا وكفى بما فعلوا هنالك مأمنا
لم يشكروا لمحمدٍ إنعامه أفيشكرون لغيره إن أنعمًا؟
واللهُ منَّ عليهمُ بمحمدٍ وهداهمُ وكسا الجنوب وأطعمًا
ثم انبروا لوصيِّه ووليِّه بالمنكرات فخرَّعوه العلقما

قال أبو الفرج فرمى بها المهدي إلى كاتبه أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري وقال له: « اقطع العطاء فقطعه؛ وانصرف الناس، ودخل السيد إليه فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل، ولم يعطهم شيئًا » (١).

وقد مات السيد الحميري ببغداد عام ١٧٩ هـ، بعد أن خلف ثروة شعرية طائلة؛ ذكر ابن المعتز في طبقات الشعراء أنه رأى في بغداد حملاً يحمل حملاً ثقيلاً، فسأله عن حملة؟ فقال: ميات السيد (٢) . . . !

بهاء الدين العاملي

هو محمد بن حسين بن عبد الصمد، الملقب بهاء الدين الحارثي العاملي الهمداني (٣) ولد ببعلبك عند غروب شمس يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقين من ذي الحجة عام ٥٣ هـ،

(١) الأغاني > ٧ ص ٢٤٣ وما بعدها ط الدار .

(٢) أنظر ابن شهر آشوب السروي: معالم العلماء ص ١٣٥ ط طهران .

(٣) نسبة إلى قبيلة « حرث همدان »، وجد الشاعر هو الذي خاطبه الخليفة الرابع علي بن أبي طالب

بقوله: يا حار، يا حار، يا حار، تارة بالترخيم وأخرى بالتتميم .

وقد كان والده الشيخ حسين ، عالماً من أعلام الشيعة وأحد كبار علماءها بجبل « عامل » ، وقد تتلمذ للشهيد الثاني الشيخ زين الدين ، الذي قضى عليه الأتراك وقتلوه لتشييعه ، فلم يطق الشيخ حسين صبراً على البقاء بعد كارثة أستاذه ، فارتحل بابنه الصبي بهاء الدين إلى إيران ، موطن الدعوة الشيعية ومسرح دعائها تحت سلطان الدولة الصفوية المتشيعة .

وفي إيران جدَّ بهاء الدين في تحصيل العلوم لاسيما الدينية منها ، وتتلذذ لوالده ، كما أخذ عن غيره من كبار علماء الشيعة ، وسرعان ما تفتق ذكاؤه ، فعلا نجمه وذاع صيته وارتفعت مكانته ، حتى تولى مشيخة الإسلام في أصفهان ، ثم اعتزم زيارة الأقطار الحجازية ؛ لأداء فريضة الحج فتوجه إليها ، وكان مولعاً بالتنقل مشغولاً بالرحلة والأسفار ، فطوف في مصر والشام والعراق — وهو بزى الدراويش — سنين طويلة ، قيل إنها بلغت الثلاثين عدّاً ، وقد كان في سياحته هذه يخفي شخصيته ويكتم أمره ، ولا يرغب في أن يعرفه أحد ، وبعد هذا التجوال وذلك التطواف في تلك الأعوام الكثيرة المتطاولة ، رجع إلى أصفهان ، قال المنيني :

« فقطن بأرض العجم ، وهناك همى غيث فضله وانسجم ، فألف وصنّف ، وقرّط المسامع وشنّف ، وقصدته علماء تلك الأمصار ، واتفقت على فضله أسماعهم والأبصار ، وغالت تلك الدولة في قيمته ، واستمطرت غيث الفضل من ديمته ، فوضعت على مفرقها تاجاً ، وأطلعته في مشرقها سراجاً وهّاجاً ، وتبسمت به دولة سلطانها شاه عباس ، واستنارت بشموس رأيه عند اعتكار حنادس الباس ، فكان لا يفارقه سفراً ولا حضراً ، ولا يعدل عنه سماعاً ونظراً ، وكانت له دار مشيدة البناء ، رحبة الفناء ، يلجأ إليها الأيتام والأرامل ، ويفد عليها الراجي والأمل ، فكم مهد بها وضع ، وكم طفل بها رضع ، وهو يقوم بنفقهم بكرة وعشياً ، ويوسعهم من جاهه جناباً مغشياً ^(١) . »

(١) أنظر الكشكول ص ٣٩٥ ط بولاق ، وانظر كذلك خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمجي ج ٣ ص ٤٤٠ .

ويقول شهاب الدين الخفاجي :

« بهاء الدين بن الحسين العاملي الحارثي الشامي أصلاً ومحتداً ، الفارسي منشئاً ومولداً .

« فاضل لمعت من أفق الفضل بوارقه ، وسقاه من مورده النمير عذبه ورائقه ، لا يدرك بحر وصفه الإغراق ، ولا تلحقه حركات الأفسكار ، لو كان في مضمار الدهر لها السباق ، زين بماثره العلوم العقلية والعقلية ، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية ، لاسيما الرياضات فإنه راضها ، وغرس في حدائق الأبواب رياضها ، وهو في ميدان الفصاحة فارس أي فارس ، وإن كان غصنه أبنع وربا بربوة فارس ، فإن شجرته نبتت عروقها بنواحي الشام الزاهية المغارس ، والعرق نزع ، وإن أثر الجوار في الطباع .

« ولما تدفق ماء كرمه خرج منها سائحاً ، بعد ما ألقى دلوه في الدلاء ماتحاً ، لا بسآخيل الوقار ، قاطفاً من رياض السكون ثمرات الاعتبار ، فجاب البلاد ، وأتى إرم مصر ذات العماد ... » . إلى أن قال :

« وكان رئيس العلماء عند عباس شاه سلطان العجم ، لا يصدر إلا عن رأيه إذا عقد أولية المهم ، إلا أنه لم يكن على مذهبه في زندقته وإلحاده ، لا انتشار صيته في سداد دينه ورشاده ، إلا أنه علويٌّ بلامين ، وهو عند العقلاء أهون الشررين ، فإنه أظهر غلوّه في حب آل البيت ، وجارى حلبة ولاء السكيت ، وأنشد لسان حاله لكل حتى وميت .

إن كان رفضاً حبُّ آل محمدٍ فليشهد الثقلان أني رافضي

« وشعره باللسانين مهذب محرر ، وبالفارسية أحسن وأكثر ، ولما ساح في البلدان واجتمع بمن فيها من الأعيان ، عاد بدر ذاته لفلك أقطاره ، فعانق في أوطانه عقائل أوطاره ، وهو الآن (القرن الحادي عشر الهجري) قرّة عين مجدّها ، وغرّة جبين سعدّها ، تطوف بحرمه وفود الأفاضل ، وتتوجه شطره وجوه الآمال من كل فاض

بنعيم مقيم تتحدث عنه طروس الأسفار ، وتكتحل بأئمد مداده عيون الطروس والأسفار^(١) .

وقد كان العالمى مؤلفاً مكثرأ ؛ إذ كان بحق دائرة معارف ؛ فصنّف موسوعتيه « الكشكول » و « الخلاة » وكتب فى فقه الشيعة وأصول الفقه والتفسير والحديث ، والنحو والبلاغة ، والهيئة والفلك والحساب والهندسة ، حتى الجفر والرمل والطلاسم ، مما يدل دلالة لا تقبل الشك على أنه كان يتمتع بسعة فى العقل ، وبعد أفق فى التفكير . وشاعرنا هذه المرة اثنا عشرى ، يقول بمهدية محمد بن الحسن العسكري ، وله فيه شعر رائع أودعه كتابه « الكشكول » ، وقد توفى بهاء الدين فى ١٢ شوال عام ١٠٣١ هـ = ١٦٦٢ م بأصفهان ، ثم نقل جثمانه إلى طوس ودفن بداره ، على مقربة من مسجد على الرضا .

ومن شعره فى محمد بن الحسن ، هذه القصيدة الضافية التى أسماها « وسيلة الفوز والأمان فى مدح صاحب الزمان » وقد شرحها فى نهاية « الكشكول » ، شارحُه أحمد بن على المنينى ، قال فيها بهاء الدين^(٢) :

سرى البرق من نجد فجدد تذه كارى
عهداً بحزوى والعذيب وذى قار
وهيج من أشواقنا كل كامن
وأجج فى أحشائنا لابعج النار
ألا ياليليات العوير وحاجر
سقيت بهطال من المزن مدرار
ويا جيرة بالمأزمين خيامهم
عليكم سلام الله من نازح الدار
خليلى ما لى والزمان كأنما
يطلبنى فى كل وقت بأوتار
فأبعد أحب أبى وأخلى مرابعى
وأبدلنى من كل صفو بأكدار
وعادل بى من كان أقصى مرامه
من المجدان يسمو إلى عشر معشارى
ألم يدر أنى لا أزال لخطبه
وإن سامنى خسفاً وأرخص أسعارى
مقامى بفرق الفرقدين فما الذى
يؤثره مسعاه فى خفض مقدارى

(١) ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ص ١٠٣ ط بولاق عام ١٢٧٣ هـ .

(٢) الكشكول ص ٣٩٨ ط بولاق .

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايقي ولا تصل الأيدي إلى سرِّ أغوارى

ويصمى فؤادى ناهدُ الندى كاعبُ بأسمرٍ خطَّارٍ وأحورٍ سحرَّارٍ
وإني سخيٌّ بالدموعِ لوقفةٍ على طللٍ بالٍ ودارسٍ أحجارٍ
وما علموا أنى امرؤ لا يروعي توالى الرزايا في عشيِّ وإبكارٍ

ومعضلةٍ دهاءٍ لا يُهتدى لها طريق ولا يهذى إلى ضوءها السارى
تشيب النواصي دون حلِّ رموزها ويحجم عن أغوارها كلُّ مغوارٍ
أجلتُ جِيادَ الفكرِ في حلباتها ووجهتُ تلقاها صوائبَ أنظاري

أضرع للبلوى وأغضى على القذى وأرضى بما يرضى به كلُّ نخوارٍ
وأفرح من دهرى بلذة ساعةٍ وأقنع من عيشى بقُرصٍ وأطمارٍ ؟
إذا لا ورَى زندي ولا عزَّ جانبي ولا بزغت في قبة المجد أقمارى
ولا انتشرت في الخافقين فضائلي ولا كان في « المهديِّ » رائقُ أشعاري
خليفة رب العالمين فظله على ساكن الغبراء من كل ديارٍ
هو العروة الوثقى الذى من بذيله تمسَّك لا يخشى عظامٍ أوزارٍ
إمام هدىٍ لاذ الزمان بظله وألقى إليه الدهر مقودٍ خوَّارٍ

علوم الورى في جنب أبحر علمه كغرفة كفت أو كغمسة منقارٍ
فلو زار أفلاطون أعتاب قدسه ولم يُعشه عنها سواطعُ أنوارٍ
رأى حكمةً قدسية لا يشوبها شوائبُ أنظارٍ وأدناسِ أفكارٍ
ياشراقها كلُّ العوالم أشرفت لِمَا لاح في الكونين من نورها السارى
إمامُ الورى طود النهى منبع الهدى وصاحب سرِّ الله في هذه الدار !!

به العالم السفليّ يسمو ويعتلى
ومنه العقول العشر تبغى كالمها
على العالم العلويّ من دون إنكار
وليس عليها في التعلّم من عار
على نقض ما يقضيه من حكمه الجارى
ونسكن من أفلاكها كلّ دوّار !!
لنكس من أبراجها كلّ شامخ

أيا حجّة الله الذي ليس جارياً
ويا من مقاليد الزمان بكفّه
بغير الذي يرضاه سابقُ أقدار !
وناهيك من مجدٍ به خصّه البارى
أغث حوزة الإيمان واعمر ربوعه
فلم يبق منها غيرُ دارس آثار
وأنقذ كتاب الله من يد عصابة
عصّوا وتمادوا في عُتُوِّ وإصرار
وفي الدين قد قاسوا وعاثوا وخبّطوا
بأرائهم تخبيط عشواء معثار
وأنمّش قلوباً في انتظارك قرّحت
وأخصّ عباد الله من كل غاشم
ومجّل فِداك العالمون بأسرهم
وتجدّ من جنود الله خيرَ كتائبٍ
وأكرم أعوانٍ وأشرفَ أنصار

أيا صفوة الرحمن دونك مدحةً
يهنا ابن هانى إن أتى بنظيرها
كدرّ عقود في ترائب أفكار
ويعنو لها الطائئ من بعد بشار
إليك البهائى الحقيق يزفها
كفانية مياسة القدّ معطار
تغار إذا قيست لطافة نظمها
بنفحة أزهار ونسمة أسحار
إذا رُدّت زادت قبولاً كأنها
أحاديث نجدٍ لا تملُّ بتكرار

وهاك قصيدة أخرى للعالمى فى مهديّه ، مهدي الاثنى عشرية ، محمد بن الحسن

العسكري ، لا تقل عن سابقتها قوة وروعة وغلوًا وإغراقًا . قال (١) :

يا كراماً صبرُنا عنهم محالٌ
إنَّ حالي من جفاكم شرُّ حالٍ
إنَّ أتى من حيثكم ريحُ الشمالِ

صرتُ لا أدري يميني من شمالِ

حبذا ريحٌ سرى من ذى سلمٍ
عن ربي نجدٍ وسلعٍ والعلمِ
أذهبَ الأحزانَ عنّا والألمِ

والأمانى أدركتُ والهمُّ زال

يا أخلائي بُحزوى والعقيقُ
ما يطيق الهجرَ قلبي ما يطيقُ
هل لمشتاقٍ إليكم من طريقٍ ؟

أمُ سدّتم عنه أبواب الوصالِ ؟

لا تلوموني على فرط الضجرِ
ليس قلبي من حديدٍ أو حجرِ
فات مطلوبي ومحبوبي هجرِ

والحشا في كلِّ آنٍ في اشتعالِ

من رأى وجدى لسكان الحجونِ
قال ما هذا ؟ هوى هذا جنونِ !
أيها اللوام ماذا تبغون ؟

قلبي المضى وعقلي ذو اعتقالِ

(١) الكشكول ص ٩٣ ط بولاق .

يا نزولاً بين جمع والصفاء
يا كرام الحى يا أهل الوفا
كان لى قلب حمولاً للجفا

ضاع منى بين هاتيك التلال

يا رعاك الله يا ربح الصبا
إن تجز يوماً على وادى قبا
سل أهيل الحى فى تلك الربا

هجرهم هذا دلال أم ملال ؟

جيرة فى هجرنا قد أسرفوا
حائنا من بعدهم لا يوصف
إن جفوا أو واصلوا أو أتلقوا

حبهم فى القلب باقى لا يزال

هم كرام ما عليهم من مزيد
من يمت فى حبهم يمض شهيد
مثل مقتول لدى المولى الحميد

أحمدى الخلق محمود الفعال

صاحب العصر الإمام المنتظر
من بما ياباه لا يجرى القدر !!
حجة الله على كل البشر

خير أهل الأرض فى كل الخصال !

من إليه السكون قد ألقى القياد
مُجرباً أحكامه فيما أراد

إن تزل عن طوعه السبعُ الشدادُ

خرّ منها كلُّ سامي السمك عال!

شمسُ أوجِ المجدِ مصباحُ الظلامِ

صفوة الرحمن من بين الأنامِ

الإمام ابن الإمام ابن الإمامِ

قطبُ أفلاكِ المعالي والكمالِ

فاقَ أهلَ الأرضِ في عزِّ وجاهِ

وارتقى في المجدِ أعلى مرتقاهِ

لو ملوكُ الأرضِ حلُّوا في ذراهِ

كان أعلى صفِّهم صفِّ النعالِ!

ذواقندارٍ إن يشأ قلبَ الطباعِ

صيرَ الإِظلامَ طبعاً للشعاعِ

وارتدى الإمكانُ بُردَ الامتناعِ

قدرة موهوبة من ذي الجلالِ!

يا أمين الله يا شمس الهدى

يا إمام الخلق يا بحر الندى

عجَّلْنا عَجَلْنا فقد طال المدى

واضححلَّ الدينُ واستولى الضلالُ

هاك يا مولى الهوى نعم المجيرُ

من مواليك البهائيِّ الفقيرُ

مدحَّةٌ يعنو لمعناها جريزُ

نظَّمها يزرى على عقد اللآلِ

يا وليّ الأمر يا كهف الرجا
مسنى ضرّاً وأنت المرتجى
والكريم المستجاب الملتجى

غير محتاج إلى بسط السؤال

وبعد ، فهذه هي آثار عقيدة « المهدي » في الأدب الشيعي ، وهي آثار كما تراها
روائع ، تسيل عذوبة وتفيض رقة وسلاسة ، طبعها صدق العقيدة بطابعه ، ووسمها
الإيمان العميق بميسمه ، وأكبر الظن أنك قد طربت لما فيها من قوة فنية ،
وقد أسفت لما فيها من غلوّ وإغراق ، يرتفع بالمهدي إلى مصاف الآلهة ،
بدأه ابن هانيّ وختمه العاملي ، وقد جرّه على أسنة الشعراء عقيدتهم في « الإمام »
كما أوضحنا من قبل .

ومهما يكن من شيء فأنت لا ترى في هذا الأدب فسولة وضعفا ، أو عوجاً
وأمتاً ، ولا عجب فأعذب الشعر أصدقاه .

الفصل السادس

المهدية عند بقية الفرق الإسلامية

تحدثنا في الفصول السابقة عن « المهدية » عند الشيعة ، وسنتحدث في هذا الفصل عن موقف بقية الطوائف الإسلامية إزاء هذا المعتقد ، كما سنتحدث عن أثر عقيدة المهدي في إيجاد معتقدات مشابهة في المجتمع الإسلامي ، ونختتمه بدراسة « المهديين » من غير آل البيت .

المهديّة والقرامطة^(١) :

القرامطة باطنية سرّية مجوسية ، اتسحت بثوب الإسلام ؛ لتعمل في أمان على تقويضه بتعاليمها الهدامة الإباحية الخطرة ، وقد أسس هذه الفرقة جماعة ، منهم عبد الله بن ميمون القدّاح مولى جعفر بن محمد الصادق ، وميمون بن ديصان ، الذي كان من نسله ابن الأشعث ، حمدان قرمط ، أبرز رجال هذه الطائفة وإليه تنسب . وتشغل القرامطة في التاريخ الإسلامي صحائف عدة ؛ لما جاءت به من مذاهب ولما جرّت على العالم الإسلامي من ويلات وخطوب ، فلطالما عاثت في ربوعه فساداً وجاست خلاله خراباً ، وقد كانت كالوباء ، إذا أتت على شيء جعلته كالريم بلقماً يباباً كأن لم يكن بالأمس ، حتى الكعبة المقدسة ، لم تسلم من سطواتها المخربة ولم تنج من حملاتها المدمرة . ولسنا الآن بصدد التحدث عن تاريخ القرامطة ، وإنما الذي يعنيننا هنا هو مذهبهم في عقيدة المهدي .

تؤمن القرامطة أيضاً بهذا المعتقد كفرقة باطنية ، تمتّ بصلة القرّبي إلى الشيعة ؛ فترى في محمد بن إسماعيل بن جعفر مهديّها المنتظر ، وتترقب رجوعه ، وتزعم أنه حيّ

(١) القرامطة من الإسماعيلية ، وتعرف أيضاً بالباطنية ، وقد سبق أن تحدثنا عن الإسماعيلية ، بيد أننا نرد الحديث عن الإسماعيلية القرامطة ؛ لما لها من أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي .

يُرزق ببلاد الروم...! ، ولا نكاد نعرف سبباً لاختيار محمد هذا لبلاد الروم ليختم فيها ، والحق أن هذا المهديّ من نوع جديد ، فهو ليس مهدياً فحسب ولكنه رسول أيضاً وسينسخ شرعه شريعة محمد...!

وتؤكد القرامطة رواية « غدير خم » ، ولا ترى — كبقية الشيعة — أن الرسول نصّ فيها على إمامة عليّ بعده فحسب ، ولكنها تدّعي في جراءة عجيبة أن الرسالة نفسها قد انتقلت إليه حينما قال عليه السلام : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » فهذه القولة انتقلت الرسالة من محمد إلى عليّ بأذن الله...! فالرسل عند القرامطة أربعة : محمد بن عبد الله ، وعلي بن أبي طالب ، وأحمد بن محمد بن الحنفية ، ومهديهم هذا المختفي ببلاد الروم محمد بن إسماعيل بن جعفر ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وناسخ الشرائع السابقة جمعا...!

وأئمة القرامطة سبعة : محمد الرسول ، وعلي الرسول ، والحسن ، والحسين ، والباقر محمد بن علي ، والصادق جعفر بن محمد ، ثم المهدي الرسول محمد بن إسماعيل ابن جعفر . وهو من أولى العزم ، وأولو العزم عندهم سبعة أيضاً : نوح وإبراهيم ، وموسى وعيسى ، ومحمد وعلي بن أبي طالب ، ومحمد بن إسماعيل .

ولا أدع الحديث عن القرامطة ، حتى أسوق إليك بعضاً من معتقداتهم ، التي يدينون بها والتي لا تكاد تلتقي بالإسلام أبداً :

فالصلاة عندهم أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، أما أذانهم فهو :

« الله أكبر (أربع مرات) ، أشهد ألا إله إلا الله (مرتين) ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله^(١)... »!

وعلى المصلي أن يقرأ في كل ركعة سورة « الاستفتاح » وهي من قرآنهم

(١) انظر الطبري - ١١ ص ٩٣٣ ط الحسينية .

الخاص ، الموحى به إلى أحد أنبيائهم وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ... ! وهما هي كما يرويها لنا الطبري :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتخذ لأوليائه بأوليائه قل إن الأهلّة مواقيت للناس ، ظاهرها ليُعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي اتقون يا أولى الألباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ، أقيمته في جنتي وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري وكذب رسلي ، أخلدته مهاناً في عذابي وأتممت أجلي وأظهرت أمري على أسنة رسلي ، وأنا الذي لم يعمل على جبار إلا وضعته ، ولا عزيز إلا أذلته ، وليس الذي أصرّ على أمره وداوم على جهالته وقالوا لن نبرح عليه ما كافرين وبه مؤمنين أولئك هم الكافرون ^(١) » ١١

وقبله هؤلاء الناس هي القبلة الأولى بيت المقدس ، كما أن حجهم إليها أيضاً ، ويوم الاثنين هو يوم الجمعة عندهم ، لا يعملون فيه شيئاً ، والنبيذ حرام ، ولكن الخمر حلال ... ! وهم لا يرون الغسل من الجنابة ، ولكن وضوءاً كوضوء الصلاة ، وصيامهم يومان في العام : النيروز والمهرجان إلى آخر مزاعمهم التي لا تمت إلى الإسلام بسبب أو نسب قريب أو بعيد ^(٢)

المشردية والخوارج :

لا تدين الخوارج بالإمامة ، وإن قالت بها بعض طوائفها ، فهي تجردها من قدسيّتها التي أفرغتها عليها الشيعة ، كما لا تدين الخوارج بالرجعة ، فهي واقعية

(١) الطبري > ١١ ص ٣٣٩ .

(٢) أنظر فيما يتعلق بهذه الطائفة ، الطبري > ١١ ص ٣٣٧ ، وابن العبري ص ٢٦٠ ، والمقرئزي « اتعاظ الحنفا » ص ٢٠٤ وما بعدها ، وانظر أيضاً الشهرستاني > ٢ ص ٢٩ على هامش ابن حزم ، والمواقف للابيجي ص ٤٢١ ، والفرق بين الفرق للبيهداري ص ١٧٣ ، ومختصره للرسعني ص ١٧٠ ، والتبصير في الدين للأسفرافيني ص ٨٥ ، وانظر أيضاً ما كتبه الأشعري في « مقالات الإسلاميين » ، والغزالي في « فضائح الباطنية » .

عملية ؛ لذلك لا تؤمن بالمهدية ولا تقول بها ، بيد أن فرقة من فرقها تدعى « اليزيدية » نسبة إلى مؤسسها « يزيد بن أنيسة » وهي إحدى طوائف « الإباضية » قد دانت بهذا المعتقد ، غير أنها لا تصرح بشخص بعينه ، وقد حدثنا الأشعري في « مقالات الإسلاميين » أنها شاركت القرامطة في القول بأن المهدي المنتظر سيكون نبياً مرسلًا وسيبعث من العجم لا من العرب ، بناء على نظام الخوارج الديمقراطي : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ، و « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وسينزل على نبيهم المنتظر هذا الذي لا تُعرف شخصيته ، كتاب من السماء جملة واحدة لا تنجيماً ؛ قال الأشعري : « وزعموا أن ملّة ذلك النبي الصابئة ، وليس هم الصابئين الذين ذكّرهم الله في القرآن ولم يأتوا بعد » .

وفيا عدا طائفة « اليزيدية » هذه لا نكاد نعتز على فرقة أخرى من الخوارج تقول بالمهدية .

المهربية والصوفية :

كان الصوفية على اتصال تام بالشيعة ، فأخذوا عنهم الكثير من تعاليمهم ، كالتفرقة بين الشريعة والحقيقة ، أو علم الظاهر وعلم الباطن ، والشيعة تزعم — كما قدمنا — أن علياً قد انفرد — دون سائر صحابة النبي — بعلم الحقيقة أو علم الباطن ، فتلقت الصوفية هذا الزعم عن الشيعة ، وصار من معتقداتهم حتى ليقول ابن الفارض :

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً على بعلم ناله بالوصية
والإسلام لا يعرف تصوقاً ، وإن كان يعرف زهداً ، لا سيما في الفترة المكية ،
وفرق شاسع بين الزهد والتصوف ، فالأول بسيط ساذج لا تعقيد فيه ؛ انقطاع إلى
الله وتحميل النفس ضروباً من العبادة قد تكون شاقة ، والثاني مركب معقد مفلسف ،
لا يكتفي فيه المنقطع إلى الله بعبادته ، بل يفرض عليه وعلى الكون آراءه وفلسفته .
والحق أن عناصر التصوف ليست إسلامية ، ففيها الهندي الیوجی ، واليوناني ،

والهلمبني الغنوصي ، والمسيحي والإسكندري ، وكما اقتضت هذه العناصر المختلطة البيئة الإسلامية ، متخذة من الزهد المكي سبيلاً فأخرجت لنا تصوفاً إسلامياً ، كذلك اقتضت مبادئ الشيعة وتعاليمهم - الغربية هي الأخرى عن الإسلام - ميدان التصوف ؛ فأخذ المتصوفون عن الشيعة - فيما أخذوا - فكرة « المهدي » ، وأسبغوا عليها ثوباً جديداً ، وإذ بالمهدي ينقلب « قطباً » هو الذي يدبر الأمر في كل عصر من أعصار هذا الكون ، وهو عماد السماء ، ولولاه لخرت على الأرض وهلك الحرث والنسل . ويليه في المرتبة « النجباء » ، وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان ، لا يزيدون ولا ينقصون ، على عدد بروج الفلك الاثني عشر . . . إلخ ما قالوا .

وهكذا استطاع المتصوفة تلامذة الشيعة ، أن ينتفحوا بعقيدة « المهدي » في إقامة نظامهم الروحي للكون ، مما لا نجد له من الإسلام الحق سنداً أو دعامة ، وإنما هي فلسفات غنوصية هليلينية ، ورهبانية مسيحية ، وتخليطات هندية .

المهربية وأهل السنة :

قال العلامة الطيب الذكر « جولد زيهر » Goldziher . « أما في الإسلام السنّي ، فإن ترقب ظهور المهدي على الرغم من استناده إلى الوثائق الحديثة والمناقشات الكلامية ، لم يصل ألبتة إلى أن يتقرر كعقيدة دينية ، ولم يبد قط عند أهل السنة إلا كحلية أسطورية لغاية مثلى ، أو كأمر ثانوي بالنسبة لجوهر النظرية السنّية للكون ، ويرفض الإسلام السنّي رفضاً قاطعاً العقيدة المهديّة على صورتها الشيعية ، كما يهزأ بفكرة الإمام الغائب وحياته الطويلة » (١) .

وقال أيضاً إن أهل السنة « يعتقدون بمجيء مصلح إلى العالم في آخر الزمان ، يبعث الله به ، ويسمونه أيضاً بالإمام المهديّ ، أي الذي هداه الله إلى الطريق السويّ ، وهذه العقيدة وما تنطوي عليه من آمال وأمنيات ، تظهر في بيئات التقى والورع عند

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٩٦

المسلمين كزفرة من زفرات الأسف والانتظار ، يصعدونها وهم في غمرات حالة سياسية واجتماعية ، لا تنقطع ثورة ضمائرهم حيالها » (١) .

بيد أن اعتقاد عامة أهل السنة ، يخالف تماماً ما تدين به الشيعة ، فهم لا يؤمنون بأن المهدي وُلد من ألف سنة ، وغاب في سرداب أو نحوه من جبال رضوى أو حاجر ، ثم يخرج منه في آخر الزمان ، كما هو جوهر العقيدة الشيعية ، بل يقولون إنه سيبعث في آخر دورة للإسلام ، وبالتالي للحياة على هذه الأرض شخص من سلالة النبي — وهم هنا متأثرون بأحاديث الشيعة المختلفة — يلقب بالمهدي ، يظهر المسيح من بعده وُملأ الأرض عدلاً .

ونحن لا نشك في أن عقيدة العامة من أهل السنة ، بل وكثير من الخاصة ، إنما هي أثر شيعي تسرب إليهم ، فعملت فيه العقلية السنية بالصقل والتهديب . أما القول بعودة المسيح فهو دون ريب ، من آثار المسيحية في الإسلام . وقد سخر شاعر العربية الكبير أبو الطيب المتنبي من عقيدة المهدي هذه في قوله (٢) :

فإن يكن المهدي من بان هديه فهذا وإلا فالهدي ذا فما المهدي ؟
يُعَلِّقُنا هذا الزمان بذا الوعدِ ويخْدَعُ عَمَّا في يديه من النقد (٣)
هل الخير شيء ليس بالخير غائبٌ أم الرشد شيء غائبٌ ليس بالرشد ؟

(١) لعقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٩٤ .

(٢) ديوان المتنبي ص ٤٠٠ ط هندية بالقاهرة .

(٣) يقول المتنبي : أيجسُن أن يترك الخير والرشد الحاضران ، ويدعى أن خيراً ورشداً

غائبان ، وهما في الحقيقة الخير والرشد ؟ هذا اعتقاد فاسد .

آثار عقيدة المهدي في المجتمع الإسلامي

القحطاني والكحبي والقميبي :

كانت « المهديّة » عند الشيعة عاملاً فعالاً ، في خلق عقائد أسطورية مشابهة في الأوساط الإسلامية ، كالسفيانية في البيت الأموي ، والقحطانية والكلمية في اليمنية ، والتميمية في المضرية ، وكلها عدا السفيانية أوجدتها العصبية القبلية ، المتغلغلة في الدم العربي ؛ إذ كيف يكون للشيعة مهديّ منتظر ، ولا يكون لليمنيين هم الآخرون قحطاني منتظر...؟!!

وقد سلك اليمنيون نفس الطريق الذي سلكه الشيعة من قبل ، فأنطقوا الرسول عليه السلام بما شاؤوا من أحاديث مؤيدة لما ذهبوا إليه ؛ ففي « أسد الغابة » يروي ابن الأثير عن النبي صلوات الله عليه أنه قال : « سيكون بعدى خلفاء ، ومن بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الأمراء ملوك ، ومن بعد الملوك جبابرة ، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ثم يؤمر القحطاني ، فوالذي بهتني بالحق ما هو دونه » ، ويروي ابن الأثير أيضاً في كتاب آخر له هو : « النهاية في غريب الحديث والأثر » أن النبي قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ^(١) » .

ومن الغريب حقاً أن نجد الإمام البخاري — وهو شخصية علمية جليلة لها خطرهما ومكاتبها — مع أنه لم يرو لنا شيئاً قط يتعلق بالمهديّ ، يحدثنا بحديث القحطاني هذا ؛ ففي صحيحه :

« حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني سليمان عن ثور عن أبي الغيث

(١) النهاية في غريب الحديث ٢ ص ١٩٣ ط المطبعة العثمانية .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » (١)

ويحدثنا العلامة « فان فلوطن » Van Vloten (٢) أن أهل اليمن كانوا ينظرون إلى قحطانيهم هذا نظرة كلها الجذ ، حتى لقد عقدوا على خروجه آمالهم ، وادّعوا أنه أحد الأمراء من سلالة قحطان ، ويقول المسعودي (٣) إن عبد الرحمن بن الأشعث قد ادّعى أنه ذلك القحطاني المنتظر

وهنالك أيضاً — كما يحدثنا الرواة — بعض النبوءات الخاصة بكلبي منتظر (٤) ، وهو مهديّ سيخرج من بني كلب إحدى القبائل اليمنية

وبينما كان اليمنيون ينتظرون القحطاني أو الكلبي ، كان المصريون هم الآخرون ينتظرون التميمي ، وهو مهديّ سيخرج من بني تميم إحدى القبائل المصرية (٥) ونحن لا نشك أن للعصبية القبيلية ضلعاً في نشوء هذه العقائد الأسطورية التي لم تعمر طويلاً ؛ إذ طغت عليها « مهديّة » الشيعة طغياناً كبيراً .

السفياني المنتظر :

عندما وضعت الشيعة أسطورة المهدي ، ودعمتها بمختلقات الأحاديث ، فلاقحت عند الأغرار والعامّة رواجاً ، سارع الأمويون فاختلفوا هم أيضاً مهديّاً لهم هو السفياني المنتظر . ! وقصته لا تخلو من طرافة ؛ فالأمير خالد بن يزيد بن معاوية ، الذي انقطعت آماله من الخلافة وأخذ يستنجد الكيمياء ، علّمها تسعفه بالذهب فلم تلبّ له نداء ، رأى أن يفتاع البيت المرواني الحاكم ويعزو السوق ببضاعة نافقة جديدة هي « السفياني المنتظر » ، وإن فيها لعزاء لآل أبي سفيان ؛ قال أبو المحاسن :

(١) أنظر صحيح البخاري ٩ ص ٥٨ ط بولاق .

(٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية « الترجمة العربية » ص ١٢٠ .

(٣) التنبيه والإشراف ص ٣١٤ ط أوربا .

(٤) السيادة العربية والشيعة ص ١٢١ .

(٥) المصدر السابق .

« وكان خالد المذكور موصوفاً بالعلم والعقل والشجاعة وكان مولعاً بالكيمياء ،
وقيل إنه هو الذي وضع حديث السفيناني لما سمع بحديث المهدي »^(١) .
وقال صاحب الأغاني :

« كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ويقول الشعر ، وزعموا
أنه هو الذي وضع خبر السفيناني وكِبْرَه ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع
حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمّه أمّ هاشم » . وقد عقب الأصفهاني
على ذلك بقوله : « وهذا وهم من مصعب ؛ فإن السفيناني قد رواه غير واحد وتتابعت
فيه رواية الخاصة والعامّة^(٢) » .

ويؤسفنا كثيراً ألا نأخذ بقول صاحب الأغاني ، إذ أن التاريخ السياسي المتواتر
للأمير خالد بن يزيد وحالته السيكلوجية ، يؤيدان وضعه لحديث السفيناني ، أما انتشار
هذا الحديث ورواية الخاصة والعامّة له ، فليس قاطعاً في صحته ؛ فالأكاذيب أيضاً
تُروى ولعلها أكثر انتشاراً ، ولا يغرب عن بالنا أن الأصفهاني متشبع — وإن كان
معتدلاً في تشيعه — والشيعيّة تسلّم بحديث السفيناني ، بل يههما انتشاره لأن فيه
ذيوغاً لحديث المهديّ كما سنحدثك بعد قليل .

يقول العلامة « فان فلوتن » Van Vloten « وليس بعيداً أن يكون خالد بن
يزيد قد ابتدع نبوءة السفيناني هذه ، على ما جاء في كتاب الأغاني ليحفظ التوازن
بين بطون البيت الأموي ، وليبين من شكيمّة الأسرة الحاكمة أسرة بني مروان^(٣) » .
أما الأحاديث في هذا الصدد ، فكسابقتها اختلاقاً وكثرة ؛ فقد رواها عن حذيفة
ابن اليمان أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فتنة تكون بين
أهل المشرق والمغرب ، قال : فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي

(١) النجوم الزاهرة > ١ ص ٢٢١ ط الدار .

(٢) الأغاني > ١٦ ص ٨٨

(٣) السيادة العربية والشيعيّة والإسرائيليات في عهد بني أمية « الترجمة العربية » ص ١٢٩

اليابس، حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين : جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل . . . الخ »

وفي « النهاية » لابن الأثير « وفي حديث ابن الحنفية (ذكر رجلاً يلي الأمر بعد السفيناني فقال : يكون بين شتّ وطبّاق) » قال ابن الأثير : « الشّتّ : شجر طيب الريح من الطعم ، ينبت في جبال الغور ونجد ، والطبّاق . شجر ينبت بالحجاز إلى الطائف ، أراد أن يخرج (السفيناني) ومقامه المواضع التي ينبت بها الشّتّ والطبّاق » (١) .

وقد ادّعى أحد سلاطة الأمير خالد بن يزيد ، أنه السفيناني المنتظر ، وانضم إليه كثير من الأنصار والأشياع ، في آخر خلافة بني أمية ؛ فالطبري يخبرنا — ضمن أحداث عام ١٣٢ هـ والدولة الأموية تسلم الروح ، وقد أخذ الناس في تشييع جنازتها — أن جماعة من أهل قنسرين وحمص وغيرها قد احتشدوا « وقدمهم ألوف عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد ، بن معاوية بن أبي سفيان فرأسوا عليهم أبا محمد ودعوا إليه وقالوا هو السفيناني الذي كان يُذكر » (٢) .

ولعل من الطريف حقاً أن الشيعة لما سمعت نبأ هذا السفيناني ، بادرت بالاعتراف به ، بيد أن مهديهم سيلتقى به حتماً في يوم ما ، وتكون بينهما معركة شديدة تدور دائرتها على السفيناني ، وسرعان ما روت الشيعة عن النبي هذا اللقاء في قالب حديثي : « وسيبايع الناس المهدي يومئذ بمكة بين الركن والمقام ثم يقول المهدي : أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدوّ الله وعدوّكم فيجيبونه ولا يعصون له أمراً ، فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام ، لمحاربة عروة بن محمد السفيناني ومن معه من كلب » (٣) .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر > ٢ ص ٤ ط المطبعة العثمانية

(٢) أنظر الطبري > ٩ ص ١٣٨ ط الحسينية

(٣) مختصر تذكرة القرطبي ص ١٥٩ ط بولاق ، وانظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل

لمجير الدين الحنبلي > ١ ص ٢٣٧ ط الوهيبية بالقاهرة

ويظهر أن فكرة السفيناني هذه ما زالت - ولو بشكل ضعيف - محتمة في أذهان بعض أهل الشام إلى وقتنا الحاضر ، فالعلامة « لامانس » Lammens يخبرنا أن زلزالاً قد حدث بفلسطين في صيف عام ١٩٢٧ ، فتنبأ أحد المسلمين في شوارع بيروت بقرب ظهور السفيناني المنتظر .

ولما قامت الدولة العباسية ، ورأى بنو العباس هذه الحركة الواسعة النطاق ، أدلوا بدلوهم وأولوا أحاديث المهدي -- بدافع سياسي - لصالحهم ، وزادوا في كميتهما وضعاً واختلاقاً ، فقالوا : قال عليه السلام : « منّا أهل البيت أربعة منّا السفاح ومنّا المنذر ومنّا المنصور ، ومنّا المهدي الذي سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » . رواه الحاكم عن ابن عباس . وقد حمل ذلك أبا جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس ، والسياسي الحنك ؛ على تسمية ابنه بالمهدي ، وسرعان ما حدثته المترلفون - وهم كثيرون - بحديث قد اختلقه الوضّاعون ورفعوه إلى النبي عن طريق ابن مسعود ، يقول فيه : « لا تذهب الدنيا حتى يلي أمتي رجلٌ من أهل بيتي ، يواطىء اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » . قال المطهر بن طاهر المقدسي في كتابه « البدء والتاريخ » المنسوب خطأ للبلخي : « وقد تأول قوم أنه المهدي محمد ابن أبي جعفر عبد الله المنصور ، لقبه المهدي واسمه محمد واسم أبيه عبد الله ، وهو من أهل البيت ، ولم يأل جهداً في إظهار العدل ونفي الجور » .

ومن الطريف حقاً أن المنصور نفسه لم يكن يعتقد أبداً أن ابنه هو المهدي^(١) . وهكذا قال بهذه الأسطورة اليمينيون والمضريون والعلويون والأمويون والعباسيون ، وأخذت عند كلِّ لوناً خاصاً ؛ فالعلويون هم البادثون لما سقط في أيديهم وضاع نصيبهم من الخلافة ، حتى لا يتسرب اليأس إلى الجماهير المحبة لآل البيت ، وساعدهم على اصطناعها ما بثّه فيهم معلمهم الأول ، ابن السوداء عبد الله

(١) انظر كتابنا هذا ص ١١٧ .

ابن سبأ تحت ضوء عقيدة « المخلص » كما أسلفنا ، وحررت العصبية القبلية أهل اليمن فابتدعوا لنا القحطاني والسكبي ، واختلق المضر يون التميمي ، وجاء خالد ابن يزيد يجرّ أذيال الخيية من الحكم والكيمياء ، فوضع السقياني ، وكان العباسيون أبعد الجميع نظراً وأحكامهم سياسة وأسدهم تدبيراً ، فسلموا بالفكرة واستغلوا لتوطيد سلطانهم ، والجمهور ساذج فطري ، متحمس للدين جيش بالعتيدة ، محب لآل البيت ، فأمن وأعرق .

المهديون من غير آل البيت

إصحاح :

يحدثنا ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته ، أن الناس كانوا يعتقدون أن موسى ابن طلحة بن عبيد الله ، هو المهدي المنتظر ؛ قال في الطبقات : « قدم المختار ابن أبي عبيد الكوفة فهرب منه وجوه أهل الكوفة ، فقدموا علينا ها هنا البصرة ، وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله قال : وكان الناس يرونه زمانه هو المهدي ، قال : فغشيه ناس من الناس ، وغشيته فيمن غشيه ، فإذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام ، طويل الحزن والكآبة . . . الخ^(١) »

وحدثنا ابن سعد أيضاً أن التابعي الكبير سعيد بن المسيّب ، كان يقول بمهدية عمر بن عبد العزيز ففي « الطبقات » : « عن أبي معن قال سمعت سعيد ابن المسيّب ، وقد سأله رجل فقال له يا أبا محمد من المهدي ؟ فقال له سعيد : أدخلت دار مروان ؟ قال : لا ، قال : فادخل دار مروان ، تر المهدي . قال : فأذن عمر بن عبد العزيز للناس ، فانطلق الرجل حتى دخل دار مروان ، فرأى الأمير والناس مجتمعين ، ثم رجع إلى سعيد بن المسيّب فقال يا أبا محمد : دخلت دار مروان فلم أرَ أحداً أقول هذا المهدي ! فقال له سعيد — وأنا أسمع — هل رأيت الأشجّ عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير ؟ قال نعم ، قال فهو المهدي^(٢) . »

وفي الطبقات أيضاً : « عن نافع عن ابن عمر قال : كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً؟^(٣) » ويروي ابن سعد « قال ابن عمر إننا كنّا نتحدث أن هذا الأمر لا ينفضي حتى يلي

(١) انظر الطبقات ج ٥ ص ١٢٠ ط ليدن

(٢) انظر الطبقات ج ٥ ص ٢٤٥ ط ليدن

(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٤٣

هذه الأمة رجلٌ من ولد عمر ، يسير فيها بسيرة عمر ، بوجهه شامة ، قال : فكنا نقول هو بلال بن عبد الله بن عمر وكانت بوجهه شامة ، قال : حتى جاء الله بعمر ابن عبد العزيز ، وأمه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، قال يزيد : ضربته دابة من دواب أبيه فشجّته ، فجعل أبوه يمسح الدم ويقول : سعدت إن كنت أشجّ بني أمية^(١) .

ويروى ابن سعد : « قال سمعت محمد بن علي يقول : النبي منّا والمهدي من بني عبد شمس ، ولا نعلمه إلا عمر بن عبد العزيز^(٢) » ، وفي الطبقات : « أخبرنا مسلم ابن ابراهيم قال حدثني أبو بكر بن الفضل قال حدثني أبو يعقوب ، مولى لهند بنت أسماء قال : قلت لمحمد بن علي ، إن الناس يزعمون أن فيكم مهدياً ، فقال : إن ذلك كذاك ولكنه من بني عبد شمس ، قال فكأنه عني عمر بن عبد العزيز^(٣) . »

ويقال إنه لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، سُمع صوت لا يُدرى صاحبه يقول :

من الآن قد طابت وقرّ قرارها على عمر المهديّ قام عمودها

والحق أن هذه الشخصية الفذة لهذا الخليفة الأموي ، كانت تحظى دائماً بالرضى والتقدير ، بل والإعجاب عند كل الطوائف الإسلامية ، حتى بين خصوم بني أمية السياسيين ، أعنى بني العباس ، الذين بلغ بهم حقدهم على الأمويين أن نبشوا قبور موتاهم ، وتركوا قبر عمر بن عبد العزيز قائماً تقديراً له وإجلالاً .

وقد كان زهد هذا الخليفة وتشفه وصفاته الروحية العالية التي انحدرت إليه من جده الأعلى لأتمه عمر بن الخطاب ، عاملاً هاماً في فرض شخصيته على قلوب الناس فأحبهوه ، حتى ليرى فيه التابعي الكبير ابن المسيّب أنه المهدي المنتظر .

والطبري^(٤) يحدثنا أنه في عام ١٢٨ هـ قد ادّعى الحارث بن سُرّيج أنه ذلك

(١) الطبقات ج ٥ ص ٢٤٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٥

(٣) المصدر السابق نفسه

(٤) الطبري ج ٩ ص ٦٧ ط الحسينية .

المهدى المنتظر صاحب الرايات السود، ولكن دعوته لم تلق نجاحاً، وغير بعيد أن يكون صاحبنا هذا قد ابتدع الحديث الذي رواه أبو داود والقائل :

« يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حرّاث ، على مقدمته رجل يقال له منصور ، يوطئ أو يمكّن لآل محمد ، كما مكّنت قريش لرسول الله ، وجب على كلّ نصره » وقد رفعه إلى النبي ؛ ليتخذ منه سلاحاً وتكأة لتأييد مزاعمه ، ولكن الحكومة القوية إذ ذاك ، أخذت أنفاسه فأخفق الحارث في دعوته .

وقد ذهب بعض طوائف الخُرَّمِيَّة — أتباع بابك الخُرَّمِي (١) إلى أن « أشيدراما » أحد أعقاب « زرادشت » الذي ينتظر الجوس عودته كمنخلص في آخر الزمان ، هو بعينه أبو مسلم الخراساني أحد مؤسسي دولة بني العباس ، والذي فتك به خدعة — بعد أن أمّته — الخليفة الصارم أبو جعفر المنصور ، غير أن الخُرَّمِيَّة لم تؤمن بموته ، فأخذوا ينتظرون رجعه ليملاّ الأرض عدلاً . وقد فرّ رجل يدعى إسحق الترك بعد موت أبي مسلم إلى بلاد ما وراء النهر ، ونصب نفسه داعية له وزعم أن مولاه قد اختفى بمدينة « الرى » وأنه نبي أرسله « زرادشت » وسيمود حتماً إلى الوجود ؛ لينشر الزرادشتية ويرفع لواءها .

(١) الحرّمي : نسبة إلى « خرمة » كسكره : بلدة بقرب اصطخر .

ابن تومرت مهدي الموحدين

وفي صحارى المغرب الفقيرة وبين قبائله البدائية، راجت عقيدة «المهدية» رواجاً كبيراً، ووجدت بين أهله السذج مرتعاً خصيباً، قال ياقوت:

«البربر أجنى خلق الله وأكثهم طيشاً، وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة، ولم تخل أجيالهم من العتن وسفك الدماء قط، وكمن ادعى فيهم النبوة فقبلوا، وكمن زاعم فيهم أنه المهدي الموعود، فأجابوا دعوته ولمذهبه انتحلوا، وكمن ادعى فيهم مذهب الخوارج، فإلى مذهبهم بعد الإسلام انتحلوا».

ويقول سيد الباحثين الطيب الذكر العلامة «جولدزيهر» Goldziher:

«كثيراً ما ظهرت الحركات المهدوية في الإسلام المغربي (شمال أفريقيا)، وعند المغاربة اعتقاد متواتر بأن المهدي لا بد أن يظهر في الأرض المراكشية، واستعان المغاربة بالأحاديث التي تنحو هذا المنحى. كما ظهر أيضاً في المغرب في عصور مختلفة رجال، كان يدعى كل واحد منهم أنه عيسى ابن مريم، وكان يتمسك بهذا الاسم لمناهضة السياسة الأجنبية»^(١).

ولعل أخطر هذه الحركات جميعاً، تلك الحركة الكبرى التي تزعمها محمد ابن تومرت، والتي أقامت دولة الموحدين على أنقاض الدولة المرابطية، وهي وإن قامت باسم «المهدي» لم تكن قط ذا طابع ديني خاص تطبع به الجماهير، فبقي بعدها أجيالاً وقرونًا، كما استطاع ذلك بنو عميد؛ قال «جولدزيهر» Goldziher:

«ومع أن بعض هذه الحركات المهدوية كتلك التي أدت إلى قيام دولة الموحدين بالمغرب، لم تحتفظ بأى أثر تؤثر به في المستقبل بعد سقوط الأنظمة السياسية، التي كانت هذه الحركات ثمرة لها، فإن الآثار الباقية لهذه الحركات المهدوية لا تزال باقية إلى اليوم في الفرق الشيعية»^(٢).

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام «الترجمة العربية» ص ٣٤٢

(٢) المصدر السابق.

أما ابن توصرت الداعية المغربي الذي أقام بأسطورة «المهدية» دولة الموحدين فهو من بين دعاة المهديّة جميعاً — أوفرهم براعة وذكاء وحزمًا وزهداً ، وكان نفوذه الروحي أقوى دعامة لقيام دولته وقد جاء في « روض القرطاس » أنه :

« كان جميل الطلعة أسمر اللون منفصل الحاجبين قوى النظر ، ألقى الأنف غائر العينين ، خفيف اللحية له شامة سوداء على يده ، وكان داهية قادراً ، تساوره الشكوك فلا يتردد عن إراقة الدماء ، كما كان حافظاً للحديث عالماً بالمسائل الدينية مبرزاً في المناظرة ، ويحدثنا صاحب « المغرب في أخبار أهل المغرب » فيقول^(١) :

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

« له قدم في الثرى وهمة في الثريا ، ونفس ترى إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء الحياء ، أغفل المرابطون حله وربطه ، حتى دب ديب الفلق في الغسق ، وترك في الدنيا دويماً ، أنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم ، لكان لعزمه فيها غير مسلم ، وكان قوته من غزل أخت له ، في كل يوم رغيفاً بقليل سمن أوزيت ، ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ، ورأى أصحابه يوماً ، وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه ، فأمر بضمّ ذلك جميعه وأحرقه ، وقال من كان يتبعني للدنيا فما له عندي إلا مارأى ومن تبعني للآخرة فجزاؤه عند الله تعالى ، وكان على خول زيّه وبسط وجهه ، مهيباً منيع الحجاب إلا عند مظالمه ، وله رجل مختص بخدمته والإذن عليه ، وكان كثيراً ما ينشد :

تجرّد من الدنيا فإنك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرّد
وكان يتمثل بقول المتنبي :

إذا غامرت في شرف مرؤم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمرٍ حقير كطعم الموت في أمرٍ عظيم

(١) أنظر وفيات الأعيان لابن خلكان = ٢ س ٤٠ ط الحلبي .

و بقوله أيضاً :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام «
وابن تومرت بربري لحماً ودماً ، ولذلك فنحن ندرجه في قائمة « المهديين من
غير آل البيت » وإن اختلف هو لنفسه نسباً عربياً ينتهي به إلى علي بن أبي طالب
أو إلى الرسول نفسه ، كي يعتمد عليه - شأن غيره من المهديين - في ادعائه
« المهديّة » ، ولكي تؤيده « مجموعة الأحاديث » المتعلقة التي لا تنصر مهدياً من غير
آل البيت ، ولا ندرى كيف خفي ذلك على بعض الباحثين الممتازين كسيد أمير علي ،
الذي زعم أن صاحبنا ينتمي إلى أسرة عربية ^(١) ، والحق أن ابن تومرت كان
ذا نسب في البربرية عريق ؛ فهو هرغني من « هرغة » أحد بطون « مصمودة » وهي
بربرية بشهادة ابن حزم القاطمة في كتابه الممتع « جهرة أنساب العرب » ^(٢) ، وقد أدرجها
أيضاً ضمن قبائل البربر ، صاحب كتاب « مفاخر البربر » ^(٣) الذي نشره (بالرباط)
العلامة « بروفنسال » Provençal ، كما حدثنا عنها أيضاً كقبيلة بربرية العلامة
« يقر » Yver في « دائرة المعارف الإسلامية » ^(٤) . ولم يخف ذلك على القاضي
ابن العماد فقال في شذراته : « وفيها (سنة ٥٢٤ هـ) محمد بن عبد الله بن تومرت
المصمودي البربري المدعى أنه علوي حسني وأنه المهدي » ^(٥) .

وابن خلدون الذي انتفع بأبحاث ابن حزم ، يحدثنا أن ابن تومرت الداعية
المغربي ، اسمه « أمغار » وهي كلمة بربرية معناها رئيس ، أما « ابن تومرت » في هذه
اللغة ، فيقول الأستاذ « عفان » ^(٦) نقلاً عن أبي بكر الصنهاجي ، تلميذ ابن تومرت
ومؤرخه ، إن سبب تلقيبه بذلك أن أمّه فرحت بمولده ، وكانت كلما سئلت عنه

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي « الترجمة العربية » ص ٤٥١

(٢) أنظر جهرة أنساب العرب ص ٦١ ، نشر « بروفنسال » Provençal بالقاهرة .

(٣) أنظر « مفاخر البربر » ص ٥٩ و ٦٢ نشر « بروفنسال » Provençal بالرباط .

(٤) أنظر مادة « البربر » بدائرة المعارف الإسلامية « الترجمة العربية » مجلد ٣ ص ٥٠١

(٥) أنظر شذرات الذهب ص ٤ ط ٧٠ ط القدسي بالقاهرة .

(٦) تراجم إسلامية ص ٢١٢

أجابت بلسانها البربري « يك تومرت » ومعناه « صار فرحاً » فغلب عليه ذلك اللقب . وقيل إن معناه « ابن عمر الصغير » وعمر اسم أبيه الذي كان يدعى أيضاً عبد الله ، كما دُعي ولده بمحمد ، فأشبهه النبي في اسمه واسم أبيه وانسق بذلك مع أحاديث المهدي ، أما أسماء أسلافه فبربرية .

وتاريخ مولد هذا الداعية مجهول ، ولكنّه ينحصر بين ٤٧٠ هـ - ٤٨٠ هـ ويذكر « عنان » أنه كان في عام ٤٨٥ هـ - ١٠٩٢ م^(١) وقد ولد صاحبنا بإحدى قرى جبال السوس من أسرة هي فخذ من هرغة أحد بطون مسمودة ، ولهذا يعرف بالهرغي ؛ قال ابن خلدون : « كان من بيت نسك وكان قارئاً محبباً للعلم ، وكان يسمى باللسان البربري « أسافو » ومعناها الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد للملازمتها » .

وأكبر الظن أن هذه النزعة الملحة في طلب العلم ، هي التي دفعته إلى النزوح والرحلة لطلبه من ينيابعه في المشرق والمغرب والعلامة «رينيه باسيه» Rene Basset يحدّثنا أنه ابتدأ في رحلته بالأندلس ولا يشك « باسيه » في أن لسكتابات ابن حزم أثراً في أفكاره^(٢) . ويقول « أشباخ » Aschbach إنه درس في قرطبة قبل الرحيل إلى المشرق^(٣) .

وبعد أن بلغ صاحبنا غايته من معاهد قرطبة شدّ رحاله إلى الشرق فخرج في طريقه على الإسكندرية ؛ وتنازل لأبي بكر الطرطوشي الأشعري ، وكان يعارض تعاليم الغزالي ، ثم أخذ ابن تومرت طريقه بعد ذلك إلى العراق ، حيث درس في بغداد وتقول الأساطير إنه التقى بالغزالي هناك ، ودارت بينهما أحاديث حول كتاب الإحياء من جهة ، وحول تنبؤ الغزالي لصاحبنا المغربي بخطرشأه وقيام دولته من جهة أخرى . وقد سلّم بهذه الأسطورة بعض المؤرخين القدامى كابن خلكان الذي يقول :

(١) تراجم إسلامية ص ٢١١

(٢) أنظر مادة « ابن تومرت » بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ١٠٦

(٣) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين « الترجمة العربية » ١٠٠ ص ١٩٥ ،

وانظر صبح الأعشى للقلقشندي ص ٥٠ ص ١٣٦

« ثم رحل إلى المشرق في شببته طالباً للعلم فانتهى إلى العراق ، واجتمع بأبي حامد الغزالي والскиيا الهراسي والطرطوشي وغيرهم ^(١) » .

والفيلسوف الذي يحدثنا فيقول : « كان (ابن تومرت) إماماً متضلماً بالعلوم ، قد حج ودخل العراق واجتمع بأئمة من العلماء والنظار كالغزالي ، والскиيا الهراسي وغيرهما ، وأخذ بمذهب الأشعرية أهل السنة ، ورجع إلى الغرب ، وأهله يومئذ على مذهب أهل الظاهر في منع التأويل ، فاجتمع إليه قبائل المصامدة من البربر ، وجعل يبت فيهم عقائد الأشعرية ، وينهى عن الجود على الظاهر ، وسمى أتباعه الموحدين ، تعريضاً بتكفير القائلين بالتجسيم الذي يؤدي إليه الوقوف على الظاهر ^(٢) » .

ويقول في موضع آخر :

« وكان أهل بيته أهل دين وعبادة ، وشب محمد هذا فيهم قارئاً محبباً للعلم ، وارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة ، ومرّ بالأندلس ، ودخل قرطبة وهي إذ ذك دار علم ، ثم لحق بالإسكندرية وحج ، ودخل العراق ، ولقى أكابر العلماء به يومئذ وفحول النظار ، ولقى أئمة الأشعرية من أهل السنة ، وأخذ بقولهم في تأويل المتشابه ، ويقال إنه لقي أبا حامد الغزالي رحمه الله واستشاره فيما يريد من قيام الدولة بالمغرب ^(٣) » .

والقاضي الحنبلي ابن العماد يقول : « رحل إلى المشرق ولقى الغزالي وطائفة ^(٤) » .

كذلك أخذ بهذه الأسطورة — أسطورة التقاء ابن تومرت بالغزالي — بعض المحدثين من الباحثين كأشباح Aschbach ^(٥) وسيد أمير على ^(٦) ولم يُبد فيها الأستاذ عنان رأياً قاطعاً ، عندما ترجم لابن تومرت في كتابه « تراجم إسلامية » .

(١) أنظر وفيات الأعيان > ٢ ص ٣٧ ط الحلبي .

(٢) أنظر صبح الأعشى > ٥ ص ١٩١

(٣) المصدر السابق > ٥ ص ١٣٦

(٤) شذرات الذهب > ٤ ص ٧٠ ط القدسي بالقاهرة .

(٥) تاريخ الأندلس > ١ ص ١٩٥

(٦) مختصر تاريخ العرب ص ٤٥١

والحق الذي لا مريّة فيه أن ابن تومرت لم يلتق قط بالغزالي ؛ قال ابن الأثير :
« وقيل إنه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك ، فقال له الغزالي
إن هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لأمثالنا ، كذا قال بعض مؤرخي
المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به ^(١) . » . ويقول ابن غلبون معقّباً على هذا الخبر :
« هكذا قال بعض مؤرخي المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به ^(٢) . » .

وغير بعيد أن يكون هذا اللقاء من مختلقات ابن تومرت نفسه ، ليصبغ دعوته
بصبغة قدسية ؛ إذ تنبأ بها « الغزالي » وهو إمام في الشريعة والحقيقة ، يتمتع بنفوذ
كبير ويعتبر حجة الإسلام .

وقد غيرت أعوام الطلب والرحلة داعيتنا المغربي تغيراً كبيراً ، فاعتزم في نفسه
أمراً ، وهو وإن لم يكن قد رسم خطته بالتفصيل فقد تصوّرها بالإجمال ، وعندما ركب
البحر عائداً إلى بلاده ، أخذ لأول مرة يأمر ركاب السفينة وبجارتها بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ، وأزهم إقامة الصلاة وقراءة القرآن . ولما هبط الأراضي المغربية ازداد
حماسة وحمية ، فاستمر على طريقته في شيء غير قليل من الشدة والعنف ، عملاً بقول
النبي عليه السلام : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ،
فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان » .

وقد كانت دولة « المرابطين » القائمة بالمغرب إذ ذاك في دور الاحتضار ، كما
كانت الحياة العقلية في غاية الانحطاط ، مما ساعد ابن تومرت كثيراً في نشر دعوته ،
التي لم يقف المرابطون في سبيلها حجر عثرة ، بل كانوا بضعفهم واحلالهم الخُلقي
والسياسي ، أكبر عامل في نجاحها .

وبإحدى قبائل صنهاجة التقي ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي ، الذي ينتهي
بنسبه إلى بني سليم من قيس عيلان ، والذي تمت على يديه دعوة ابن تومرت ، وكان
عبد المؤمن كأستاذه طالباً فقيراً ، يريد الارتحال لبلاد المشرق لطلب العلم ، فتحدث

(١) أنظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٠١ طبع الحلبي .

(٢) التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ص ٧٨ .

إليه ابن تومرت وتفرّس فيه واختبره بدقّة ، فوجد فيه عضداً قوياً وساعداً متيناً ، فأقنمه بالعدول عن رحلته كما أقنعه باصطحابه في دعوته ، زاعماً له أنه هو المقصود بالحديث الختلق القائل : « إن الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس ، فقيل من أيّ قيس ؟ فقال من بنى سليم . . . » .

ثم أخذ ابن تومرت بعد ذلك يضرب في البلاد ، حتى وصل مرا كاش فسار فيها سيرته المعروفة من الأمر بالمعروف وتنفيذ برنامجه في الإصلاح الخلقى بالشدة والعنف ، لا يكاد يعرف في ذلك ليناً أو هوادة ، حتى لقد أساء إلى أخت الأمير المرابطى الذى كان أكثر منه حملاً وتسامحاً ، فلم يُنزل به ما يستحقه من العقاب ، واكتفى بأن عقد مجلساً ناظر فيه ابن تومرت فقهاء المرابطين فحجهم وقلجهم ، ولم يكن ذلك عليه بعسير . ولقد أشار القاضى النابه البعيد النظر ، مالك بن وهيب على الأمير المرابطى بقتل ابن تومرت ، لما استشفه وراء دعوته المقتنعة من خطر داهم على الدولة ، ولكن الأمير لم يستمع لنصيحة ابن وهيب ، وأبقى على حياة الداعية الداهية ، الذى ما كاد يشعر بهذه الشباك تحاك من حوله ، حتى فرّ إلى « أغمت » حيث اشترك هناك في مناظرات أخرى ، كان دائماً يخرج منها ظافراً منتصراً ، لفصاحة لسانه وقوّة جنانه ، وحضور بديهته ، ولما أكسبته دراسة المنطق من قوّة الحجّة ووسائل الغلب والفاج .

ثم توجه ابن تومرت إلى جبال المصامدة ، وأخذ هناك ينظم دعوته ، فاكتفى بادئ الأمر بإنكار ما يخالف القرآن والسنة من أخلاق وعادات . وبعد أن أصبح له نفوذ قوى والتف حوله الأتباع ، هاجم المرابطين وشدد عليهم النكير ؛ لحيدتهم عن تعاليم الإسلام الصحيحة القويمة ، ورمى كل من عارضه في ذلك بالمروق من الدين ، وأعلن حرباً دينية ليس على الوثنيين فحسب ، بل على المسلمين أيضاً ؛ لضلالتهم وسلوكهم مسالك الشيطان . وقد جاء في رسالة حماسية له — يحرّض فيها أتباعه على محاربة المرابطين — قوله :

« فكل من أطاعهم في معصية الله وأعانهم على ظلمهم ، في سفك دماء المسلمين وأخذ أموالهم ، وكل من أعانهم من القبائل ، فادعواهم إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الكتاب والسنة ، فإن قبلوا منكم ورجعوا إلى السنة وأعانوك على جهاد الكفرة فخلوا سبيلهم وهم إخوانكم في دين الله وسنة رسوله ، وإن عاندوا الحق وأصرّوا على معونة الباطل والفساد ، فاقتلواهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً^(١) »
وبعد أن هبّ ابن تومرت الأذهان لصفات المهدي المنتظر ، الذي يتم على يديه إصلاح الحال ، بادر فاعتبر نفسه ذلك المهدي ، وخرج به على الناس عام ٥١٥ هـ ، واصطف له نسباً يعلو به إلى عليّ بن أبي طالب . وقد ساعده على النجاح ، تلك الأساطير الكثيرة التي راجت هناك عن قيام دولة بربرية ؛ قال القلقشندي :

« وكان السكمان يتحدثون بظهور دولة بالمغرب لأمة من البربر ؛ وصرفوا القول في ذلك إليه ، ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين سنة خمس عشرة وخمسة مائة فبايعوه على ذلك^(٢) » .

وقد تأثرت تبعاً لذلك دعوته ، فلم تعد أشعرية خالصة ، بل خالطها الكثير من تعاليم الشيعة . ودارت بينه وبين المرابطين في هذا الصراع معارك حربية طاحنة ، بيد أن دعوته قد أخذت في الانتشار والذيع ، مما أكسبه الأيد والقوة ، في الوقت الذي كانت فيه دولة المرابطين تلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولكن لم يتح لابن تومرت أن ينعم بثمرة جهاده ، ففقد في رمضان عام ٥٢٤ هـ^(٣) = سبتمبر ١١٣٠ م .
وتقول الأساطير إنه رأى في منامه قبيل وفاته بيسير - كأن رجلاً وقف بباب داره ينشده هذا البيت :

كأنني بهذا البيت قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله
فأجابه ابن تومرت بقوله :

(١) تراجم إسلامية لعبد الله عنان ص ٢١٦

(٢) أنظر صبح الأعشى - ص ٥ ص ١٩١

(٣) وقيل عام ٥٢٥ هـ .

كذلك أمور الناس يبلى جديدها وكل فتى حقاً ستبلى شمائله
فقال الرجل :

تزوّد من الدنيا فإنك راحلٌ وإنك مسئولٌ بما أنت قائله
فقال ابن تومرت :

أقول بأن الله حقٌ شهادته وذاك مقالٌ ليس تُحصى فضائله
فقال الرجل :

خذ عدّةً للموت إنك ميّتٌ وقد أزف الأمر الذي أنت نائله
فقال ابن تومرت متسائلاً :

متى ذلك خبرني هُديتَ فإنني سأفعل ما قد قلتَه وأعالجه ؟
فأجابه الرجل :

تبيت ثلاثاً بعد عشرين ليلةً إلى منتهى شهرٍ فما أنت كامله
فلم يلبث بعدها غير ثمان وعشرين ليلة^(١) .

وقد رثاه شاعر مجهول بقصيدة ضافية ، اختصرها المراكشي في كتابه
« المعجب في تلخيص أخبار المغرب » يقول فيها ناظماً^(٢) :

سلامٌ على قبر الإمام المجدّد سلالةٍ خير العالمين محمد
ومُشبهه في خلقه ثم في اسمه وفي اسم أبيه والقضاء المسدّد
ومحي علوم الدين بعد مماتها ومظهر أسرار الكتاب المسدّد
أنتفا به البشري بأن يملأ الدنيا بقسطٍ وعدلٍ في الأنام مخلد
ويفتح الأمصار شرقاً ومغرباً ويملك عُرْباً من مُغيرٍ ومنجد
فمن وصفه : أفتى وأجلى وأنه علاماته خمسٌ تبين لمهدد
زمانٌ واسمٌ والمسكان ونسبةٌ وفعلٌ له في عصمة وتأيد

(١) أنظر مقدمة كتاب « أعز ما يطلب » لابن تومرت نشر « لوسيانى » Luciani

بالجزائر عام ١٩٠٣

(٢) « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ص ١٢١ ط مطبعة السعادة .

ويلبث سبعمائة أو فتسعمائة يعيشها
فقد عاش تسعمائة مثل قول نبيينا
وتابعه للنصر طائفة المهدي
هي الثلثة المذكور في الذكر أمرها
ويقدمها المنصور والناصر الذي
هو المنتقى من قيس عيلان مفخراً
خليفة مهدي الإله وسيفه
٢٢٠ يجمع الله الجبارة الألى
ويقطع أيام الجبارة التي
فيغزون أعراب الجزيرة عنوة
ويفتتحون الروم فتح غنيمة
ويغدون للدجال بغزونه ضحى
ويقتله في باب « لَيْتَ » وتنجلي
وينزل عيسى فيهم وأميرهم
يصلى بهم ذلك الأمير صلاتهم
فيمسح بالكفين منه وجوههم
وما إن يزال الأمر فيه وفيهم
فأبلغ أمير المؤمنين^(١) تحية
عليه سلام الله ما ذرَّ شارق

كذا جاء في نص من النقل مُسنَد
فذلكم المهديُّ بالله يهتدى
فأكرم بهم إخوان ذى الصدق أحمد
وطائفة المهدي بالحق تهتدى
له النصر حزبٌ إذ يروح ويفتدى
ومن مرة أهل الجلال الموطن
ومن قد غدا بالعلم والحلم مرُتد
يصدون عن حكم من الحق مرشد
أبادت من الإسلام كل مشيد
ويغزون منها فارساً وكان قد
ويقتسمون المال بالترس عن يد
يذيقونه حدَّ الحسام المهند
شكوك أمالت قلب من لم يوحد
إمام فيدعوهم لحراب مسجد
بتقديم عيسى المصطفى عن تعمد
ويخبرهم حقاً بعزِّ مجدّد
إلى آخر الدهر الطويل المسرمد
على النأي منى والوداد المؤكد
وما صدر الوراؤد عن وِرْد مورد

قال المراكشي : « وقد قيل إن منشى هذه القصيدة لم يحضر ذلك المشهد ولم ينشدها بنفسه ، منعه عن ذلك الكبرة وبعد الشقة ، وإنما أرسل بها فأنشدت على

(١) يقصد عبد المؤمن بن علي .

قبر الإمام ، وكان عمله إياها وعبد المؤمن حتى ، فإله أعلم وهى طويلة وهذا ما اخترت له منها^(١) .

وهكذا مات الداعية المغربي مهدي الموحدين ابن تومرت ، دون أن يرى ثمرة جهاده الذى واصله من بعده خليفة عبد المؤمن بن على ، حتى قضى على المرابطين وسقطت دولتهم المثلومة صريعة دامية تحت ضرباته ، فأنشأ على رسومها ومعالمها وفوق أطلالها وأنقاضها بالبلاد المغربية ، دولته الفتية القوية دولة الموحدين إحدى الدول التي قامت على أسطورة « المهديّة » .

وقد ترك ابن تومرت تعاليمه مدونة فى كتاب أملاه عبد المؤمن هو « أعزّ ما يطلب » نشره « لوسيانى » Luciani بالجزائر عام ١٩٠٣ ، وقدم له « جولنزيهر » Goldziher مقدمة طويلة ممتعة ، وهو فى جملته لا يخرج عن تعاليم الأشعرية مصطبغة بصبغة شيعية . وقد ترك أيضاً رسالة قصيرة باسم « عقيدة ابن تومرت » نشرها — ضمن رسائل — الكردى بالقاهرة عام ١٣٢٨ هـ ، وهى أيضاً من نوع كتابه السابق من حيث صبغة البحث واتجاهاته ولم يكن فيها قطّ مبتكراً أو مجتهداً ، بل كان من هذه الناحية مقلداً لاشخصية له ، وقد انتهى إلينا أخيراً بعض رسائل أخرى له نشرت مع طائفة من أخباره بقلم تلميذه أبى بكر بن على الصنهاجى المعروف بابن البيدق بعناية العلامة « ليثى پروڤنسال » Provençal بعنوان « أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين » ، وقد جاء فى رسالة منها يوصى أتباعه :

« والذى نوصيكم به تقوى الله العظيم والعمل بطاعته ، والاستعانة به والتوكل عليه ، واتباع الكتاب والسنة ، وتعليم التوحيد فإنه أصل دينكم وبه تصلح أعمالكم ، والمحافظة على الصلوات فى أوقاتها فإنها عماد الإسلام ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واثمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، واقطعوا المداينة وسوء السيرة ، وعوايد الجاهلية ، والله والنياحة والسخط

(١) العجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ١٢٣

عند المصائب ، ولا تخالطوا أهل الفساد ولا تعاملوهم ، وتواصلوا فيما بينكم
ولا تقاطعوا ، وتحابوا ولا تدابروا ، واتفقوا ولا تختلفوا ، وتطاعوا ولا تفتزعوا ،
ولا تغتروا بالدنيا فإنها فانية وكل من عليها فان ^(١) .

وقبر ابن تومرت لا يزال موجوداً في « تينمل » ، أما اسمه وتاريخه فقد ابتلاههما
الماضى السحيق بين طواياه . ولعل نجاحه في دعوته هو الذى حفز بعض المغاربة
من بعده ، إلى أن يهجموا نهجه ؛ ففي أوائل القرن الثامن الهجرى خرج بسوس ،
في عصر السلطان يوسف بن يعقوب ، داعية يعرف بالتؤيزرى ، زعم أنه المهدي
وتبعه كثير من الدهماء ، ولكنه قتل غيلة وانقطع أمره قبل أن يعظم . وفي نهاية
القرن الثامن أيضاً خرج ناعق آخر اسمه العباس زاعماً هذا الزعم ، وهاجم مراكش
وأحرقها ولكنه قتل غيلة أيضاً .

(١) أنظر كتاب « تراجم إسلامية » لعبد الله عثمان ص ٢١٧

الفصل السابع

المهدية في العصر الحديث

يقول العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« وفي الأزمنة الحديثة نسبياً اشتد تعلق المسلمين بهذه العقيدة حتى من كان منهم غريباً عن التشيع؛ فسلمو التوقاز يؤمنون برجعة بطل استقلالهم « إيليا منصور » الذي ظهر قبل زعيمهم « شامل » سنة ١٧٩١ ، والذي لا بد أن يعود إليهم بعد قرن من طرد الروس ، ويعتقد أهل سمرقند برجعة أوليائهم ، كشاه زند وقاسم بن عباس ، كما ثبت أن الأكراد منذ القرن الثامن الهجري على الأقل ، يؤمنون برجعة زعيمهم المصلوب ، تاج العارفين حسن بن عدى » (١) .

ويقول Goldziher في موضع آخر من تعليقاته الممتعة على كتابه القيم

« العقيدة والشريعة في الإسلام » : Vorlesungen Uber Den Islam :

« وفي القرون الأخيرة ظهرت بعض الحركات الانشقاقية الدينية ذات الصلة الوثيقة بالفكرة المهدية ، وذلك بين مسلمى الهند ، وقد أثارها رجال ادعى كل واحد منهم أنه المهدي المنتظر ، ولا يزال أتباعهم يؤلفون جماعات وفرقاً مختلفة . وزعم هؤلاء المهديون أن انتظار المسلمين للمهدي قد انتهى بظهورهم ، وهذا هو السبب في تسمية هذه الفرق باسم « غير مهدي » أي أنهم قوم توقفوا عن الاعتقاد بظهور المهدي في المستقبل ، ومنهم فرقة الهدوية التي تحمل على مخالفتها في الرأي وتبالغ في بغضهم والتعصب عليهم . وقد أورد « سل » Sell في كتاب « ديانة الإسلام » تفصيلات دقيقة عن هذه الفرق . ولا تزال ذكرى أحد المهديين الهنود الذين عاشوا في نهاية القرن الخامس عشر عالقة بأذهان أهل مقاطعة كرمان (بلوخستان) .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٩٣ .

ويعارض السنّيون في هذا الأقليم (ويسمون الممازى لأنهم يؤدون الصلاة واسمها نماز) فرقة « ذكرى » التي ينتمى أغلب أتباعها إلى البدو من سكان البلاد ، وقد وصلوا مذهبهم وشعائرهم الحائدة عن التعاليم السنّية الإسلامية بأحد المهديين ، ويدعى الشيخ محمد الجونبورى ، الذى أخذ بعد نفيه من بلاد الهند فى التجوال من مكان إلى آخر وتوفى سنة ١٥٠٥ م فى « تيل هلمند » Tale Helمند وهم يشيدون دائرة من الأحجار فى ليلة القدر التي يقدسها أهل السنّة ، ويؤدون فى داخلها مناسكهم الزائفة ، ولذا يطلق على هذه الفرقة أيضاً اسم « دائرة والى » أى أهل الدائرة ^(١) .
ولعل أهم آثار لعقيدة « المهديّة » فى العصر الحديث ، هو قيام الدولة المهديّة فى السودان ، ونشوء « البايّة » و « البهائيّة » فى إيران ، و « الباريلية » و « الأحمدية » فى البلاد الهندية .

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ٣٤٣

محمد أحمد مهدي السودان

شخصية فذة من شخصيات التاريخ وعلم من أعلامه ، كرثته أحوال بلاده ، وما تردت فيه من انحطاط فكري وخلقى واقتصادى ، نتيجة لرزوحها تحت نير الاستعمار البغيض ، فنثار الرجل بمهديته لينقذ السودان من تلك الهاوية السحيقة ، ولقد عمر قلبه الإيمان العميق في حق بلاده أن تحيا ، فأعلنها على المستعمرين حرباً شعواء لا هوادة فيها ، خرج منها ظافراً منتصراً ، وفي فترة وجيزة جمع بين السودانين وألف بين قلوبهم ، وأشاع بينهم العدالة والطمأنينة والحياة الكريمة ، وخلق منهم أمة أبية تأبى الضيم وتستمسك بتعاليم الإسلام ، فمن هو هذا المهدي ؟

يقول الرواة : هو أبو عبد الرحمن ؛ محمد بن عبد الله ، بن خل بن عبد الولي ، ابن عبد الله بن محمد ، بن حاج شريف بن علي بن أحمد بن علي ، بن حسب النبي بن صبر ، بن نصر بن عبد الكريم ، بن حسين بن عون الله ، بن نجم الدين بن عثمان ، ابن موسى بن أحمد أبي العباس ، بن يونس بن عثمان ، بن يعقوب بن عبد القادر ، بن الحسن العسكري ، بن علوان بن عبد الباقي أبي صخرة ، بن يعقوب بن الحسن بن علي بن أبي طالب !...

هذا من جهة أبيه ، أما من جهة أمه زينب بنت نصر ، فتنتهى السلسلة فيما يقولون إلى العباس بن عبد المطلب !...

قال الرواة : وقد هاجرت أسرة المهدي العلوية ، من الجزيرة العربية فيمن هاجر من العلويين ، فراراً من المظالم والآلام التي كان يصبها على رؤسهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وفي عهد ابنه الوليد .

وقد اتخذت الأسرة وادي النيل مهاجراً لها ، فأقامت في القسطنطينية ما طابت لها الإقامة ، وبها مات أحد كبار رجالها المعروفين ، وهو نجم الدين بن عثمان ، ودفن عند باب الوزير وله هناك مقام يزار . ثم شددت الأسرة رحالها وواصلت رحلتها جنوباً

وقد طاب لبعض أفرادها المقام في « كشتمة » بين أسوان والدرّ ، ومن أشهر هؤلاء نجم الدين بن عون الله ، وظل باقي الأسرة وعلى رأسهم السيد نصر الدين بن عبد الكريم ، بين ظعن وإقامة وحل وترحال ، حتى انتهى بهم المطاف والتجوال إلى إقليم « دنقله » بالسودان ، فالتقوا عصا تسيارهم ، وقد سموا المكان الذي نزلوه « بالحنّاق » ، على اسم آخر قرية سكنوها بأعلى الصعيد ، وقد اتجه بعضهم إلى جزر هناك ثلاث ، فاستوطنوها وهي ضرار ، وللب ، وآب تركي ، ومن ثمّ عرفت هذه الجزر ، وما زالت تعرف إلى اليوم ، باسم جزائر الأشرف .

ومن هذا الإقليم العلوي « دنقلة » ، وفي أواسط القرن السابع الهجري ، سطع نجم أحد رجال هذه الأسرة المبرزين ، وهو السيد حاج شريف ، وطار ذكره وبعُد صيته وعُرف بالعلم والتقوى ، فقصدته الأتباع والمريدون زرافات ووحداً من كل فج عميق راكبين ورُجلاً ، وقد عمر هذا الشيخ طويلاً مستمتعاً بسطان روحى قوى ، وولد له من الذكور ستة ، أكبرهم السيد محمد جد المهدي من قبل أبيه ، ثم قضى الحاج شريف ، وما زالت له ولذراريه إلى الآن قباب بدنقله ، تعرف بقباب الأشرف يؤمها المريدون والأتباع .

وقد وُلد للسيد محمد بن الحاج شريف ولد ، أسماه عبد الله هو والد المهدي ، وكان صناعاً ماهراً ، حذق هو وبعض أفراد أسرته حرفة النجارة وصناعة السفن ، وكانت المنطقة التي يعيشون فيها بدنقلة لا تسعفهم بالأخشاب الصالحة لمزاولة مهنتهم ، فارتحل عبد الله هذا ومعه أسرته إلى مدينة « كرى » ، الواقعة على بعد خمسة عشر ميلاً شمالي « أم درمان » ، والتي كانت أخشاب غاباتها موأمة لمهنته ، وقد صحبه في هذه الرحلة التي لا تخلو من خشونة ، ولده محمد أحمد .

وظل عبد الله يزاول مهنته بمدينة « كرى » حتى عام ١٢٦٥ هـ = ١٨٥١ م حيث توفى تاركاً ولده محمداً في سن الخامسة ، ولسبب لانعلاه — ربما كان نقص الأخشاب أو مجرد الانتجاع والظعن ، حيث يدلنا تاريخ الأسرة على أنها كانت

بدوية رحالة لاتسكاد تعرف الاستقرار — هاجرت الأسرة بعد موت عاهاها عبد الله إلى الخرطوم ، وهناك راحوا يزاولون مهنتهم ببلدة « المنجرة » عند « المقرن » (اقتران النيل الأبيض بالأزرق) . وبعد سنوات ست من وفاة عبد الله ، لحقته زوجته « آمنة » والدة محمد أحمد عام ١٢٧١ هـ = ١٨٥٧ م ، ودفنت بمقبرة الخرطوم القديمة . ويقال إن قبرها معروف هناك من آثار ترشد إليه وتدل عليه .

أما ابنها محمد صاحب هذه القصة وخالق تاريخها ، فقد ولد ليلة السابع والعشرين من رجب عام ١٢٦٠ هـ = اكتوبر عام ١٨٤٥ م ، بدقلة بجزيرة « ليب »^(١) إحدى جزائر الأشرف الثالث ، وقد أطلق عليه والده عبد الله اسم « محمد أحمد » وظل يُعرف به إلى أن جهر بدعوى « المهديّة » في الثامنة والثلاثين من عمره ، حيث نقش على خاتمه « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، محمد المهدي بن عبد الله » .

لم ينعم صاحبنا بأبويه كثيراً ؛ إذ مات أبوه وهو في الخامسة ، وفقد أمّه وهو في الحادية عشرة . ولا يفوتنا أن نلاحظ هنا وجه التشابه بينه وبين الرسول صلوات الله عليه ، في اسمه وفي اسم أبيه ، وفي اليتيم الذي لقيهما بردائه ، بل وفي طريق هذا اليتيم نفسه ؛ حيث مات أبواهما أولاً ، ثم في كفالة الغير لهما ؛ فقد كفل الرسول جدّه عبد المطلب ، ثم عمه أبو طالب ، وكفل محمد أحمد ، أخوه الأكبر السيد محمد . وكل هذا التشابه الذي جاء دون شك وليد المصادفة البحتة ، قد استغله المهدي فيما بعد أوسع استغلال لنشر دعوته وتمسكها . وقد حاول هو أخيراً أن يزيد من وجوه التشابه هذه بينه وبين الرسول ، فتزوج بامرأة اسمها عائشة وكفّنها بأتم المؤمنين ...! وقد كان محمد أحمد ميالاً منذ طفولته لحياة التدين والزهد ، التي انحدرت إليه بذورها من جدّه الأعلى الشيخ الصالح السيد حاج شريف ، فالتحق بكتّاب شرقي النيل بقرية محاذية لمدينة « كبرى » ، ويدعى صاحبه « الفقيه الهاشمي » ، وكان مشهوراً في تلك الجهة بتعليم القرآن بغير أجر . وقد مكث فيه صاحبنا مدة ، خرج

(١) قال ابراهيم فوزي : لأنه ولد بجزيرة « الخناق » عام ١٢٥٠ هـ ، أنظر كتابه

« السودان بين يدي فردون وكتشنر » ص ١٠٠

بعدها ليلتحق بمدرسة لرجل من أهل « شنقيط » ، يدعى الشيخ محمود ، كان يعلم الناس الفقه وبعض العلوم الشرعية . بيد أن صاحبنا أيضاً لم يمكث طويلاً في هذه المدرسة ، بل أخذ طريقه إلى مكتب الشيخ محمد الضكير ، أحد معلمى الصبيان « بالقبش » وهى قبيلة صغيرة تسكن على ضفة النيل الغربية بإزاء « الخيرق » مركز مديرية « بربر » ، ويطلق عليها اسم « القبش » أى الزهاد المتقشفون . ويقال إن للشيخ محمد الضكير هذا ضلعاً كبيراً فى ادعاء تلميذه للمهدية ، وقد صار هذا الشيخ فيما بعد من أنصار المهدي المتحمسين وأعوانه الخالصين ، وقد أبدل المهدي اسمه فأسماه « محمداً الخير » .

وقد كان الشيخ محمد الضكير هذا على حظّ وافر من الصلاح والتقوى ، وإن كان على جهل تام باللغة العربية ؛ يقول إبراهيم فوزى :

« ونقل لنا أحد تلاميذه أنه لما تصدّر للتدريس ، كان ذا تحقيق فى مذهب إمام دار الهجرة مالك رضى الله عنه ، ومع هذا كان لا يعرف شيئاً من النحو والصرف وعلوم البلاغة ، فاحتقره تلاميذه وأسمعوه مرّات عديدة انتقاداتهم على جهله ، حتى إن أحدهم قال له يوماً : يا سيدى الشيخ إنك لا تعرف إعراب جاء زيد ، فكيف يليق بنا أن نتكوفّ حولك ! فى حين أن تكوفّنا هذا الطالب العلم وأنت مفتقر إليه أ أكثر منا ؟ ! فتأثر من هذا القول وقام من مجلسه ، وبعد صلاة العشاء دعا اثنين من خاصته وركبوا دوابهم بغير أن يشعر بهم أحد ، وقصدوا الخرطوم ومنها إلى ضواحي المسامية ، حيث اجتمعوا بالشيخ الحسين زهراء ، وقصّ عليه محمد الخير ما جرى له مع تلميذه ، فقال له : قد محضك والله النصيح . ثم انقطع لدرس النحو وعلوم البلاغة على الشيخ الحسين نحو عامين ، أدرك فيهما ما يدركه غيره فى أربعة أضعافهما ، ثم عاد إلى مزاولة دروسه فى بربر » (١) .

ولما أتم محمد أحمد دروسه على الشيخ الضكير ، نزعت نفسه إلى التصوف

(١) السودان بين يدي غردون وكتشنر > ١ ص ٣١٥

وتأقت إليه ، وقد انسابت في عروقه جراثيمه المنحدرة إليه من أسلافه ، فرغب في الانخراط في سلك الطريقة « السمانية » إحدى الطرق الصوفية المنتشرة وقتذاك في السودان ، والتي كان يمثلها الشيخ محمد شريف ، حفيد صاحب الطريقة الشيخ الطيب ، فقصده صاحبنا وسأله الدخول في مصاف أتباعه ومريديه ، فأجابه شيخ الطريقة إلى طلبته . وأقام المريد الجديد عنده منقطعاً للصلاة والعبادة ، متشحاً برداء التشف والزهد ، بطريقة لفتت إليه نظر شيخه ، فسال إليه بقلبه وأحبه ، فاصطفاه وقرّبه وأدناه .

ولما آنس محمد أحمد من نفسه القوّة على التدريس افتتح مكتباً لتعليم الغلمان القرآن الكريم ، ولكن يظهر أنه برّم بهذه الحرفة ، فأبطله ورغب إلى أستاذه أن يأذن له بالسياحة وإعطاء اليهود ، فأذن له ، فأخذ صاحبنا في التجوال وإعطاء اليهود على الطريقة السمانية ، وقد كثر تلاميذه ومريدوه كثرة منقطعة النظير ، حسده عليها شيخه محمد الشريف نفسه ، ثم انقلب الحسد إلى نفور وعداء في أوائل عام ١٢٩٥ هـ ، عند ما أخذ محمد أحمد في انتقاد أعمال أستاذه ، الذي كان يأذن للنساء في حضور مجلسه وتقيل يده ، وكان يسمح بالغناء والرقص ، مما رآه تلميذه غير متسق وتعاليم الإسلام ، وقد أحفظ ذلك عليه أستاذه ، الذي ضاق به ذرعاً وبرّم به ، واعتبره عاقلاً فخلعه من الطريقة . ويعتبر ذلك عند الصوفية كارثة كبرى ، فاجأ محمد إلى الملاينة والاستعطاف لله يحظى ثانياً بعطف أستاذه فيرجعه إلى الطريق ، ولكن عبثاً حاول وذهبت جهوده في هذا الصدد أدراج الرياح ، فقد كان غضب الشيخ عليه بالغاً أقصاه . ويقال إن بذور فكرة « المهديّة » كانت قد بُذرت في ذهن التلميذ في هذا التاريخ - ولعل لشيخه السابق الشيخ الضكير ضلعاً في ذلك - ويقال إن سبب النفور الذي وقع بين المريد وشيخه ، يرجع إلى أنه كان يجرّض شيخه الشريف على ادعاء « المهديّة » ، فلما امتنع الشيخ ورأى من تلميذه ميلاً لادعائها لنفسه ، نهره وعزله من الطريق .

لم يجد صاحبنا بداً بعد هذا من الذهاب إلى شيخ آخر لنفس الطريقة ، اسمه

الشيخ القرشي ، وكان بينه وبين الشريف منافسة ، فحشى هذا الأخير عاقبة الأمر ، ورأى أن من الحكمة أن يرضى عن تلميذه ، فاستقدمه ليجدد له العهد ، غير أن التلميذ الداهية رفض بإباء وشيم ، وقد كان لرفضه هذا ضجة كبرى في آذان أهل السودان ، وارتفع على أثره قدره وعلت منزلته .

جدد محمد أحمد العهد على الشيخ القرشي ، الذى كان بالغاً من العمر وقتئذ تسعين عاماً ، وكان فاقداً لقواه العقلية ، ويؤكدون أنه ذو يدٍ كبرى في تدبير دعوى « المهديّة » والتهميد لمحمد أحمد بانتحائها ، بما أخذ يشهد له به من الشهادات الحسنة ، التى كان يدعى أنه يتلقاها عن طريق الكشف والاطلاع على الغيب ، ولم يلبث القرشى أن مات ، فبالغ أتباعه في إكرام محمد نكايته في الشريف ، فزاد ذلك اشتهاً . وقد ترك الشيخ القرشى وصية جاء فيها : « إن زمن ظهور المهدي المنتظر قد حان ، وإن الذى يشهد على ضريحى قبة ويحتن أولادى ، هو المهدي المنتظر ^(١) » فلما سمع محمد أحمد بذلك — وقد كان عائداً من سياحة أخرى يبيت فيها بذور دعوته — طار فرحاً وشيد القبة وختن أنجال الشيخ القرشى ، بعد أن أخذ اليهود والمواثيق على الناس بتصديقه فى دعواه قبل أن يصدع بها .

وكان السودان إذ ذاك يرزح تحت نير الحكم التركى الفاشم المستبد ، الذى لم يُثبت قط صلاحيته فى أى بلد ابتلى به ، ولا غرو فالأتراك سلالة المغول ، يجمعهما العنصر الطوراني ، وهو عنصر تترى هدام ، إذا هبّت موجة منه قضت على حضارات بأسرها ، وقد كان جباة الأموال فى السودان يلهبون ظهور الجماهير بالسياط ، ويستنزفون ما عندهم من صباية مال أو بقية متاع ، فى شىء كثير من القسوة والوحشية ، مما هبط بالمستوى الاقتصادى فى البلاد إلى حدٍ خطيرٍ أنذر بالتحط والجذب والدمار والخراب ، وأشاع السخط والتذمر والاستياء فى نفوس الضحايا القاطنين . وقد استغل صاحبنا محمد أحمد هذا الحال لحسابه وصالحه ؛ فكان إذا ذُكر

(١) السودان بين يدى غردون وكتشنر لإبراهيم فوزى - ١ ص ٧٤

بمجلسه الضيق الذي شمل السودانين من ظلم الجباة ، سارع بأسلوبه الجذاب وحديثه الشائق ، فنسب ذلك كله - بلباقة وبراعة - إلى فساد الزمن وضلال الناس عن سواء السبيل ، وحيدتهم عن الطريق القويم ، وأخذ يبيث في نفوس الناس أن الله سبحانه سيجعل لهم من بعد شدة فرجاً ، ومن بعد عسر يسراً ، على يد رجل صالح يبعثه الله تعالى ليصلح ما فسد ، ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، هو المهدي المنتظر . . . ! وهكذا استطاع محمد أحمد أن يمهّد لدعوته ويهيء النفوس لمهديته . ولقد بلغ من اهتمام الناس بحديث « المهدي » هذا ، أن صار سمرهم في مجتمعاتهم ، وشغلهم الشاغل في حياتهم ، وأملهم المستقبل كلما ذكروا ما يقاسونه من ضيق وضنك وما يعانونه من عسف وجور .

ولقد حدث أن جاء أحد المشتغلين بالتنجيم وكتابة الأحجبة من أهل « البقارة » واسمه عبد الله التعايشي ، وكان أميراً بأساً يأساً من حياته ، جاء إلى المهدي وهو يشيد قبة شيخه القرشي « وحينما وقعت عينه عليه خيراً على الأرض مدعيماً أنه أغنى عليه ، وبعد حين رفع رأسه فسأله الحاضرون عن سبب إغتمائه فقال : نظرت أنوار المهديّة على وجهه فصعقت من شدة تأثيرها على حواسي . . . !^(١) » وهكذا أكد التعايشي لمحمد أحمد أنه هو « المهدي » وحثه على الظهور والجهر بالدعوى .

والحق أن التعايشي هذا ، كان قد برم بحرفته التي ورثها عن أمّه أمّ نعيم وضاق بها ، وكانت تجول في نفسه مطامع كبيرة ، لا تستطيع هذه الحرفة الحقيرة المحدودة الموارد أن تملأ به إليها ، فتقرب إلى محمد بهذا الحديث ، الذي صادف هوّى في النفس ، ولم يلبث صاحبنا بعد نجاحه في دعوته أن حفظ له هذه اليد الطولى في إشعال اللهب ، وذكراها له فقرّبها وأدناها ، وجعلها أكبر خلفائه من بعده ، وأعطاه مرتبة الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، فأثار هذا الصنيع سخط أتباعه ، حيث كان التعايشي من الجهل والأمية في درجة لا تسمح له بالوصول إلى هذه المرتبة ، فكثرت

(١) السودان بين يدي غردون وكتشنر - ص ٧٥

اللفظ واشتد القيل والقال ، فما ازداد المهدي إلاّ تمسكاً بصاحبه ، بل رفع مكانته إلى مرتبة العصمة في القول والعمل ، وزعم أن الرسول نفسه قد أشار إليه ، وأن الله قد اختاره واصطفاه ...!

ولا يسعنا إلا أن نورد هنا نص الكتاب الذي طلع به المهدي على الناس بهذه الدعاوى ، ليهدي من ثأرتهم ويُسكت من ألسنتهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، وبعد فمن العبد المقتدر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله ، إعلاماً منه إلى كافة عباد الله المؤمنين بالله وكتابه .

« أما بعد : اعلموا أيها الأحباب أن الخليفة عبد الله خليفة الصديق ، المقلد بقلائد الصدق والتصديق ؛ فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش المهديّة ، المشار إليه في الحضرة النبوية ، فذلك السيد عبد الله بن السيد محمد ، حمّد الله عاقبته في الدارين ، فحيث علمتم ذلك يا أحبابي أن الخليفة عبد الله هو مني وأنا منه ، وقد أشار إليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فتأدّبوا معه كتأدّبكم معي ، وسلّموا إليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي ، وصدقوه في قوله ولا تتهموه في فعله ، فجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو بإذن منّا ، لا بمجرد اجتهاد منه ، ولا هو عن هوّى ، بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم ، والقضاء بإشارته ، فإن فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك . واعلموا يقيناً أن قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » .

« فن كان في صدره حرج لأجل حُكمه ، فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته ، وذلك بشاهد قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّوك فإيا شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » .

« ولا شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله ، سيما بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي » الخ الحديث .

« مع أنه خليفة الصديق^(١) وأول المصدقين في المهديّة ، فانظروا المكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن العظيم ، وانظروا المكانة من أورثه الله مكان الصديقين ، ووازره بالباطن بالخضر عليه السلام ، فهو مسدّد مؤيد من الله ورسوله ، ويد من أيدي الله لنصر دينه ، بإشارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد في فضله كثير ؛ فحيث فهمتم ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الإيمان .

« واعلموا أن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب ، لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ؛ ولو كان حكمه على قتل نفس منكم ، أو سلب أموالكم فلا تعترضوا عليه ، فقد حكمه الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا ، لتصفى قلوبكم وتقبلوا إلى ربكم . ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسى جزماً ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله ؛ لأنه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ، وقال عليه السلام : « ما طلعت شمس على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر » .

(١) قسم المهدي أصحابه طوائف ، فجعل منهم أربع خلفاء راشدين ، تكلفاء الرسول الراشدين الأربع ، وجعل التمامشى خليفته الأول ، وأحله محل خليفة الرسول الأول ، أبي بكر الصديق . ومن الظريف ما حدثنا به إبراهيم فوزي ، إذ يقول :

« ودخل عليه (المهدي) مرة شاعر ينظم أشعاراً باللغة العامية يدعى ابن التويم ، وكان يتغالى في مدح المهدي ، حتى أفنى كثير من العلماء بكفره ، وأسرروا فتوَاهم ، حيث أيقنوا أنهم إن أظهروها ، حكم عليهم بالكفر وقتلوا شرفقتة ، وقال للمهدي : أطلب منك إعطائي مقاماً ، فقال له : أعطيتك مقام حسان بن ثابت رضى الله عنه ، فخفته العبرة وبكى ، وقال : ياسيدي ، إن حسان كان شاعراً مثلي ، ولكنه كان جباناً ، لا يقاتل مع مولاة ، وأنا شجاع ، اخترق صفوف القتال ، وأنا قائد عشيرتي ، فكيف أرضى بمقام حسان ؟ فقال له المهدي : قد أضفنا لك مقام خالد بن الوليد رضى الله عنه على مقام حسان ، فأنت إذأ حائز المقامين ، فاستبشر وقبل يد المهدي ... ، ومنح أحد الموالى مقام زيد بن حارثة ، وسمى نساءه بأسماء المؤمنين ... » أنظر

« السودان بين يدي غردون وكشتر » - ص ١٤٦

« وحيث علمتم فهو بمنزلة الآن ؛ لأن أصحابنا كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المذكور خليفةنا في الدين ، وخلافته بأمر النبي صلى الله عليه وسلم . فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصداقاً بمهديتي ، فليسلم للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً ، وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر ، فاحملوه على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن ، واعتبروا يا أولى الأبصار بقصة موسى والخضر عليهما السلام ، حكاها الله في كتابه العزيز كحكم داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ، لتسلموا من الشكوك والأوهام .

« وإنما أنذرتكم بهذا رحمة لكم وشفقة عليكم ، وليبلغ الشاهد منكم الغائب ؛ لئلا تسبوه وتنسبوا إليه الظلم والجور فتهلكوا ، فاحذروا من أذية أولياء الله ، فإنها أذية الله ورسوله ، وقد لعن الله ذلك في كتابه فقال : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » كما قال : « من آذى لي ولياً آذنته بالحرب »^(١) فإن الله غيور على أوليائه ؛ فقد علمتم أنه ورد : « من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند الله من أن يؤذى ولياً من أوليائه » .

« وإن الخليفة هو قادة المسلمين ، وخليفتنا النائب عنا في جميع أمور الدين ، وإياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال إليه في قوله والمشاجرة له أو لأحكامه والخلاف والحسد ، فتوبوا إلى الله وارجعوا قبل أن تذهب حسناتكم ، وتسلموا ثواب الإيمان .

« وإنما حملني على هذا البيان النصيحة في الله ، وحمایتكم من الوقوع في هاوية الأنفس والأمانى ؛ فمن تاب تاب الله عليه ، ومن عاد فينتقم الله منه ويسلط عليه .
« وهذا أمر الله ورسوله ؛ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والسلام »^(٢) .
وهكذا استطاع المهدي أن يخرس الألسنة ، التي كانت قد تناولت خليفة

(١) حديث قدسي .

(٢) « السودان بين يدي غردون وكتشنر » لإبراهيم فوزي ، ص ١٦٩

الجاهل بشيء من النقد اللاذع غير قليل ، وإن كانت قد أحفظت عليه القلوب
وملاتها حقداً وبغضاً .

* * *

ابتدأ محمد أحمد في أواسط عام ١٨٨١ ، يُسر بدعوته إلى تلامذته الكثيرين ،
فلاقت ذبوعاً وانتشاراً قام على أثره بسياحة في أنحاء السودان ، يبشر فيها بدعوته
ويبثها سرّاً بين رؤساء القبائل وزعماء العشائر ، وأخذ يوحى إلى الجماهير في منشوراته
أنه مكلف بأداء هذه الرسالة من قبل السماء ، وأن العناية الإلهية قد اصطفته واختارته
وهي تحوطه وترعاه حتى يبلغ الدعوة ، وأن محمداً عليه السلام هو الذي يأتيه بالأخبار
من السماء ويرسم له أمر دعوته وطريق السير فيها . . . !

ونحن نسوق هنا بعض كتبه في هذا الصدد ، يقول المهدي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالي الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد
وآله مع التسليم وبعد :

« فن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله ، إلى أحبابه في الله المؤمنين
بالله وبكتابه ، أما بعد :

« فلا يخفى تعبير الزمن ، وترك السنن ، ولا يرضى بذلك ذوو الإيمان والنطن ،
بل أحق أن يترك لذلك الأوطار والوطن ، لإقامة الدين والسنن ، ولا يتوانى عن
ذلك عاقل ؛ لأن غيرة الإسلام للمؤمن تجبره .

« ثم أحبابي — كما أراد الله في أزاله وقضائه — تفضل على عبده الحقير الدليل
بالخلافة الكبرى من الله ورسوله ، وأخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأني
المهدي المنتظر . . . ! وخلفني — عليه الصلاة والسلام — بالجلوس على كرسيه مراراً ،
بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام . . . ! ، وأيدني الله تعالى
بالملائكة المقربين وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم إلى زماننا هذا . . . ! وكذلك
المؤمنون من الجن ، وفي ساعة الحرب يحضر معهم أمام جيشي سيد الوجود صلى الله

عليه وسلم بذاته الكريمة ، وكذلك الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام ،
وأعطاني سيف النصر من حضرته صلى الله عليه وسلم ، وأعلمت أنه لا يُنصر علىّ معه
أحد ، ولو كان الثقلين الإنس والجن . . . !

« ثم أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن الله جعل لي على المهديّة علامة
وهي الخال على خدى الأيمن ، وكذلك جعل لي علامة أخرى ، تخرج راية من نور
وتكون معي في حالة الحرب ، يحملها عزرائيل عليه السلام ، فيثبت الله بها أصحابي
ويُنزل الرعب في قلوب أعدائي ، فلا يلقاني أحد بعداوة إلا خذله الله . . . !

« ثم قال لي صلى الله عليه وسلم إنك مخلوق من نور عنان قلبي . . . ! فمن له
سعادة ، صدّق بأبي المهدي المنتظر ، ولكن الله جعل في قلوب الذين يحبون الجاه
النفاق ، فلا يصدقون حرصاً على جاههم ؛ قال صلى الله عليه وسلم : حب المال والجاه
يُنبتان النفاق في القلب كما يُنبت الماء البقل ، وجاء في الأثر : إذا رأيت العالمَ يجب
الدنيا فاتهموه على دينكم ، وجاء في بعض كتبه القديمة : لا تسأل عنى عالماً أسكره
حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتي فأولئك قطاع الطريق على عبادي .

« ولما حصل لي يا أحبابي من الله ورسوله ، أمرُ الخلافة الكبرى ، أمرني
سيدُ الوجود صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى ماسة بجبل قدير . وأمرني أن أكتب
بها جميع المكلفين أمراً عاماً ، فكانت بنا بذلك الأمراء ومشايخ الدين ، فأنكر
الأشقياء وصدّق الصديقون ، الذين لا يبالون فيما لقوه في الله من المكروه ، وما فاتهم
من المحبوب المشتهى ، بل هم ناظرون إلى وعده سبحانه وتعالى بقوله : « تلك الدار
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

« وحيث إن الأمر لله ، والمهديّة أرادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمد
المهدي بن عبد الله ، فيجب بذلك التصديق لإرادة الله ، وقد اجتمع السلف والخلف
في تفويض العلم لله ، فعلمه سبحانه لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفنيين ،
بل يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمُّ الكتاب ، قال تعالى : « ولا يحيطون بشيء

من علمه إلا بما شاء ، « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » ، « لا يُسأل عما يفعل » ، « يخلق ما يشاء ويختار » ، « يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

« وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي في تفسيره على القرآن العظيم ، علم المهدي كعلم الساعة ، والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة إلا الله ، وقال الشيخ أحمد بن إدريس : كذبت في المهدي أربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله (؟) ، ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه .

« وهذا لا يخفى عليكم أن التأليفات الواردة في المهدي ، منها الآثار وكشف الأولياء وغير ذلك ، فيختلف كل منها ، كما علمت من أنه يمحو الله ما يشاء (الآية) ومنها الأحاديث ، فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع ، بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح ، والصحيح ينسخ بعضه بعضاً ، كما أن الآيات تنسخها الآيات ، وحقيقة ذلك على ما هي عليه ، لا يعرفها إلا أهل المشاهدة والبصائر .

« هذا وقد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله — كررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات — . . . ! وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي على المهدي الخ ، فقد أخبرني به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة في حال الصحة ، وأنا خالٍ من الموانع الشرعية ، لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون ، بل متصف بصفات العقل ، أقفوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر فيما أمر به والنهي عما نهى عنه . . . ! !

« والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتاباً رسنة ؛ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحميكم » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة ، وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام » ، وإلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

« وإجابة داعي الله واجبة ؛ قال تعالى : « واتبع سبيل من أناب إلىّ » ، فإذا فهمتم ذلك ، فقد أمرنا جميع المكلفين ، بالهجرة إلينا لأجل الجهاد في سبيل الله ، أو إلى أقرب بلاد منكم ؛ لقوله تعالى : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » فمن تخلف عن ذلك ، دخل في وعيد قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم الخ ، وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثناقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » الخ الآيتين .

« فإذا فهمتم ذلك فهموا للجهاد في سبيله ، ولا تخافوا من أحد غير الله ؛ لأن خوف الخلق من غير الله يعدم الإيمان بالله ، والعياذ بالله من ذلك ؛ قال تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشوني » وقال تعالى : « والله أحق أن تخشوه » ، لا سيما وقد وعد الله في كتابه العزيز بنصر من ينصر دينه ؛ قال تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وقال تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله » ، وحيث إن لم يجيبوا داعي الله وتبادروا لإقامة دين الله ، تلزمكم العقوبة عند الله تعالى ، لأنكم أدلّة الخلق وأزمتها ، فمن كان مهتماً بإيمانه شقيقاً بدينه حريصاً على أمر ربه ، أجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه .

« وليكن معلومكم أني من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأبي حسني من جهة أبيه وأمه ، وأمي كذلك من جهة أمّها ، وأبوها عباسي . . . ! والعلم لله أن لي نسبة إلى الحسين . . . ! وهذا (كذا) المعاني الحسنان ، تكفي لمن أدركه بالله الإيمان ، فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها ، وهذا والسلام^(١) . . . » .

ومهما يكن من شيء ، فقد صادفت دعوة المهدي ذبوعاً ونجاحاً ، كان دون ريب لحاله البلاد السياسية والاقتصادية اليد الكبري فيه ؛ فقلوب الناس متفتحة ونفوسهم عطشى وأذانهم مرهفة وآمالهم معلقة ، وقد عمهم القحط والجذب والظلم والبلاء ، حتى لم يعد في النفوس الصابرة منزع لمصطبر ، وقد بلغ الحزام الطيبين ، وأنا لنرى بعض شيوخ القبائل يقول للمهدي :

(١) انظر الفصل الخاص بمهدي السودان في كتاب نعوم شقير « تاريخ السودان القديم والحديث »

« أبايعك على المهديّة ، وإن لم تكن مهدياً . . . ، أبايعك على قتال الحكومة
وخلع طاعتها ^(١) » .

والحق أن صاحبنا محمداً كان بالنسبة للسودان مبعوثاً من قبل السماء ، أعاد
للسودانيين الإنسانية والكرامة والحرية ، وجنّدهم حرباً على المستعمرين فأعطاهم
دروساً قاسية لم ينسوها أبداً ، وإنه ليعدّ دون شك « باعث الحياة » في السودان
أو « منقذ السودان » أو إن شئت « مهدي السودان » .

علم محمد الشريف الشيخ السابق لصاحبنا محمد أحمد بهذا الحدث الهائل ، فسارع
— تدفّعه دون شك أحقادَه على تلميذه العاق — بإبلاغه إلى الحكومة التي كرّتها الأمر
فدارت بينها وبين محمد أحمد مكاتبات ، انتهت بإعلان محمد لمهديته وجهره بدعوته
عام ١٢٩٨ هـ ، وأرسل إلى أتباعه منشوراً يحثّهم فيه على الهجرة إليه يقول فيه :
« جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة (كذا) ومعه الخلفاء الراشدون

والأقطاب والخضر عليه السلام . . . ! ! ، وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني على
كرسيه وقال لي : أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد كفر . . . ! ، وأن
الترك كفر وهم أشد الناس كفراً ؛ لأنهم ساعون في إطفاء نور الله ويأبى الله إلا أن
يتم نوره ولو كره الكافرون ، وأخبرني صلى الله عليه وسلم بأن النصر يسير بين يديّ
أربعين ميلاً ، وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر بذاته الكريمة أمام جيشي ومعه الخلفاء
الراشدون . . . ! ، وأن الله تعالى أيدني بالأولياء والشهداء والصالحين من لدن آدم عليه
السلام إلى زماننا هذا ، ومؤمني الجن يجاهدون معي ، ولا يهزم لي جيش ، وأن الله
ناصري ومؤيدي على كل من حاربنى من الثقلين ، وأن أصحابي كأصحابه صلى الله
عليه وسلم ، وعامتهم أكبر مقاماً في دار الخلد من الشيخ عبد القادر الجيلبي . . الخ. ^(٢)
ولم يكده يمضي عام ١٨٨٢ حتى كان السودان بركاناً ثائراً وأتوتناً مستقرراً ،
ينادي باسم المهدي محمد أحمد ، وقد جاءه الناس أفواجاً يتزاحمون ، يتدافعون
بالمناكب يبايعون . وهالك صورة البيعة :

(١) السودان بين يدي غردون وكتشنر - ص ١٠٥

(٢) المصدر السابق ص ٧٧

« بسم الله الرحمن الرحيم .

« الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، أما بعد :
فقد بايعنا الله ورسوله ، وبايعناك على توحيد الله ، وألاّ نشرك به أحداً ،
ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نأتى بهتان ، ولا نعصيك فى معروف . بايعناك على زهد
الدنيا وتركها ، والرضى بما عند الله والدار الآخرة ، وعلى ألاّ نفرّ من الجهاد » (١) .
وهكذا ابتداء ذلك الصراع الدموى الطويل بين المهدي والحكومة ، كان صاحبنا
يخرج منه دائماً أصعب عوداً وأصعب مكسراً وأكثر نفراً ، بما يجرزه فيه من نصر
مبين ، وقد أخفقت الحكومة فى مقاومتها ، وخسرت فى هذا المعترك كثيراً من رجالها .
وبقتل « هيكس » والقضاء على حملته ، أخلت الحكومة المصرية السودان بمشورة
انجلترا ، وأصدرت بذلك قراراً بتاريخ ٨ يناير عام ١٨٨٤ ، ولم يجد المهدي بعد ذلك
مقاومة تذكر ، ففتح الخرطوم وقتل غردون ودان له السودان بالطاعة ، فدبت فيه
الحياة بعد موت ، وأخصب بعد جذب ، وأورق بعد أن صوّح .

وقد طمع المهدي بعد ذلك فى فتح مصر ، فبعث بإندارين أحدهما إلى الخديو
توفيق والآخر إلى المصريين ؛ فكتب إلى توفيق يعده ويتوعده ، ويسجل عليه
خضوعه للمشين للإنجليز ويمدّ له يده للتعاون على إخراجهم من وادى النيل ، فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، وبعد :
« فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله إلى خديو مصر :
« لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره أن الدين الذى يكون المتمسك
به ناجياً عند الله هو دين الإسلام ، الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،
ونزل به القرآن من الملك العلام ؛ قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ، وقال
تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

(١) تاريخ مصر الحديث لجرى زيدان > ٢ ص ٢٨٣ الطبعة الثانية .

« وما سوى ذلك من الأديان فضلال يدعو الشيطان إليه حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ، ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين الخبيث والطيب ، لا ينبغي له أن يصرفه إلا فيما ينتج خلاصه عند الله ، يوم تزل الأقدام ويشيب الطفل ويشتد الزحام ، وإلا كان أسوأ من البهائم حيث أضاع حكمة تركيب العقل فيه ، ولا سبيل إلى السلامة عند الله إلا اتباع دينه ، وإحياء سنّة نبيه وأمينه ، وإماتة ما حدث من البدع والضلال ، والإجابة إليه تعالى في كل الأحوال . وقد تأكد ذلك في هذا الزمان الذي عمّ الفساد فيه سائر البلدان ؛ فإن دسائس أهل الكفر التي أدخلوها على أهل الإسلام ، وضلالاتهم التي مكّنوها من قلوب الأنام ، قد أفضت إلى اندراس الدين ، وعطلت أحكام الكتاب والسنة بيقين ، فصارت شعائر الإسلام غريبة بين الأنام ، وتراكت الظلمات ، وانتشرت البدع ، وأبيحت محارم الإسلام ، واشتد الكرب على أهل الإيمان ؛ فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر اتراكم البغي والعدوان .

« فعند ذلك أظهرني الله طبق الوعد الصادق ؛ رحمة لعباده لأنقذهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ، وأدلمهم إلى الله على هدىً منه وتبيان ، وطوقني بالخلافة الكبرى المهديّة ، وخلع عليّ حللها البهيمية ، وبشرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على كل من يعاديني ولو كان الثقلين ، وبأن من يقصدني بعداوة يحذله الله في الدارين ، وقلدني سيف النصر ، وأيدني بقذف الرعب في قلوب أعدائي ، يسعى أمامي أربعين ميلاً وأخبرني بأني أملك جميع الأرض ؛ وبأن من شك في مهديتي فقد كفر بالله ورسوله . . . ! ونفسه وماله غنيمة للمسلمين ، وبأن الله قد أيدني بالملائكة الكرام وبالجن والأولياء أحياء وأمواتاً ، وهكذا من البشارات والعجائب التي يطول شرحها ، وكل ذلك بحضرة الملائكة المقر بين والخلفاء الأربعة والخضر عليه السلام . . . !

« وما كنت أترب هذا الأمر لنفسي ولا سألت الله إياه ، بل كنت أسأله أن يجعلني مُعيّناً لمن يقوم به ، فلما أراد الله ما كان ، وحتم الأمر عليّ من سيد

الأكوان ، قت بأعباء هذه الجمالة ، واعتصمت بالله وتوكلت عليه ، وأخبرت الحكمدارية بأني المهدي المنتظر ، وقد كان بها محمد رؤوف ، وما تركت لأهلها في إيضاح هذا الأمر شيئاً ، وأنا في انتظار الاختبار ، وتسليم الأمر لله الواحد القهار .

« فما كان منهم إلا أن ضربوا عما أخبرتهم به صفحاً ، وطوّوا عن قبوله كشحاً ، وبادروني بالحاربة من غير روية ولا تثبت في هذا الأمر الديني الذي جئتهم به من خير البرية ، فأيدني الله عليهم كما وعدني .

« وهكذا صارت جيوشك تأتيني ثلثة بعد ثلثة ، وأقدم لهم الإنذارات ولم تنفعهم ، والله يؤيدني وينصرني عليهم كما وعدني ، ويقطع دابرهم ، إلى أن قلت حيلتك وتلاشى أمرك ، فسلمت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأعداء الله الأنكليز ، وأحلت لهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، فجاء الإنكليز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم على غير الله ، فلما سوّل الشيطان لهم إدراك غرورهم بالخرطوم ، وأيست من هداية أهله ، وعلمت أن تكرار الإنذارات لا ينفعهم ، وحقّت عليهم كلمة العذاب ، وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » الآية ، مجّل الله بفتححه وإهلاك من فيه ، وأحرق النار أجسامهم عياناً كالذين من قبلهم إظهاراً للحقيقة وتعجيلاً للعقوبة ، وصدق عليهم قوله تعالى : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » الآية .

« ثم أنذرت الإنكليز فلووا رؤوسهم ، فوجهت إليهم طائفة من الأنصار ، فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا هاربين ، بعد أن أهلك منهم من أهلك وشتت شملهم ، وهذا كله ليس بخاف عليك ، ولا زال حزب الله مقتفياً أثر باقيهم ، وعن قريب يحل به من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر .

« هذا . وإن المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع مافي الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ، ولا يأسف على ما فات من ملكها الذي ماله إلى الزوال وعظيم النكال ، وإنما يكون مطمح نظره إلى ما عند الله من النوال في دار الكرامة والإفضال ؛ فإن الدنيا لو بقيت للأول لم تنتقل للآخر .

« ومن هنا تعلم أن هذا الملك لم يصل إليك إلا بموت أو عزل من كان قبلك ، وهو خارج من يدك بمثل ما صار إليك ، وحيث كان الأمر كذلك فلا ينبغي لك ، إن كنت ترجو من الله نعيم الأبد ، أن تأسف على ما فاتك من الدنيا ، ولو كان الدنيا مجذافيرها . فدقق النظر وأجمع عليك فكرك ، وتدارك نفسك ، واسع فيما ينجيك عند ربك إذا تمثلت بين يديه ، وسألك عما جرى منك ، وسلم الأمر إليه تسلم .

« وما كان يحسن منك أن تتخذ الكافرين أولياء من دون الله ، وتستمع بهم على سفك دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أفلم تسمع قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم » الآية ؟ وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوكم وأولياء تلحقون إليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » الآية ؟ وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » الآية ؟

« وما هذه الطاعة لأعداء الله ؟ والله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله » إلى أن قال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » الآية ؟

« فإذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ، ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على نعيم آخرته ، فاعتبر بذلك وبادر إلى النجاة والسلامة المعقبة وهي سلامة الإيمان ، ونزهة نفسك عن أن تكون في أسر أعداء الله دائماً ، ولا تهلك من كان معك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، واغسل ما جرى منك بدموع الندم ، ولا تكثر بجاه الدنيا الفاني ولا بملكها الزائل فإن لله داراً خيراً منها ، وقد أعدها لعباده المتواضعين لجلاله ؛ قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » الآية .

« وإياك والركون إلى أقوال علماء السوء الذين أسكروهم حب الجاه والمال ، حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فيهلكوك كما أهلكوا من قبلك ؛ ففي الحديث القدسي : « لا تسأل عنى علماً أسكركه حب الدنيا فيصدك عن طريق ، أو أئتك قطاع الطريق على عبادى » ، ولا تغتر بقوة حصن بلدك ، وكثرة أسلحتك وعددك الظاهرية ومظاهرة أهل الكفر لك ، فإنها لا تغنى عنك من الله شيئاً ، وكم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعه ، من هو أشد منك قوة وأكثر جمعاً لما بغوا وعتوا فى الأرض مفسدين .

« وليكن فى علمك أن أمرنا هذا دينى مبنى على هدًى من الله ، ونورٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومؤيد من عند الله بجنود ظاهريه وباطنيه ، وما قصدنا فيه إلا إحياء الدين ، وإظهار آثار الأنبياء والمرسلين ، ولا نريد مع ذلك ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً ، فإن نور الله بصيرتك وخالقت النفس الأماره بالسوء ، وقبلت هدينا وأنبت إلى الله بنية خالصة ، فعليك أمان الله ورسوله وأماننا ، وما بيننا وبينك إلا المحبة الخالصة لوجه الله تعالى ، وتكون نحن الجميع يداً واحدة على إقامة الدين ، وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين ، وقطع دابرهم واستئصالهم من عند آخرهم إن لم ينيبوا إلى الله ويسلموا .

« وقد حررت إليك هذا الكتاب ، وأنا بالخرطوم ، شفقةً عليك ، وحرصاً على هدايتك فأرجو الله أن يشرح صدرك لقبوله ، ويدلك على صلاحك ورشادك فى الدارين . وها أنا قادم إلى جهتك بجنود الله عن قريب إن شاء الله تعالى ، فإن أمر السودان قد انتهى ، فإن بادرتنى بالتسليم لأمر المهديه ، والإجابة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية ، وأمنت على نفسك ومالك وعرضك ، أنت وكافة من يجب دعوتنا معك ، ولا بد من وقوعك فى قبضتنا ولو كنت فى بروج مشيدة .

« وهذا إنذار مني إليك ، وفيه الكفاية ، لمن أدركته العناية ، والسلام على من اتبع الهدى » (١) .

وبعث المهدي إلى أهل مصر يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالي الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد :
« فن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله إلى كافة سكان مصر حكماً
وتجاراً وعمداً وغيرهم ، وفقهم الله وهداهم ، ولرشادهم ولاّهم . آمين .
« أهدى لكم السلام ، وأعرفكم أن النجاة من عذاب الله إنما تكون للتمسك
بدينه ، الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيتم ما ناله من الاندرا
الذي لا يخفى ، ولما أن أراد الله إحياءه وإظهار شعائره أنجز موعد نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم فأظهرني بالخلافة المهديّة ، وأمرني بدعاية الخلائق إلى العمل بالسنة المرضية .
« ومن عهد ظهوري بهذا المظهر الديني ، ما زالت دولة الترك تجيش جيوشها ،
وترسل رجالها لمحاربتي من غير استناد إلى دليل شرعي ولا حكم مرعي ، بل رغبة
في ملك الدنيا الفاني ، الذي مآله الحسرة والندامة ، وجلب عذاب الله يوم القيامة ،
وما زال الله يؤيّدني وينصرني عليهم نصراً من عنده لا بحولي وقوتي ، وقد أهلك
الله جميع عساكرهم الذين بالسودان على يدي ، وأحرقهم بالنار عياناً ، شاهدم جميع
من رآهم حين قتالهم الله بسيفي وما ذلك إلا إظهار لكفرهم وتعجيل لعقوبتهم .
« ولا شك أن جميع ذلك قد بلغكم ، وتواتر إليكم من الواردين ، وما زلت عن
الحق معرضين ، وعلى حب حطام الدنيا الخسيس عاكفين ، مع علمكم بأن الله قد ذم
هذه الدنيا في جميع كتبه السماوية ولا سيما القرآن فقد أكثر من ذمها فيه ، ويكفي
من ذلك قوله تعالى : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ وهوٌ وزينةٌ وتفاخر بينكم وتكاثر

(١) السودان بين يدي غردون وكتشتر لإبراهيم فوزي > ٢ ص ٤٦

في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، ، وقوله تعالى : « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان » . ولعظم شأن الآخرة عنده أعدّها لعباده المؤمنين ، وجعل لهم فيها من النعم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم ، ودعاهم إليها بقوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » الآية .

« وحيث فهمتم خسة هذه الدار الفانية ، وعظم تلك الدار الباقية ، فيلزمكم الإعراض عن هذا الفاني الخسيس ، والمسارة إلى حوز نعم الأبد النفيس ، ولا يخفى عليكم ما حصل منكم من التفريط في جنب الله ، وتربص الدوائر بحزب الله بالركون إلى محبة نصره أعداء الله ، ومع ذلك فقد ساءلناكم في جميع ما جرى منكم إن بادرتم إلى إجابة دعوتنا والانتظام في سلك أصحابنا أول وصول كتابنا هذا إليكم ، ولا نقول لكم إلا كما قال يوسف عليه السلام لإخوته : « لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » .

« وليكن في علمكم أن أمر السودان قد انتهى ، ونحن قادمون على جهتكم بحزب الله قريباً إن شاء الله . وما كاتبكم بهذا الكتاب إلا شفقة عليكم ، وخوفاً من أن يحل بكم من العذاب ما حلّ بإخوانكم الذين خالفوا أمرنا ، وغرتهم الأمانى ، واعتمدوا على قوتهم الظاهرية التي أنستهم قدرة الله على كل شيء . فإن شرح الله صدوركم ، وتلقيتم أمرنا هذا بالقبول ، فأبشروا بخير الدارين ، وعليكم أمان الله ورسوله وأماننا في أنفسكم وأموالكم وأعراضكم أتم وجميع من يجيب دعوتنا معكم . وإن ضربتم عن مقالنا هذا صفحاً ، فاعلموا أن الله تعالى قادر قاهر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وقد وعدني بالنصر وأيدني بملائكته وجنده وأوليائه ، وأخبرني بملكي لجميع الأرض ، وبأنه لا يثبت لقتالي إنس ولا جن ، ولا بدّ

يأذن الله من وقوعكم في قبضتنا ولو اتخذتم نفقاً في الأرض أو سماءً في السماء
وستعلمون غداً من الكذاب ؟ .

« فيما عباد الله : ارفقوا بأنفسكم وأصلحوا عاقبة أمركم ، ودعوا هذا الإعراض ،
والتلاهي بشهوات الدنيا المنفصمة بالعلل والأمراض ، وتشوقوا للقاء الله ، فإن الدار
آخرة والحياة آخرة . وهذه الدار قد ولت مدبره ، فاتخذوها معبره .

« ويحكم ويحكم إن لم تتداركوا نفوسكم وتنشلوها من هذا الوجع ، المفضى بكم
إلى العطل ، وإياكم أن تعتروا بقوة حصن بلدكم ، فإن الله أقدر من كل قادر ،
وكم أهلك قبلكم من أهل الحصون المنيعة من هو أشد منكم قوة وأكثر جماعاً
فاعتبروا بهم ، وبما فعله الله بهم ، لما بغوا وعثوا في الأرض مفسدين ، فالله الله
عباد الله ، هلموا إلى النجاح والفلاح ، قبل قصّ الجناح .

« وهذا ما حبرته إليكم وأنذرتكم به ، ولا داعي إلى التطويل ، فإن الهداية
من الله الجليل ، أسأل الله أن يلمكم رشادكم ، ويأخذ بنواصيكم إلى طريق سدادكم ،
هذا والسلام^(١) . »

بيد أن صاحبنا المهدي محمد أحمد لم يعمر طويلاً ليحقق ما كان يصبو إليه ،
ولقد حاول خلفه التعاشي تحقيق بعض هذه الأهداف ، فأغار بدرائشه على
حدود مصر ، ولكنه هُزم فقفل راجعاً .

وقد خرج محمد أحمد المهدي في تعاليمه الدينية على ما قاله الفقهاء ، وكان له
تشرية خاص به من اجتهاده ووضعه ، يطبقه بمنتهى الشدة والصرامة ، وقد أثار
خروجه على المذاهب الفقهية المعروفة في الإسلام سخط بعض العلماء ، فقابله أحدهم
وقال له : « معلوم أن المذاهب هي أربعة : الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ،
فما هو مذهب المهدي ؟ فقال له : هؤلاء الأئمة جزاهم الله فقد درجوا الناس ووصلوهم

(١) السودان بين يدي غردون وكنشتر ج ٢ ص ٥١

إليها ، كمثل الراوية وصلت الماء من منهل إلى منهل ، حتى وصلت صاحبها للبحر
فجزاهم الله خيراً ، فهم رجال ونحن رجال ، ولو أدركونا لاتبعونا ، وإن مذهبنا هو
الكتاب والسنة والتوكل على الله ، وقد طرحنا العمل بالمذاهب ورأى المشايخ .. » .
وهكذا « أعلن المهدي إبطال تقليد الأئمة الأربعة وقال إنه مجتهد ،
وأخذ يكتب المنشورات متضمنة كثيراً من أحكام العبادات والمعاملات ،
وكان يسمى الزمن الذي قبله زمن الجاهلية أو الفترة^(١) ... » .

ومن تعاليم المهدي هذه التي كان يبسطها للناس ما تضمنه هذا المنشور الذي
أذاعه من الأبيّض عام ١٣٠١ هـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالي الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد :
« فن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله ، إعلاماً منه ، إلى كافة المشايخ
في الدين ، والأمراء والنواب والمقاديم أتباع المذكورين :
« يا عباد الله : اسمعوا ما أقول لكم ، وكونوا على بصيرة ، واحمدوا ربكم
واشكروه على النعمة التي خصكم بها ، وهي ظهورنا فهو شرف لكم على سائر الأمم .
« ولكن المطلوب منكم يا أحبائنا المهاجرة في سبيل الله ، والجهادة
في سبيل الله ، والزهد في الدنيا ، وكل ما فيها فإلى البوار ، ولو كانت لها بال
لكان ربكم يحميها . وانظروا في أهلها الذين كانت في كل ما يطلبوه (كذا) ،
وصارت لهم — بعد ما كانت عسلاً — حنظلًا وسُمًّا ، وصاروا في غاية العذاب
والهلاك وشدة التعب والمشقة ، ولو كان فيها خير لما صاروا هكذا ، وبعد ذلك
فلهم العذاب الشديد .

« فإن عجبكم هذا فافعلوا ، وإلا فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، وجاهدوا
في سبيل الله ؛ فلهزة سيف مسلم في سبيل الله أفضل من عبادة سبعين سنة ، ووقفة

(١) السودان بين يدي غردون وكتشتر - ج ١ ص ٩٢ وما بعدها .

في الجهاد على قدر فواق ناقة (يعني حلبة ناقة) أفضل من عبادة سبعين سنة .
« وعلى النساء الجهاد في سبيل الله ، فمن صارت قاعدة وانقطع منها أرب الرجال
فلتجاهد بيديها ورجليها ، والشبابة فليجاهدن نفوسهن ، ويسكنن بيوتهن ،
ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ولا يخرجن إلا لحاجة سريعة ، ولا يتكلمن
كلاماً جهراً ، ولا يُسمعن الرجال أصواتهن إلا من وراء الحجاب ، ويقمن الصلاة ،
ويطعن أزواجهن ، ويسترن بثيابهن ؛ فمن قعدت كاشفة ، فاتحة رأسها ولو لحظة
عين ، فتؤدب وتضرب سبعة وعشرين سوطاً ، ومن تكلمت بفاحشة فعليها
ثمانون سوطاً .

« ومن قال لأخيه : يا كلب ، أو يا خنزير ، أو يا يهودي ، أو يا
أويا فيضرب ثمانين سوطاً ويُحبس سبعة أيام .

« ومن قال : يا فاجر ، أو يا سارق ، أو يا . . . ، أو يا خائن ، أو ياملعون
فعليه ثمانون سوطاً ، أو يا كافر ، أو يا نصراني ، أو يا . . . فعليه ثمانون سوطاً ،
ويحبس سبعة أيام .

« ومن تكلم مع أجنبية وليس بعاقدها ، ولا لأمر شرعي يجوز ذلك
الكلام فيضرب سبعة وعشرين سوطاً ، ومن حلف بطلاق أو حرام يؤدب
سبعة وعشرين سوطاً .

« ومن شرب الدخان يؤدب ثمانين ويحرق التنباك إن كان عنده ، وكذلك
من خزنها في فمه ، ومن عملها بأنفه ، ومن أبقاها فيه يؤدب مثل ذلك ، ومن باعها
واشترها ولم يستعملها يؤدب سبعة وعشرين سوطاً .

« ومن شرب الخمر ولو مصّة إبرة فيؤدب ثمانين سوطاً ويُحبس سبعة أيام ،
وجاره إن لم يقدر عليه يكلم أمير البلد ، وإن لم يكلمه فيضرب ثمانين سوطاً
ويحبس سبعة أيام ، ومن ساعد شارب الخمر بشربة ماء أو إناء فيؤدب كذلك
ويحبس ، ويجاهد نفسه في طاعة الله حقيقة أشد من الجهاد بالأرماح ؛ لأن النفس

أشد من الكافر مقاتلة ؛ فالكافر تقاتله وتقتله وتكون لك الراحة منه ،
وهي عدوة في صورة حبيب تقتلها صعب ، ومسلكها تعب .

« ومن ترك الصلاة عمداً فهو عاصي الله ورسوله ؛ قيل : كافر ، وقيل :
يُقتل . وجارؤه إن لم يقدر عليه يكلم أمير البلد ، وإن لم يكلمه فيضرب ثمانين
سوطاً ويحبس سبعة أيام ، وقيل : أموالهم غنيمة .

« و بنتُ خمس سنين إن لم يسترها أهلها فيضربون من غير حبس ، ومن علم
بأمةٍ معها زوجٌ بغير عقد وصبر يوماً ؛ قيل : يُقتل ، وقيل : يُحبس وماله غنيمة .
« واعلموا أيها الأحباب أن خلافتكم وإمارتكم ونيابتكم عنّا في الأحكام
والقضايا لأجل أن تشفقوا على الخلق وتزهدوا في الدنيا ليتركوها ، وترغبوا
في الآخرة ليرغبوها ويطلبوها ، وتعلموا عداوة نفوسهم ليحذروا منها ، وتنصفوا
من أنفسكم إذا ادعوا عليكم فيها ، فما أشكل عليكم فأمروهم بالصبر لنفاية
طلب الأمراء وجمعهم عندنا ، ويصير تخييره بحسب الحكم فيه من الله ورسوله ،
واعلموا يقيناً أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وكونوا عباد الله مع
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

« واعلموا أيها الأحباب أن القضايا التي كانت من اثني عشر رجب الماضي
عام ١٣٠٠ ببغية « ماسة » ، قد صار رفعها مطلقاً ماعدا الأمانة والدين ومال
اليتيم ، وأما التي بعد الاثني عشر رجب الماضي وقبل الفتوح ، تسمع فيه الدعاوى .
« وأما قتل النفس ففيه تفصيل في كونه مُحَيَّر (كذا) وليّ المقتول في أخذ
الدية أو القصاص ، وأما بعد الفتوح بالنسبة إلى العهد فيتعين فيه القصاص لا غير .
« فاعملوا بذلك طبق المنشور ، وكذلك مال الخلع ؛ عموماً من الأزواج
بعد الدخول بهن والاستمتاع بهن والاستيلاء عليهن ، فلا يصح أخذه منهن ،
فاحكموا فيه بالحكم الذي فضله الله تعالى في القرآن العظيم .

« واعلموا يا أحبائي ولا تخالفوا ، وامثلوا الأمر وكونوا سامعين طائعين
لأمرى ، ولا تغيروا ولا تكفروا النعمة التي من الله عليكم بها فقيدها بالشكر .

« وتزوج الغنية بعشرة ريال مجيدى أو أنقص ، والعزبة بخمسة ريال مجيدى أو أنقص ، ومن خالف هذا فعليه الأدب بالضرب والحبس في السجن حتى يثوب أو يموت في سجنه ، ومقطوع من أهل زمردنا ، ونحن بريئون منه ، وهو برىء منّا ، والسلام ^(١) » .

وقد ركز هذا الداعية مذهبه وتعاليمه في منشور كبير ، يعتبر بين أتباعه إنجيلاً للدعوة ودستوراً لها ، ولا يسعنا إلا أن نورده بنفسه لقيمته وخطورته ، يقول المهدي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبعد :

« فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله ، إلى كافة الأحباب في الله :
« أيها الأحباب ، إن الأمر كله لله وإليه المرجع والمآب ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما أجلسني على كرسي المهديّة ، قد أمرني بجهاد الترك ، وقال لي إن الترك كافرون بل هم أشد الناس كفرًا ونفاقًا ؛ لقوله تعالى : « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم » ، وأنهم يسعون في إطفاء نور الله تعالى ؛ لقوله تعالى : « يريدون ليطفئوا نور الله » بإهانة السنّة النبوية واستضعاف الإسلام ، وقد أظهروا كتبًا يريدون بها طفي نور الله تعالى ، ويسمونها كتب القانون مع شتم الإسلام وقهره .
« أما ترونهم يسحبونكم في الحديد والسلاسل لأجل أخذ أموالكم ، لا يوقرون كبيركم ولا يرحمون صغيركم ، ويحملونكم المشاق القوية ؟ لا تتركوهم حتى يسلموكم الأسلحة والأموال ، فإن فعلوا ذلك فلا تسترقوا أولادهم ونساءهم ، بل أقرّوهم على حالهم ، وهم إخوانكم في الدين ، وأحسنوا إليهم .

« وإن العمل كله للنية في الجهاد في سبيل الله ، كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر ؛ قال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » عوضاً عنها إذا قتلوا أو قاتلوا ؛ قال تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

(١) تاريخ مصر الحديث لجورجي زيدان ، ج ٢ ص ٢٨٥ الطبعة الثانية .

« وقال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : من أنكرك مهديتك فقد كفر . !
وإن أرواح الترك اشتكت إلي وقالوا يا إلهنا (؟) وخالفنا ، إن الإمام المهدي قتلنا من
غير إنذار ، فقلت يا إلهي أنذرتهم وخالفوني وصالوا علي ، وسيد الوجود شاهد علينا ،
وقال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ذنبكم عليكم وأنكم خالفتم وصلتم فقتلتم . . . ! ؟
« وبني عبد مأمور بإظهار الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيا ، وقد أمرني
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من خالفني عدّ كافراً . . . ! وأن الله قد غفر
ذنب من اتبعني وقوّاني ، وقد أمرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن زواج
السيب بخمسة ، والبكر بعشرة ريلات تخفيفاً لأمتة ، ومن نقص الصداق عن ذلك
فهو أقرب إليّ من بياض العين إلى سوادها وإياكم والزادات .

« فامنعوا نساءكم عن النوح والتسنيم وذبح الأموال سرفاً ، وأما كيفية الخافرين
والحاملين للنعش ، فلا بد من ماله ، إن كان له مال ، وإلا فن بيت مال المسلمين .
فن بكت أو سوّدت الباب أو ناحت أو حدّت على غير زوجها ، فتؤدب حتى
تظهر توبتها ، بالضرب والسخط بما يناسب لها .

« ونهيتكم عن التنباك الخبيث ، فمن شربه منكم فليؤدب حتى يموت أو يتوب
« وإن الجهاد فرض ، فمن تخلف عنه فهو عاص الله ورسوله ، ولا تقبل صلواته
ولا صومه ولا صدقته ، بل أمره كله هدر ، فمن تركه من غير عذر باين ، فحكه
كذلك ، أطعموا طعامكم المجاهدين ، فمن لم يأخذ البيعة من الأمراء أصحاب الرايات ،
الذين يخرجون من عندنا لأجل الجهاد ، فهو منافق ملعون .

« فأما العالم التابع لي في مهديتي ، فهو كالنبي المرسل . . . ! ، والعامي التابع لي
كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني . . . ! ، والعالم الخالف لي كفرعون ، والعامي
الخالف لي كهامان . . . !

« ومن علامة مهديتي أن النار تخرج من ثقب السلاح ، أي يخرج دخاناً . . . !
وأن الله قوّاني بالملائكة الكرام ، وعزرائيل حامل لواء نصرتي ، وأن الخضر
وسيد الوجود والأولياء ، من عهد آدَم إلى هنا ، معي . . . ! ومؤمن الجن كذلك معي .

« وقد أمرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن يخرجوا الأحراز ساعة الملاقاة ، كون الجان تنفر منه (؟) ، وأمرني بأن أتوكل على الله ، كيف يهتم العبد بالرزق حيث ضمن الله رزقه ؟ لقوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » وقوله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » ، كيف يرتقى العبد من الأمراض ؟ كونه هو الفاعل ، والتوكل أولى ، وكيف يصح للعبد أن يسوء في بساط الخيرات ؟ لأن الفاعل يفعل والمفعول يدفع ؛ لقوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

« ومن سرق منكم سرقة ، قلّ أو كثر ، فاقطعوا يده ، لأنه يوم القيامة يقوم بلا يد ويتخبط كما يتخبط العبد في الدنيا بمس الشيطان ، لا ببارك الله في وليّ تركه أو أمير استعان به .

« وكذلك الزاني ، يُرجم إذا كان محصناً ، ويُجلد البكر ، وأما المرأة فإذا دخلت بالأجنبي ، الذي يخشى عليها منه ، فيؤدبان بالاجتهاد ؛ لأن الشاب والشابة إذا تلاقيا ، يكون الشيطان دليلهما ، فلا بأس بمقاضاة الحاجات بحضرة واسطة من الناس .

« ومن ترك الصلاة أو تهاون بها ، قتل حدّاً في ضرورة ، وأما من تعدّى منكم على أخيه ببسط لسانه في عرضه أو ماله ، فهو ليس مني وأنا لست منه ، وإن ادّعيتم أنكم أتباعي ولم تفعلوا فملى ، فإنكم منافقون ؛ لقوله تعالى : « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم » ، فإذا لم تتحابوا كالأخوين من الأبوين فليس أنتم أتباعي .

« ومن ستر على سرقة رأها ، أو شرب خمر ، أو زنى ، فكتمه رافة عليهم ، فهو كالفاعل ، ومن تخلف عن الجهاد ، بصحة جسم ، لا ببارك الله فيه ، وإذا أخذتم ذنب الأبقار والأغنام والإبل والزرع وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم .

« أتركوا الترفهات وفرأوى الريف ؛ لأن موت النفوس حياتها ، والبسوا الجلب المرقعات ، ولبسوا نساءكم الثياب الخلقة ، وإن أمرى مبهم ، لا يعرفه إلا أصحاب الحضرة ، الذين يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : « ويخلق ما لا تعلمون » .

« أما ترون الترك ، لهم الأسلحة النارية والقوة العديدة ، قد هلكوا وأورثكم الله أرضهم وديارهم ، هذا حصل لهم بمصيبة الله ، كذلك إذا عصيتم الله يحصل لكم كمثلهم ؛ لقوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وأفضل الخلق من اتقاه بمأموراته ونهى نفسه عن منهياته ، وإن الشخص إذا أخذ البيعة وعاد إلى فعله الخبيث ، فهو كالمرتد .

« ويقول الإنسان إذا الليل أظلم بجناحه : الله القادر المقتدر القاهر على كل جبار عنيد ، ناصر الحق حيث كان به الحول والقوة ، إن هي إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشأى هذا إليك ، لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ومن قال هذا الدعاء صباحاً ومساءً إحدى وأربعين مرة فهو معي ومع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وإن عمله كعمل أهل السماوات والأرض . . . !

« ولا تجاوروا من ترك الجهاد ، أو فعل منكراً من المنكرات المنهية كتاباً وسنة فاستعينوا عليه ، فخذوا نفسه وماله غنيمة للمسلمين المجاهدين إن استحل ذلك ، وإلا فيؤدب ، ولا تمنعوا الأراضى ، لأنها لا تملك بل هي محوزة لبيت مال المسلمين ، وأما الجهاد فإن استضافكم فأضيئوه ، وإن استغاث بكم فأعينوه .

« وأما أرباب الجاه الذين اتخذتموهم أولياء ، إن نهوكم عن متابعتنا ، فإنهم كافرون ، لا تسمعوا لهم قولاً ، لأنهم ضالون مضلون ، بل هم أشد أهل النار ، وعملهم كعمل الذين قال فيهم ربنا : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين » .

« وقال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : إن السعيد من اتبعك والشقي من خالفك .. وإني عبد ضعيف ، ليس لي طاقة على قوام أدنى شيء ، فضلاً عن ذلك الملك الجائر ، الذي غير السنة النبوية والكتب الأزلية ، وإني على بصيرة من الله وإعانة من

رسوله ، ومعى سيف النصر ، لا ينفع الشريف شرفه ، ولا العالم علمه ، ولا الوالى ولايته ، إلاّ باتباعى . . . ! والخير كله فى تسليمه الأمر . . .

« أيها الأحباب إلى محمد بن عبد الله ، وأبى حسنى من جهة أبيه وأمه ، وأبى عباسية من جهة أبيها وأمتها ، حينئذ لا شك أنى من نسل المصطفى صلى الله عليه وسلم . . . وأنى ولدت فى بحر النيل ، وهاجرت إلى ماسة ، فى أقصى الغرب ، ببلق جبل يقال له قدير ، لأنى موعود به ، فلا تلبسوا على أنفسكم بقول : ظهرنا فى المشرق ، المعنى : أننا نظهر بالمشرق ويملاً الله لنا البلدان عدلاً ، كما ملئت جوراً ، ويدر الله لنا الأرزاق درّاً ، ويفيض الماء فيضاً ، وتتأنس الذياب (يعنى بها السباع الضارية) فى الأنعام ، ويأمن كل مؤمن من سمّ الحية ، وهذا كله بعد وصولنا لبیت الله الحرام والبيعة الثانية هى الكبرى ، وتسمى بيعة الفوز والرضوان .

« اللهم اجعلنا وإخواننا المؤمنين على التقوى لقوله تعالى : « إن المتقين فى جنات وعيون » وقوله تعالى : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلاّ المتقين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون » وقال تعالى : « واتقونى يا أولى الألباب » وقال تعالى : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » وقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، والتقوى المذكورة لا توجد غاية إلاّ بالجهاد فى سبيل الله ، والعمل بالكتاب والسنة رأس المسال والجهاد ثمنه ، ويجب على المجاهدين أتباعنا الذين يلهجون بالذكر فى جلّ أحوالهم بالتهليل والتسبيح والتكبير ، وإن أصحابى كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قاله لى بلفظه الشريف : إن أصحابك كأصحابى . . . !! ، فلما كان كذلك ينبغى لنا أن نقفنى أثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم ربنا : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون » ، وكن كذلك واحمل نفسك ودسها تحت أقدامك لعلّ الله يعلوک .

« أيها الأحباب قد أمرتكم أن من ترك منكم عقيقة ابنه فليدعها ؛ لأن الروح

تشكى إلى وتقول والدي لم يدعني ، فأعطني اسماً أدعى به ، فيقول الله لها سمّي نفسك بنفسك ، وكذلك من لم يسمّه أبوه فليسمّ نفسه ، ولو بعيد الشيب والهزم ، فياحسرة أبٍ لم يسمّ ابنه .

« وكذلك تجب إعادة الزكاة لمرطها ، والصوم والكفارة ، فتمحصوا عن الذنوب ، وإذا ضعف المجاهدون عن الجهاد ، أعينوهم أيها القاعدون أولو الضرر بثلك مالكم ، واتقوا نفوسكم بمالكم ولا تخزنوها ، فيها لكم ضرر وسوء حظ .
« وحكم النساء أن المرأة الناشئة لزوجها ، احبسوها في الأوكار والبيوت المظلمة ، حتى ترجع أو يتوفاها الله تعالى كالزانية ، فمن ثببت نفسها عن زوجها ، فالحل غنيمة لزوجها ، وإن راضها ، فالحل غنيمة للمسلمين ، فإن فعلوا ذلك ، فلا تعودوهم إن مرضوا ولا تشيعوا جنازتهم ولا تعينوهم عند الشدائد .

« ولا يجهل في مهديتي إلا شقى محروم الحظ وعادم الخير والإحسان ، واعلموا أن الوقت قد أزف ، وربما قام كالشمس تكون في أوكار غروبها ، وتجنبوا عن النساء والملذات العديدة التي تورث صاحبها الكبر والبطر ، وجاهدوا في حق الله حق جهاده ، أيها الأحباب الناظرون لرضوان الله الواحد القهار وناصحو المؤمنين .
« وحبّ لأخيك المؤمن ، كما تحب لأخيك من أبويك ، وقدم حبّ أخيك المؤمن على نفسك ، وذلك الوقت تكون صاحبتنا ، فإن لم تكن كذلك ، بل أنت مغرور ، وقد حرّم الله عليك سيد الوجود .

« وأموال الغنيمة وإن قلت كإبرة ، فإنه لا يدخل الجنة إلا من أخذها بقسمة أو شراء أو استحق شيء (كذا) من بيت مال المسلمين ، فإن من سرق منها ، لا يُقبل عمله حتى يردّها أو قيمتها ، فمن أعان مجاهداً ببقمة أو درهماً أو إناء شرب أو آلة حرب ، فكان يوم القيامة تحت ظل العرش ، ومن ناصح مجاهداً فكأنما ناصح محمداً صلى الله عليه وسلم وأمن في الجنة .

« ليتعلم بعضكم من بعض ، وليتأدب بعضكم لبعض ، وليكسر طرفه لأخيه

المجاهد ، وألا يعلم عليه ، وأن يساويه في الفراش والأكل ، إلا الضرر البين ، وإن
الأمرء والعاميين ، فكلمهم على حدٍ سوى ، إلا في الأمر والنهى ، فليحجوبهم ،
ولا يتفاضلون (كذا) عليهم في المركب والملبس والأكل ، فمن فعل ذلك فهو
مردود منّا ، وقال الله في الغنيمة المتقدمة : « وما كان لنبي أن يغلب ومن يغلب
يأت بما غلب يوم القيامة » فهذا العقاب - عدم نهب الغنيمة - للنبي وغيره
« فمن جاهد خوفاً على ماله أو عياله وجاهه ، فهو نخسور عند الله ، كالصدقة تخرج
الناس (؟) .

« أيها الأحاب كونا ربانيين وفوضوا أمركم إلى الله ، فإن النصر لكم ،
وإن القتل الذي ترونه ، امتحاناً (كذا) لكم ، وليس يريد به تضعيف المسلمين ،
وإن الله مع المؤمنين والسلام^(١) » .

وقد كتب المهدي إلى « يوسف الشلالى^(٢) » رسالة يدافع فيها عن مهديته ،
قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله المنتقم القهار ، والصلاة على سيدنا محمد وآله الأخيار مع السلام وبعد :
« فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن السيد عبد الله ، إلى يوسف حسن
الشلالى ، ومن معه من الجموع :

« وصل إلينا كتابك ، وصار معلوماً لدينا وقوفكم على الإنذار ، ومجاهرتكم
بالإنكار ، وكان قصدنا أن نضرب عن إفادتكم صفحاً ، ونطوى دون إجابتكم
كشعاً ، ولكن أردنا أن نبين لكم غلطكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع .

(١) أنظر الفصل الخاص بالمهدي فى كتاب نعوم شقير « تاريخ السودان القديم والحديث »
(٢) يوسف حسن الشلالى أحد القواد الذين أرسلتهم الحكومة لقتال المهدي عام ١٢٩٩ هـ ،
وكان جاهلاً بالفنون العسكرية جهلاً بالقراءة والكتابة ، وقد أرسل يوسف هذا رسالة المهدي
يدعوه فيها إلى الطاعة ويحذره من العصيان ، فرد عليه المهدي بخطابه هذا الذى أوردناه ، وكان
نصيب حملة الشلالى الهزيمة والخذلان

« أما قولك : إن إرسال الطلائع ينافي دعوى المهديّة ؛ لأن علم الغيب ضروري لها ، فنقول لك : هذا جهلٌ منك بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فإنه كان يرسل الطلائع كحذيفة اليماني وبلال والزبير بن العوام ، فلم يكن ذلك منافياً لرسالته صلى الله عليه وسلم فكيف يكون منافياً لمهديتنا ؟

« وقتلتم : إننا قتلنا جملة من المتوطنين بهذا المكان ظلماً وعدواناً . فهذا كذبٌ صريح لأننا لم نقتل إلا أهل جبل الجراة بعد أن كذبونا وحاربونا . وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بأن كل من شك في مهديتي كافر ... ، ودمه مهذور ، وماله وأولاده غنيمة للمسلمين ! ولما انتقاد من بقي منهم لحكمنا ، ردنا عليهم أموالهم من أيدي أصحابنا مع أنها حلال لهم .

« وقتلتم : إننا قتلنا العساكر غدرًا في الوقتين « آبا » و « راشد بك » وهو قول باطل ؛ لأننا ما بدأناهم بالقتال ، بل هم الذين بدؤونا بالقتال ، ولما اجتمعت أرواحهم في الدار الآخرة شكوني إلى الله عز وجل ، وقالوا : يا ربنا إن المهدي قتلنا بغير إنذار ، فقلت : يا ربني أنذرتهم فلم يسمعوا لي ، واتبعوا ساداتهم وعلماءهم ، وشهد على صحة قولي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن المهدي أنذركم فلم تسمعوا له ، واتبعتم ساداتكم وعلماءكم فأضلوكم السبيل ، وأمرهم فسيقوا إلى جهنم ... !

« وقتلتم : إن هؤلاء العساكر ما أرسلتهم الحكومة لحربنا ، بل ليقتلوا على ما عندنا من الأدلة ، وهو باطل أيضاً ؛ لأن الحكومة لو كانت تقصد ذلك لما أرسلت العساكر الأغبياء وأعطتهم السلاح الفاري ، بل كانت أرسلت العلماء وأهل الدراية بهذا الشأن .

« وقولكم : قوموا وتوجهوا إلى مكة المكرمة محل المهديّة فنقول لكم : اعلموا أن توجهنا إليها يكون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يختاره الله ، فإنني عبدٌ مأمور وقد أجالسني صلى الله عليه وسلم على كرسيه وقال لي : أنت المهدي المنتظر ومن شك فيك فقد كفر . . . ! وقال لي : إن الترك كفرار وهم أشد الناس كفرًا ،

لأنهم ساعون في إطفاء نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .
« وقلتم : اطلبوا من الله إظهار كرامة تدل على مهديتكم ، فاعلموا أننا لا نطلب ذلك لقوله تعالى : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر » ، ومع ذلك فقد أظهر الله كرامة لمهديتنا ؛ حيث وجد اسمنا منقوشاً على ورق الأشجار وبيض الدجاج ... ! ، ونحن لا نطلب من الله إظهار كرامة لمهديتنا بل نقف معه عند حد عبوديتنا ، فإن أظهر لنا كرامات كانت بمشيئته وحكمته يعدها سبحانه وتعالى ونجملها .

« وقلتم : ما اتبعتنا غيرُ الجهلاء وأراذلُ البقارة ، فاعلم أن أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا كذلك ، وقد قال تعالى حاكياً عن قوم نوح : « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا » الآية . ولا بد أن يجعلك الله ومن معك غنيمه للبقارة .
« وقلت : لا تغتر بإسماعيل الأمين ، ونواى ، فاعلم أننى منصور على كل من ناوأنى من أهل الثقلين وقد أخبرنى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يحضر بذاته الكريمة أمام جيشى .. ! وأن عزرائيل ملك الموت عليه السلام يحمل راية سوداء أمام جيشى .
« وقلتم : إن أفندينا ولىّ النعم أمركم بعدم محاربتنا حتى تتعدى الحدود ، وهذا قول لا يفوه به غير ضعفاء العقول ؛ لأننا تعدينا حدودكم ، وخالفنا مقصودكم من يوم قتلنا عساكركم « باباً » و بعد هذا ليس بيننا وبينكم خطاب غير الحرب والطعان ، والسيف والسنان ، والسلام على من اتبع الهدى ، وخشى عواقب الردى ، ولعنة الله على من كذب وتولى ^(١) .

و بعد سقوط الخرطوم انتقل المهدي إلى أمّ درمان ، وجعلها عاصمة ملكه ومقر حكومته ودانت له البلاد والعباد ، وبدأ السودان به صفحة جديدة من تاريخه .
وكان المهدي طويل القامة عريض المنكبين ، أفنى الأنف عريض الجبهة واسع العينين أسودهما حاد البصر ، خفيف اللحية أسودها ، وعلى خديه آثار الأخاديد

(١) السودان بين يدي غردون وكتشنر لإبراهيم فوزى ج ١ ص ٨٦ وما بعدها

العرضية الثلاثة من كل جانب كسائر الدناقلة أبناء قبيلته ، وكان أسمر اللون قائمه ، قوى البنية مفتول الساعدين ، وفي أول قيامه بدعوته كان ربع القامة ، فأصبح في أواخر أيامه سميناً ضخماً الجثة عظيم الهامة ، أسنانه كاللؤلؤ لا ينفك مبتسماً فتظهر بين فكّه الأعلى فليجة تشبه الثمانية (٨) ، وهي عند السودانيين وبعض الشرقيين من علامات السعد ويقال لصاحبها أفلاج ، وكان يلبس جبة بيضاء قصيرة تراها دائماً نظيفة مطيبة برائحة خشب الصندل والمسك وعطر الورد ، وكان مشهوراً بين أتباعه بهذه الرائحة ، حتى نسبوها إليه فسموها « رائحة المهدي » ، وذكر بعضهم خلافاً كان في خده ذكر هو أنه من علامات المهدي . . .

ولم يمتد بعد هذا بصاحبنا الأجل ، ففي ليلة الأربعاء لأربع ليال خلون من شهر رمضان عام ١٣٠٢ هـ ، أصيب بحمى التيفوس وذاع خبر مرضه بين الناس فلم يكثرثوا به ؛ لأنهم واثقون بما كان يعدم به من أن المنية لا تدركه قبل أن يفتح مصر والشام والكوفة والحجاز .

وفي صبيحة يوم الجمعة عندما أحسّ بدينب الموت يسرى في عروقه ، استخلف من بعده صاحبه عبد الله النعاشي ، وأمره أن يخلفه في صلاة الجمعة ، فقبل له : إن الخليفة عبد الله أمي لا يعرف الكتابة والقراءة فكيف يخاطب الناس ؟ فقال لهم : ادفعوا له ورقة الخطبة ومروره فليقرأ منها كلمتين أو كلمة ، فدفعوا له الورقة وخطب الناس وصلّى بهم ، وهم في غاية العجب من جهله بالقراءة وتحريفه لألفاظ القرآن . . .

وفي يوم الأحد ثامن رمضان اشتدت وطأة المرض على المهدي ، فكان يرفع صوته مستغيثاً قائلاً : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » ، وكان يتجرد من ملابسه ويأمر بالماء البارد فيهرق على بدنه وفي يوم الاثنين تاسع رمضان سنة ١٣٠٢ هـ فاضت روحه ، وهو محاط بخلفائه ونسائه وبعض ذوى قرابته ، ثم احتفروا قبراً في نفس الغرفة التي مات فيها ، وقالوا إنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفن حيث قبض ، كما دفن صلى الله عليه وسلم حيث قبض .

وقد رثاه جماعة من أتباعه السودانيين الأدباء نظماً ونثراً ، ومنهم الأديب إبراهيم شريف الدولابي الكردفاني ، الذي رثاه بقصيدة ضافية قال فيها (١) :

كيف التثامُ فؤادىَ المفطورِ ورقودُ دمع محاجرى المفجورِ
أم كيف ينفكُّ الضنا عن مهجةِ أحشاؤها تصلى على تنورِ
أسفٌ على المهديِّ من مهد الصبا قد كان معصوماً عن المحذورِ !
لا زال في كنف العناية يغتذى بدقائق التبصير والتنبؤِ
حتى انتهى لمقامه الأعلى الذى عنه النهى فى حيرةٍ وقصورِ
وأقامه الختارُ عنه خليفةً خلعت عليه ملابساً من نورِ
فدعا إلى الدين الخفيف مجاهداً بالسيف والإندار والتبشيرِ
فتح الفتوحَ ودمر الكفار فى كلِّ البلاد بجيشه المنصورِ
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلاً سور الرضى أعظم به من سورِ
ومن اتقى لسواه أمسى حائراً ضلَّ الطريق بلبلةٍ ديجورِ
هو مجمع البحرين بحر شريعةٍ طامٍ وبحر حقيقةٍ مسجورِ
سرُّ الوجود وترجمان الحضرة الـ مليا ومظهر غيبها المستورِ !
والله أكرمه بطيب تحيةٍ يحدو بها موسى كليم الطورِ
وتفيض بالجوهر الكثير يمينه أبداً بلا منٍّ ولا تكديرِ
لا يبتغى جاهاً ولا مالاً ولا عزَّ الملوك ولا ارتياع الدورِ
لما أبان لنا السبيل ولم يدع إيضاحٍ منهىٍ ولا مأمورِ
والدين عزَّ وأهله بلغوا المنى وتقلبوا فى نعمةٍ وحبورِ
تاقت إلى الذات العلية روحه وسعت لمقصد صدقها المذخورِ
فضى وأودع كلَّ قلب حسرةً وحشا الحشا ببلابلٍ وسعيرِ
تبكى المساجد والمحارب فقدته ومواطنُ الأذكار والتذكيرِ

(١) ارجع إلى كتاب نعوم شقير « تاريخ السودان القديم والحديث »

يا طيب أرضٍ ضم جسمك تربها تزرى بعرف المسك والكافور
يا آكل بيت المصطفى صبراً وإن جلّ المصاب وعزّ عن تصبير
صلى الإله على ضريح ضمه أزكى صلاة في المسا وبكور
وبعد وفاته سرعان ما بويع التعايشي ولقب خليفة المهدي ، غير أن دولته لم تدم
طويلاً؛ فقد عصفت بها الجنود المصرية والإنجليزية بقيادة « كاتشر » الذي دخل
أمّ درمان ظافراً في ٢ سبتمبر عام ١٨٩٨ ، ففرّ منها التعايشي واستمر مختفياً إلى أن
قُتل في موقعة بتاريخ ٢٤ نوفمبر عام ١٨٩٩ ، وانقرضت حكومة الدراويش
من السودان ودالت دولة المهدي ، ولم ينس « كاتشر » - وهو الرجل المتحضر -
أن ينسف قبته وينبش قبره في بربرية وهمجية فيبعثر عظامه ، ويبعث بجمجمته
إلى المتحف البريطاني بلندن انتقاماً لمقتل غردون .

هذا ولا يسعنا في ختام حديثنا عن المهدي إلا أن نشيد بالأعمال العظيمة التي
قام بها من أجل السودان ؛ في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ،
حتى ليعدّ محمد أحمد - بحق - خير من ادعى المهديّة ؛ فلقد كان الرجل حريصاً
كل الحرص على تحرير بلاده من نير الاستعمار ، كما كان حريصاً على رفع مستواها
الاقتصادي والخلقي وبناء مجتمع إسلامي صالح في السودان ، قائم إلى حد كبير على
التعاليم التي أقامت المجتمع الإسلامي الأول ، ولقد وفق الرجل في كل ذلك توفيقاً كبيراً .
وإننا لندرجو للسودان اليوم أن يذكر هذه الأجداد ، التي تنادى أبناءه من وراء
حجب الغيب ليدفعوا بالمستعمرين بعيداً عن البلاد ، ويعيدوا للسودان مجده وكرامته ،
ويعيشوا مع إخوانهم - في مصر - يداً واحدة متحابين متحدين على ضفاف النيل
الخالد ، الذي وحدهم وجمع بينهم وألف بين قلوبهم ، وجرى في عروقهم منذ القدم
حياةً ودماً .

البايية والبهائية

التسبيع في فارس :

ظهر التشيع في فارس متأخراً عنه في العراق والشام ، وهو يكاد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقيام دولة بني العباس ، وإن وُجدت هناك بذور قديمة ترجع إلى عصر الخلفاء ، وتتصل بشخصية سلمان الفارسي ، الصحابي المعروف ، وتدور حول الحديث القائل : « سلمان مفاً أهل البيت » .

ولكنّ هذه البذور من القلة والضعف بحيث لا يحق لنا أن نعتبرها مبدأً للتشيع في البلاد الفارسية .

والتشيع كذهب لم يأخذ صبغته العامة في تلك البلاد إلا في أواخر حياة الدولة الأموية ، أو أوائل المائة الثانية للهجرة ، وقد ازداد اتساعاً وانتشاراً بقيام الدولة العباسية ، التي مهدت لظهورها بالدعوة إلى « آل البيت » أو « الرضا من آل محمد » . وقد تقلص تبعاً لذلك ظلّ مذهب أهل السنّة ، وأخذ الشعور القومي في البلاد يناسبه العداء ، الذي بلغ أوجّه منذ قيام الدولة الصفوية ، التي حكمت البلاد من عام ١٥٠١ إلى عام ١٧٢١ ميلادية ، والتي عملت على توطيد المذهب الشيعي في فارس ، وجعلته مذهب الدولة الرسمي ، وحملت الناس على معاداة مذهب أهل السنّة ومجافاته ، ولا شك أن العوامل التي أرثت هذا الشقاق كانت سياسية أكثر منها دينية .

والشيعة في فارس اثنا عشرية^(١) ، بيد أنهم اختلفوا تحت هذا العنوان إلى طوائف ثلاث : « أخبارية » ، و « اجتهادية » ، و « شيعية » ، ولكل من هذه الطوائف آراء مبنية على مقتضيات الوسط الذي تعيش فيه ، والبيئة التي تسيطر عليها . فالأخبارية — كاسمها — تقبل جميع الأحاديث والآثار المنقولة عن الأنبياء

(١) راجع حديثنا عن هذه الفرقة ص ١٢٩ من كتابنا هذا .

والأئمة دون نقد أو تمحيص؛ وبهذا يمكن أن تقبل هذه الفئة عقائد وتعاليم لم تكن ذات أصل قرآني، وإذا ورد في الحديث - وهو البحر الخضم والميدان المتسع لكثير من المبادئ والمعتقدات الأجنبية - ما يوافق مشربها، أصبحت هذه العقائد أسرع قبولاً، وإذا أمكن وضع أحد هذه المعتقدات تحت اسم واحد من الأئمة، كان ذلك مبرراً كافيًا للأخذ به واعتناقه كعقيدة دينية دون نقاش، مهما كان هذا المعتقد غريباً عن الإسلام...

وإننا لنجد في التعاليم التي يدينون بها ويكرهون الإسلام على قبولها، بقايا من الديانات الفارسية القديمة، وكثيراً من المعتقدات الساسانية.

وهم يذهبون في حشر الأجساد مذهباً يخالف الظاهر من النصوص الإسلامية؛ حيث لا يقولون برجعة الأجساد كما هي بعد الموت، بل يقولون - كما قال بعض متكلمي الإسلام - إن البشر يُنشرون بأجساد أخرى غير تلك التي كانت لهم في حياتهم الدنيا، ويرون أن نعيم الأبرار وعذاب الفجار في الآخرة، كلاهما عقليٌّ محض لا مادية فيه، وإنما صورٌ فقط في قالب مادي، تقريباً إلى أذهان عرب الجزيرة البدائيين.

و«الأخبارية» تعتقد أنها أخلص الشيعة وأقرب الطوائف إلى مبادئ التشيع كما رسمها الأئمة، وينتسب إلى هذه الفئة كثير من أهل الطبقة الوسطى من الشعب الفارسي.

أما «الاجتهادية» فتتخذ الأخبارية بعنف، وتفكر عليها سرعة تهافت رجالها على النقل وسهولة تلقيهم للأخبار دون نقد أو تمحيص، وتقول إن الخبر - لكي يكون معمولاً بموجبه - يجب أن يستوفي شروط التمحيص المنصوص عليها في كتب الأئمة.

والواقع أن «الاجتهاديين» لا يتساهلون في هذا الموضوع من الوجهة النظرية، أما من الوجهة العملية فنجدهم - بالعكس - يقبلون كثيراً من الروايات

عن معجزات الرسول المادية ، أو عما أُسند إلى الأئمة من خرق قوانين الكون
وسنن الطبيعة ، ولا يفكرون مطلقاً في نقدها أو تمحيص أسانيدھا أو حتى مجرد إثارة
النزاع أو الشك فيها ، لأن قدسيتها تعلو بها عندهم فوق العقل وفوق النقاش ...

و « الاجتهاديون » - وليس لهم من اسمهم نصيب - يرفضون الكثير من مبادئ
« الشيخية » - وهي الطائفة الثالثة من الشيعة الاثني عشرية في فارس ، وللعقل
في تعاليمهم قدرٌ وحرمة - ويرون أن تحكيم العقل الإنساني في كل شيء منافي
للإيمان ، ومفضٍ إلى تقويض أركان الدين

وينتسب إلى هذه الطائفة كثيرٌ من قضاة الدولة ومأموري الإدارة والطبقات التي
تشتغل بالحياة العملية ، أكثر من اشتغالها بالمسائل النظرية والبحوث الأكاديمية .
أما الطائفة الثالثة وأغنى بها « الشيخية » فستخصها بدراسة أوسع لما لها
من اتصال وثيق بموضوع كتابنا ، ولما لها من الأثر الكبير الفعال في نشوء
« البابية » و « البهائية » في البلاد الفارسية .

الشيخية

حوالى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى (١٧٤٤ م = ١١٥٧ هـ) . وُلد صاحب هذه الفرقة الشيخ أحمد الإحسائى ، المتكلم الشيعى الاثنا عشرى ، من أب يدعى الشيخ زين الدين الإحسائى ، أحد كبار مشايخ عشيرة بنى صخر ، التى يقال إنها من العشائر العربية الخالصة . وقد نزع الشيخ أحمد من موطنه الإحساء بالبحرين ، فى سنٍّ مبكرة واتجه صوب فارس ، طلباً للعلم وسعيًا وراء المعرفة ، وأخذ يتقلب بين المدن التى كان يشعّ منها إذ ذاك نور العرفان ، فنقل بين « يَزْد » و « كرمانشاه » و « تبريز » و « قزوین » ، بعقل متمطش يقظ وروح وثابة ، ولم تكتمف نفسه الظمأى بما نالت من قسط وافر من تعاليم الإسلام الشيعى الاثنى عشرى على كبار مشايخ الشيعة فى فارس ، بل حفزته على التوجه إلى العراق العربى ، لترتوى من المنابع الصافية الأصلية للتشيع ، لاسيما « كربلاء » محط أنظار الشيعة وملتقى جموعهم .

ولما أتم « الشيخ » دراسته — وقد اكتمل عقله ونضج فكره — تصدر للتدريس ونجح نجاحاً كبيراً فى اجتذاب الناس إليه ، لما حبته به الطبيعة من فصاحة فى اللسان وسلامة فى التعبير وسلاسة فى الأسلوب ، وفلج فى الحججة وقوة فى الجنان ، ومواهب شخصية ممتازة ، سرعان ما رفعت ذكره وأطارت صيته ، فأصبح ذا مقام ملحوظ وقد نُسب إليه مريدوه وتلامذته فعرفوا باسم « الشيخية » .

ومع أن « الشيخ » لم يخالف فى دروسه مبادئ التشيع الاثنى عشرى ، فقد أصرّ فقهاء العامة على مناصبته العدا ، واعتبروه مارقاً من الدين ، وذلك لما ارتآه فى مسألة معراج الرسول ومعاد البشر الجسمانيين ؛ فقد كان « الشيخ » عقلياً — إلى حدّ ما — فى تفكيره ، فأنكر جسمانية المعراج والمعاد — مقتفياً أثر الفيلسوف

الرئيس أبي علي ابن سينا فيما ذهب إليه في هذا الصدد — فقال : « إنه يستحيل على هذا البدن السفلى الصعود إلى الأفلاك . ومعراج الرسول معراج روحاني لا جسماني ^(١) » أي أنه كان رؤيا في المنام ، وهذا الرأي على ضعفه لم ينفرد به ابن سينا بل هو موجود في الإسلام قال به كثيرون ، وينسب أيضاً إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما عن معاد الناس في الآخرة فيقول « الشيخ » : « إن هذا الجسم الترابي مؤلف من العناصر الأرضية ، فبعد الموت يتلاشى بالكلية لا محالة ، ولا يمكن أن تكون له رجعة أبداً ، أما القابل للدوام والحرى بالبقاء والنشر والحشر ، فهو هذا الروح الإلهي الذي هو من عالم المثال ^(٢) .

ومما أخذ عليه الفقهاء إنكاره لمعجزات الرسول المادية ، وادعاؤه أن حادثة انشقاق القمر — الواردة في القرآن في أسلوب صريح — لم تقع قط ، وإنما هي كناية لفظية عن أهوال اليوم الآخر .

أما رأي « الشيخ » في « المهدي المنتظر » فقد كان خروجاً جريئاً حقاً ليس فقط على مبادئ التشيع الاثني عشري ، بل على مبادئ التشيع عامة ، بقدر ما كان قريباً كل القرب مما يقوله العامة من فقهاء أهل السنة ، إذ ذهب إلى أن « المهدي » سيوجد بالولادة ، وليس شخصاً مختلفياً عن الأنظار في بئر أو سرداب منذ ألف سنة . . .

وقد أثار عليه هذا القول الجديد الجريء ، غضب الشيعة الذين ينتظرون — وقد عيل صبرهم — خروج صاحب الزمان محمد بن الحسن العسكري من مخبئه ، بيد أن « الشيخ » لم يكثر لملات الشيعة ولعناتهم ، وأخذ يبشر أتباعه بقرب ظهور المهدي وولادته ، ويحثهم على البحث عنه والترصد لبزوغ نجمه والالتفاف حول رايته ، ومن أقواله لهم في هذا الصدد : « إياكم أن يحول بينكم وبين الإيمان به أمره

(١) السكواك الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهاية ، ليرزا عبد الحسين آواره - ١

ص ٤٢ « الترجمة العربية » .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣

من الأمور أيتاً كان عندما يبلغ مسامعكم نداؤه» (١). وقد أيقن تلامذته أن كلماته كانت عن طريق المكاشفة اليقينية التي لا يحوم حولها شك أوربية.

وقد خص «الشيخ» أئمة التشيع بهالة من القداسة البالغة حدّ العبادة، ولم يشأ هنا - مع الأسف - أن يُعمل عقله، بل لفته في كساء غليظ، وأسدل عليه ستائر سوداء كثيفة، وتركه يغطّ في نوم عميق، فرأى على أسلوب «الغنوصيين» أن الصفات الإلهية قد حلّت وتجمّدت في أشخاص الأئمة؛ فهم القوى الخالقة المسيطرة على الكون، ولولاهم ما وُجدت العوالم ولا عُرفت ذات الله، فارتفع «الشيخ» بالأسطورة الإمامية المعروفة إلى مدى بعيد.

يقول العلامة «هيار» Huart :

«ولسنا نعرف مذهبه الذي بسطه في كتبه على وجه كاف، وإذا أخذنا بما قاله «براون» فإن الإحسائي يكون من الشيعة الحلولية الذين يعبدون علياً» (٢).

وقد زار «الشيخ» مكة المكرمة غير مرة في غضون حياته، بقصد أداء فريضة الحج، وفي المرة الأخيرة لمرحلتين بقيتا إلى المدينة المنورة، صعدت روحه إلى خالقه وكان ذلك يوم الأحد ٢١ من ذي القعدة عام ١٢٤٢هـ = ١٨٢٧م، فحمل رفاقه جسده معهم، حيث دفنوه ببيع الفرقد.

* * *

طَظْم الرستى :

من تلامذة «الشيخ» المقرّبين، وُلد عام ١٢٠٥هـ من أسرة مشهورة بالتجارة والثراء، ذات أصل عريق وخلق قويم، فدرج «كاظم» في كنفها، وشبّ في حجرها نجيباً ذكياً، ولما اكتمل واستوى لحق بالشيخ الإحسائي، وانخرط في سلك تلامذته، ولم تمض إلا أعوام قلائل، حتى بذّ «كاظم» جميع المريدين

(١) الكواكب الدرية ص ٤٦

(٢) أنظر مادة «الإحسائي» بدائرة المعارف الإسلامية «الترجمة العربية» مجلد ١ ص ٤٤٨

واكتسب قلب أستاذه « الشيخ » فمال إليه وانعطف ، وأوصى له بالخلافة بعد مماته ، وما كادت المنية تحترم حياة « الإحسائي » ، حتى تربع « كاظم » على كرسي الخلافة تنفيذاً لوصية « الشيخ » ، وبذل الأتباع والمريدون له كمال الطاعة والانقياد .
وقد سار « الرشدي » على طريقة أستاذه وسننه ، واقتفى أثره بانتهاج منهجه ، وقد أربى عليه في التبشير بقرب ظهور « المهدي » ، وأكبر الظن أنه قد وقف حياته لخدمة هذا الغرض ، واتخذ له رسالة يحيا بها ويعمل لها ويدافع عنها ، ومما قاله لتلاميذه في هذا الصدد :

« في أواسط القرن الثالث عشر للإسلام أي سنة ١٢٦٠ هـ يقال العالم نعمة تأويل القرآن ، وتظهر وتتلأأ أسرار التنزيل وبواطن هذا السفر الجليل ^(١) » .
وعند ما أخبر « الرشدي » تلامذته بقرب وفاته جزعوا جزعاً شديداً ، فالتفت إليهم قائلاً : « إن أوقات بقاى بهذه الدنيا قد انتهت ، وساعة الرحيل قد دنت ، فلماذا تحزنون من نبأ وفاتي ؟ ألا ترضون أن أذهب ، والحق يظهر ؟ ^(٢) .. »
وفي هذا السبيل أخذ « الرشدي » يتابع جهاده ليؤدى رسالته العليا ، رسالة الإرشاد ولفت الأنظار إلى قرب ظهور « المهدي » الذي طالما انتظره الجميع قروناً عديدة في ترقب وهفة بالقين — حتى وافاه القضاء المحتوم عام ١٢٥٩ هـ = ١٨٤٣ م .
وهكذا يتضح لنا من تاريخ « الرشدي » وأستاذه « الشيخ الإحسائي » ، أو من دراسة « الشيخية » ، ما لها من الأثر الهام والمباشر في قيام الدين الجديد ، أعنى الديانتين « البابية » و « البهائية » اللتين اعتمدتا في ظهورهما على أسطورة « المهدي » .

(١) الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية - ص ١٠٠ وما بعدها

(٢) المصدر السابق - ص ١٠١

البائية

في غرفة الحرم عام ١٢٣٥ هـ وُلد بشيراز - المعروفة بدار العلوم - الشاب الورع السيد علي محمد الشيرازي ، من أسرة محترفة للتجارة ، ينتهي نسب أبيه « أغا سيد محمد رضی » ونسب أمّه « فاطمة بكم » - على ما يزعم الرواة - إلى علي بن أبي طالب . . . كبقية الرعيل السابق من الدعاة وقد توفي والده وهو صغير ، فكفله خاله « الحاج سيد علي » وضمّه إليه ، وقام بتربيته إلى أن بلغ أشدّه واستوى ، فاشتغل بتجارة أبيه

وقد ولع هذا الشاب منذ نعومة أظفاره بالاتجاه الديني ، الذي انتهى به إلى حياة من النسك الصوفي ، والزهد الهندي والتقشف القاسي والتحمل « الرواق » ، حتى ليقال : إنه كان يقعد الساعات الطوال في الشمس الحارة ، حاسراً عن رأسه ، تطهيراً لنفسه وكبحاً لجماح شهواتها - ولعله كان يجذو في ذلك حذو « ديوجينيس » - إلى غير ما يُروى عنه في هذا الصدد من ضروب التعبد الشاق .

تلقى صاحبنا الشاب دروسه الأولى بمكتب « الشيخ عابد » أحد علماء شيراز المحترفين لمهنة تأديب النشء ، ثم توجه بعد ذلك إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين ، فخرج في طريقه على مجلس « الرشقي » وتردد عليه مرتين ويقال :

« إن الأستاذ السيد الرشقي مع تبجره في العلوم والمعارف ، وبلوغه العقد الخامس من العمر ، أدى للشاب حين حضوره حلقة الدرس فائق التجلّة والاحترام ، وقطع التدرّيس وحوّل أنظاره إلى حضرة الوارد ، ثم انبرى يشرح المسائل المتعلقة بظهور المنتظر . فبعد أن أعلن الشاب دعوته ، وسمع التلاميذ نداءه ، تذكروا تلك المقدمات التمهيدية التي كان يزودهم بها الأستاذ السيد ، وفطنوا إلى أنها كانت موجهة إلى جنبابه ، قائلين إن السيد كان مقصده إفهام التلاميذ ، أن هذا الوارد عليهم هو صاحب المقام ، ومنتظر وموعود الإسلام ^(١) » .

(١) السكواكب الدرية ج ١ ص ٦٨ وما بعدها .

وهكذا كان حضور صاحبنا مجلس « الرشقي » - بمحض المصادفة وهو في طريقه إلى كربلاء - من أهم العوامل التي ساعدت على نجاحه فيما بعد ، لما أوجده من أقاويل وإشارات وأساطير ، كانت له عوناً ونصيراً .

وأكبر الظن أن صاحبنا السيد علياً هذا ، لم يحظ بنصيب وافر من الدراسة والتثقيف ، فإذا استثنينا تلك المعلومات البدائية ، وتلك الدروس الضحلة البسيطة الأولية التي تلقاها بمكتب « الشيخ عابد » ، ومجلساً أو مجلسين في حلقة « الرشقي » - لا نظن أنه خرج منهما بشيء ذي بال - فإننا لا نجد بعده درس كتاباً قط ، أو قرأ على أستاذ ما ، وقد وضع جهله وظهرت أميته المطبقة في أخطائه الكثيرة التي لا تفتقر في قواعد النحو الأولية ، وإن كان هو يسدّ هذا النقص ويموّه على أتباعه البلبه ، بزعمه أن كلام الله الذي يجري على لسانه لا يتقيد بقواعد اللغات البشرية !

ومهما يكن من شيء فقد عاد السيد عليّ بعد زيارته الخفيفة للأستاذ « كاظم الرشقي » إلى شيراز ، معتقداً أنه قد استكمل دراسته - مع أنه كان في حاجة شديدة إلى بدئها - وأخذ يحاضر في المساجد كأحد أتباع الطريقة « الشيخية » التي انتشرت تعاليمها في البلاد ، وبهذا فقط نفسر نجاحه الفذ في اجتذاب كثير من الطلاب الذين استمعوا إليه ، وقد زادهم به تعلقاً فصاحة في لسانه وانطلاق في بيانه .

وفي هذه الأثناء توفي السيد « كاظم الرشقي » بعد أن أ أكثر من التبشير بقرب ظهور « المهدي » فرأت « الشيخية » أنها في حاجة بعد وفاته لشخص يلي رياستهم الزمنية ، فذهب عدد من رجالهم إلى مسجد الكوفة - حيث فيه ينتظر الكثيرون ظهور الإمام الثاني عشر - وهناك حبسوا أنفسهم وأخذوا في الصلاة والصيام ، تقرّباً إلى الله ليوفقههم إلى رئيس زمني جديد .

وهنا فكّر الشيخ « حسين البشروئي » - من رجالهم ذوى النفوذ ، ومن تلامذة « الإحسائي » و « الرشقي » ، الذين يحظون بقسط وافر من التعظيم والاحترام -

في اختيار صاحبنا السيد على محمد ، أحد أتباع الطريقة رئيساً لها ، وقد كان أتيح له أن رآه بمجلس « الرشدي » وأعجب بزهده وتقشفه فأحبه ومال إليه ، بيد أنه اعتزم اختباره بنفسه فارتحل إلى شیراز .

وفي اليوم الخامس من جمادى الأولى عام ١٢٦٠ هـ = ٢٣ مايو عام ١٨٤٤ م بينما كان الشيخ « البشروئي » جالساً مع هذا الشاب يراقبه ويختبره ، إذ بادر هذا فأعلن له دعواه وبعثه بها بعثة ، وزعم أنه « المهدي » المنتظر ، ودعاه إلى الإيمان به ! فدهش الشيخ من جرأته وسقط في يده ، وإنه ليحدثنا فيقول :

« في تلك الليلة التي كاشفني فيها بسر أمره ، أخذت الحيرة مني كل مأخذ ، وطفقت أسائل نفسي قائلاً : ترى ماذا جرى لهذا السيد التقى حتى اجتراً على دعوى عريضة كهذه ؟ ! فالواجب عليّ أن ألقى عليه بعض المسائل المعضلة الغامضة ، حتى لا يجد مجالاً للكلام ، وإذا يرجع أدراجه ويعود عما في خياله ، فخاطبته قائلاً :

« أيها السيد : إن المقام الذي تدّعيه حضرتكم هو مقام هائل خارج عن حدّ التصور ، ورتبة في منتهى العلوّ والجلال ، وأقصى مراتب العزة والكمال ، لقبوله دون بينة وبرهان خارج عن حيز الاحتمال والإمكان ، فما هو برهانكم على صدق ادعائكم هذا المقام ، وحقيقة هذه الدعوى عظيمة الخطر والمقدار ؟ فأجابني قائلاً : إن طرق الوصول إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، فأى برهان تريدون وبأية حجة تقتنعون ؟ فأجبت قائلاً : بما أني مطلع على الاصطلاحات العلمية ، وقد احتملتُ المشاق العديدة في سبيل تحصيل المعارف والعلوم ، فأراني في حاجة إلى دقائق علمية تفوق علوم الناس كافة ، وتسمو عن مدارك الأوائل والأواخر ، حتى يتسنى لي إدراك المقصد والمطلب ، وشرعتُ ألقى مسائل مشكلة علمية ودينية تباعاً على حضرته ، فكان يجيبني عليها واحدة واحدة بأجوبة شافية وافية^(١) . »

(١) الكواكب الدرية - ١ ص ٧٤ ، ولا يمزج عن بالنأ أن « البشروئي » روى لنا روايته هذه بعد الإيمان بمزاعم على محمد .

وكان من المسائل التي دار النقاش فيها مسألة قرب ظهور المهدي ، فسأل السيد علي الشيخ « البشروئي » عن علاماته وصفاته التي اختص بها ، فأخذ الشيخ بسرد عليه بعضاً منها وقال في ختام حديثه : « وأيضاً إنه يكتب تفسيراً لسورة يوسف » ، فسرعان ما التفت إليه السيد وناوله شرحاً لهذه السورة كان يجنبه لحينه ، أسماء « أحسن القصص » . وتقول الرواية إن « البشروئي » عند ما نظر في هذا التفسير ، خرج زمام الأمر من يده ، وأعلن فوراً أن السيد علي محمد هو حقاً « الباب » للاتصال بالإمام الغائب ، وأصبح هو أول مرديه ؛ فلَقَّب من أجل ذلك « باب الباب » ، ثم صدرت إليه أوامر مولاه الشاب بالارتحال عن شیراز ، والضرب في الأرض مبشراً بالدعوة الجديدة ، وداعياً لها ، فأخذ الرجل^(١) في التجوال في البلاد حتى دخل مدينة طهران ؛ حيث آمن على يديه الأخوان « بهاء الدين » و « صبح أرل » ، وإن لهما في تاريخ هذا الدين لصفحات وصفحات أما سيده « الباب » فقد توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وألف أثناء رحلته إليها بعض رسائل ، يزعم أتباعه أنها من وحى الله ، ثم عاد بعدها إلى شیراز ليواصل جهاده في سبيل رسالته .

وفي الخامس من جمادى الآخرة عام ١٢٦٠ هـ = ١١ يونيو عام ١٨٤٤ م أعلن صاحبنا السيد علي محمد التاجر الجاهل أنه « الباب » بمعنى أنه الوسيلة الموصلة إلى معرفة الحقيقة الإلهية ، وذلك بعد أن شهد له أصحابه — بسبب حماسته المتقدمة — بأن العناية الإلهية قد اصطفته لغاية سامية ، وكانت هذه الشهادة من إخوانه الملتهمين غيرة وحماسة ، إيجاء قوياً ، أثر في عقل هذا الفريق في تأملاته وأفكاره ، وبعد أن أفرغ عليه الشيخ « حسين البشروئي » هذا اللقب .

وترجع هذه العكرة إلى أقدم أحاديث الشيعة التي تروى أن النبي قال : « أنا مدينة

(١) اشترك « البشروئي » بعد ذلك في الحروب الطاحنة التي دارت رحاها في البلاد بين « البابية » والحكومة ، وكان بطل معارك قلعة « الطبرشي » وفيها لاقى مصرعه

العلم وعلى بابها» (١) وقد كان هذا الحديث هو المخرج الوحيد الذي فسّر به السيد علي محمد دعوته ، عندما عقد له مجتهدو الشيعة في « تبريز » مجلساً ، لمناقشته في دعواه التي اعتبروها زندقة وصروقاً من الدين .

أما لفظة « الباب » هذه فقد استعملها « الإسماعيلية » عنواناً على « الشيخ » أو « الأساس » ، الذي يعلم الناس أسرار الدين ، أو الدعوة السريّة الإسماعيلية ، وكان سلمان الفارسي معروفاً بين « النصيرية » « بالباب » ؛ لأن أمر الدعوة كان معهوداً إليه بعد موت الرسول كما يزعمون واللفظة أيضاً كثيرة التداول عند الصوفية ، وعند بعض الفرق الباطنية تطلق على أركان الدعوة من الزعماء ، بمعنى أن هؤلاء الزعماء هم واسطة الدخول وسبب الوصول .

لم يتردد صاحبنا السيد علي فاعتقد أنه يؤدي رسالة سامية فوق مستوى البشر ، وأن أداءها هو نتيجة حتمية ملازمة للتطور التاريخي للإسلام ، والتحقق الكامل لرسالته العالمية ، وبعد أن أعلن أنه « الباب » الذي يُتوصل به إلى الإمام المستور « الذي يعدّ المصدر الأعلى لكل حقيقة وهداية » ، سرعان ما جال في روعه أنه أكبر من أن يكون واسطة للإمام الغائب فحسب ! وأن الله قد رفعه على هذا الإمام اقتصاداً في مراحل التطور الروحي ، واختصاراً لمراتب الهداية ؛ فاعتقد أنه « المهدي » الذي لا بد من ظهوره لإصلاح الكون وتخليص بني الإنسان من المظالم والظغيان ونشر العدالة بين البشر . . .

وهذه الدعوى العريضة من صاحبنا هذا ، واقتناع « الشيخية » بها ، وحرصهم على الذود عنها ، والدفاع عن مبادئها بالمال والدماء ، نستطيع فهمها وتفسيرها في سهولة ويسر ؛ فالشيخية جماعة من الشيعة الاثني عشرية ، انقادوا دون وعيٍ للأضاليل والأباطيل التي لفقها لهم الشيخ « الإحسائي » وتلميذه « الرشتي » حول

(١) رواه الترمذی

ظهور « المهدي » القريب ، والتبشير بهده ، والحث على طاعته والإيمان به ، تلك الأقاويل التي شغلت أذهان « الشيخية » واستقرت فيها لا تريم ولا تبرح ؛ وكيف وقد عيل صبرهم ونفد ، من طول انتظار إمامهم المستور محمد بن الحسن العسكري ، وهو في غيبته الكبرى بعد أن مرَّ على انتهاء غيبته الصغرى ما يقرب من عشرة قرون ، و « الشيخية » في تأييدهم للسيد على يعلنون ابتداء دور آخر ، يمثل فيه الإمام المنتظر بشخص مرئي مشاهد وهو « الباب » .

ويلاحظ الدارس لتاريخ هذا الدين أن « الشيخية » لم تدن جميعها بمزاعم السيد على « الباب » ؛ فقد رفض الحاج محمد كريم خان الكرماني الملقب بالأئيم ، هذه الدعوى وتابعه أشياع كثيرون .

يقول « الأئيم » إنه بالنظر لهذا الإثم العظيم والخطأ الكبير اللذين ارتكبهما السيد الباب بادعائه المهديّة ، قد وقع البداء في أمر ظهور المهدي وتأجل ميعاد قيامه ، ويجب ألاّ نتوقع بعد اليوم حدوث الظهور بسرعة ، وربما يمتد إلى ألف سنة أخرى^(١) . وأخذ « الأئيم » يصنف الكتب والرسائل في دحض مفتريات « الباب » ومزاعمه ، ومن جملتها « إرشاد العوام » و « رد الباب والبايية » .

والحاج محمد كريم خان هذا من شيوخ « الشيخية » ذوى النفوذ ، ومن أسرة كريمة ذات مكانة وفضل ، وكان الرجل عزيزاً في قومه ، بيد أنه كان دينياً متواضعاً فلُقب نفسه بالأئيم ، اعترافاً بذنوبه على سبيل الزلنى إلى الله ، وقد أكثر من إطلاق هذا اللقب على نفسه في مؤلفاته فيقول : « هكذا يقول العبد الأئيم كريم بن إبراهيم » إلى أمثال ذلك فاشتهر به ، غير أنه لسوء الحظ عندما أخذ الرجل يناهض « البايية » ويكثر من تفنيد مزاعمها والتشنيع بمبادئها ، استغل خصومه « البهائيون » - فيما بعد - لقبه هذا الذي اختاره لنفسه تواضعاً ، وقلبوه ضدّه ووسموه به على سبيل القدح والذم ، وقرنوه بالآيات القرآنية القائلة : « إن شجرة الزقوم طعام الأئيم كل لهل

(١) الكواكب الدرية - ١ ص ١٥٤

يفعل في البطون كغلى الجحيم » ، « خذوه فاعلوه ثم الجحيم صلوه » ، « ذق إنك أنت العزيز الكريم » .

ومهما يكن من شيء فقد نجح الرجل في محاربة « البابية » ، وانقسمت « الشيخية » بذلك طائفتين : « الشيخية البابية » الذين آزرُوا « الباب » وجاروه في مزاعمه ، و « الشيخية الكرمانية » الذين أنكروا هذه المزاعم ، والتفوا حول صاحبهم الكرمانى محمد عبد الكريم خان ، وهؤلاء مع رفضهم دعوى « الباب » يقولون بوجود وجود شخص كامل ، يتمكن من التوسط بين الإمام الغائب وشيعته ، ويجمعون على أن صاحبهم « الأئيم » محمد عبد الكريم كان يرى نفسه أنه هو ذلك الرجل الوسيط ، وأكبر الظن أن أتباعه أيضاً كانوا ينظرون إليه كذلك . . . ومهما يكن من دعوى هؤلاء وإنكارهم لما جاء به « الباب » ، فقد تمسكت « الشيخية البابية » بحقيقة أن السيد على محمد قد ظهر ، بعد أن مضى على غيبة الإمام الثاني عشر نحو ألف من السنين ، وتبعاً لأوهام الشيعة في هذا الانتظار ، فإن الإمام الثاني عشر سيظهر باسم « المهدي » الذى سيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، فتتحقق أمنيتهم التى طالما كانوا يجهلون بها تحت سياط من الظلم تلهب ظهورهم ، وأسيف من العدوان تعمل فى رقابهم ، من مختلف الحاكمين فى مختلف العصور .

وتزعم « البابية » أن الحقيقة الروحانية المنبثثة من الله ، قد حلت فى شخص صاحبهم « الباب » حلولاً مادياً جسمانياً ، وأن الأنبياء جميعاً من لدن آدم قد تجسدوا فى شخصه الكريم ، واتخذوا منه سبيلاً للعودة إلى الدنيا من جديد ، وكان « الباب » يرى نفسه الممثل الحقيقى لهؤلاء الأنبياء والمعبر عن رسالاتهم ، وترجع هذه العقيدة كما يقول الطيب الذكر سيد الباحثين العلامة « جولدزيهر » Goldziher ^(١) — إلى « الفنوصية » — وقد جاءت بها الفرق المسيحية التى خرجت على الكنيسة قبل ظهور الإسلام .

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام للعلامة « جولدزيهر » Goldziher ص ٢٤٣

وقد أعلن « الباب » غير مرّة أن هذا التجلّي للروح الإلهي ، الذي تجسد في شخصه لهداية البشر سوف يتجدد في المستقبل . وقد لاقى في سبيل تعاليمه هذه مقاومة عنيفة حادّة من فقهاء الشيعة ، فدعا أتباعه إلى بغضهم ، واتهمهم بالنفاق والتكالب على الدنيا ، وأظهر في دروسه ضدهم عناداً جريئاً ، ففسّر القرآن تفسيراً مجازياً حسب المعنى الباطني ، ولم يعن بفرائض الإسلام ، ولم يتمسك بقواعد الطهارة الإسلامية تمسكاً شديداً ، كما أوّل الجنة والنار وحساب الآخرة تأويلاً مخالفاً لما جاءت به شريعة القرآن ، بل سارع فأعلن في جرأة بطلان هذه الشريعة وانقضاء عهدها ودروس أحكامها . . . !!

وأكبر الظن أن صاحبنا هذا كان ينتوى الانسلاخ من الديانة الإسلامية منذ عهد بعيد مبكر جداً ، ولكنه تريت إذ رأى الخروج على هذه الديانة في أول بدايته بدعوته ، هدماً لهذه الدعوة من أساسها ، وتقويضاً لأركانها وموتاً لها في فطامها ، فأرجأ ذلك إلى أن يصلب عوده ويتسع نفوذه ويكثر أتباعه ، ويتضح ذلك لنا جلياً من خطاب أرسله إلى خاله — الذي كفله وآمن به ، واستشهد في سبيله بطهران — قد حبره إليه عام ١٢٥٩ هـ وهي السنة التي توفي فيها السيد « الرشدي » ، والتي تلاها مباشرة عامُ جهره بدعوته ؛ يقول « الباب » في هذا الخطاب :

« أعلموا الطلاب أن الأمر لم يصل إلى حدّ البلوغ بعد ، ولم يأت زمانه ؛ فلذلك أكون أنا وأجدادي الطاهرون غير راضين في الدنيا والآخرة ، وعن ينسب إلى غير ما أنا فيه من اتباع الفروع والمعتقدات الإسلامية^(١) . »

والذي نستشفه من هذه الرسالة أن « الباب » همس برغبته في التخلص من الشريعة الإسلامية لبعض تلامذته ؛ أو أن هذا البعض رأى من أستاذه هذه الرغبة فأذاعها ، ثم وجد « الباب » أن فيها خطراً كبيراً يكاد يقضى عليه وهو في نشأته ، فاصطنع الرجوع مرة أخرى إلى تعاليم الإسلام ، وكتب لخاله يتبرأ هو وأجداده

الطاهرون ، ممن ينسب إليه خروجاً على الإسلام ، وكبت رغبته في التخلص من هذا الدين إلى أن يأنس من نفسه القوة ، وهامى القوة تواتيه ، وها هو يجاهر بانقضائه عهد الشريعة الإسلامية ويعلن — في غير موارد و برضى من أجداده الطاهرين — بطلان أحكامها . . . !!

حاول « الباب » بعد ذلك في تعاليمه ، الإصلاح الاجتماعى فطالب — لكي يتسم دينه بالعالمية — بالإخاء بين كافة أفراد الجنس البشرى ، ولكنه لم يأت في ذلك بجديد خلقه ، بديلاً من قديم نقضه وأبطله ؛ فالإسلام يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويقول نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه : « لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ، وفي الإسلام : صهيب وعمار وبلال وسلمان في الميزان ، كأبي بكر وعمر وعلي وعمان .

وكذلك نرى أن ما قدّمه « الباب » في أوجه الإصلاح النسوى ، لتحسين حال المرأة والأخذ بيدها ، وإلغائه لحجابها ليس جديداً أو غريباً على الدين الإسلامى ، الذى فرغ من ذلك كله على أحسن نظام وأكمله منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

وما انتشرت تعاليم « الباب » التى تفترض انقراض الديانة الإسلامية حتى طار صواب الناس ، وفقدوا اتزانهم وثاروا ساخطين حنقين ، وكرث الأمر الحكومة الفارسية الإسلامية ، إذ بدت لها تعاليم « الباب » هذه على جانب كبير من الخطورة ، سواء من الناحية الدينية أو من الناحية السياسية ، فرأت أن تعالج الأمر أولاً بالحكمة ، فأكرهت « الباب » على الاعتكاف بشيراز ، وحظرت عليه انصاله بأحد ، وأخذت من خاله على ذلك الموائيق والعهود . وفي هذه الأثناء اجتاحت « شيراز » وباء الهيمضة (الكوليرا) فهاجر منها من استطاع إلى الهجرة سبيلاً ، ورأى حاكم المدينة أن ينجو بنفسه هو الآخر من هذا الوباء الفتاك ، ولكنه قبل أن يغادر شيراز « أمر « الباب » بالخروج منها والتوجه إلى أى بلد آخر شاء ، ليريح نفسه من عناء مراقبته ،

فامتثل « الباب » الأمر وأجابه بقوله: « لا مناص من الهجرة والسفر إلى بلاد آخر؛ حيث كانت الهجرة ولم تزل إحدى سنن الأنبياء، وقد قال السيد المسيح: لا حرمة لنبى في وطنه^(١)»، وهكذا نرى « الباب » أخيراً — بعد دعاواه السابقة — يدعى النبوة، ويدخل نفسه في عداد الأنبياء ويهاجر كهجرتهم!...

ارتحل « الباب » ذلك النبى الجديد إلى أصفهان عام ١٢٦٢ هـ، ومكث بها سبعة شهور كان فيها موضع التبجيل والإكرام، من حاكمها الطيب القلب معتمد الدولة «منوچهرخان»؛ الذى كلاًه بعينه ورعايته ودفن عنه الأذى والعدوان، وإن لم يكن برسالته، ولسوء حظ « الباب » مات معتمد الدولة — هذا الحاكم المسموع الكلمة، الخالص السريرة، والمحبوب من البلاط الفارسى — فى أواخر ربيع الأول عام ١٢٦٣ هـ، وكان له ابن أخ يدعى «كركين خان» ينتظر وفاته بشيء كثير من الصبر ليث ملكه، وكان فى الوقت نفسه يعادى «البابية»، فما إن مات عمه حتى سارع فوشى بالباب — فى تقرير مطول — إلى وزير الدولة الأعظم «ميرزا أفاسى» — أكبر أعداء «باب» — بطهران، وقد تقرب «كركين» بوشايته هذه إلى الحكومة الفارسية، علماً ترشحه لحكم أصفهان خلفاً لعمه «منوچهرخان» وقد تم له ما أراد، وطلب منه الوزير القبض على «باب» فوراً؛ وإرساله إلى طهران فأجابه إلى ذلك، ثم عدل بالباب — بأمر الوزير — إلى «تبريز» بأذربيجان، حيث أبعدها مرة أخرى إلى «ماكو» وهناك سُجن بقلعتها، وكانت مخصصة لسجن الخارجين على الدولة. وقد أخذ «باب» فى معتقله هذا يؤلف كتابه «البيان»، الذى أودع فيه مجموعة تعاليمه، وهو عند «البابيين» محل تقديس وإكبار. وبعد تسعة شهور من سجنه فى «ماكو» نقل عام ١٢٦٤ هـ إلى قلعة «جهرىق».

اشتد أنصار «باب» — بعد اعتقال صاحبهم — تفانياً فى الإيمان برسالته،

(١) الكواكب الدرية ١ - ص ١٢١

وقاموا بدعاية حماسية واسعة لمذهبه في أنحاء البلاد ، فأمن بها بطهران على يد « باب الباب » - الشيخ حسين البشروئي ، أحد الأركان الهامة في هذه الحركة - الأخوان « ميرزا يحيى نوري » الملقب بعد ذلك « بصُبُحِ أزل » وأخوه من أبيه الأوفر حظاً « ميرزا حسين علي نوري » الملقب فيما بعد « بهاء الله » ، وهما فرعان من دوحه كريمة ، ولهما في تاريخ هذه الديانة تاريخ.

وفي قزوین أعلنت « قرّة العين » إيمانها بالمذهب « البابي » ، على إثر مراسلات بينها وبين « الباب » ، والاسم الأصلي لهذه الفتاة - ذات الشأن في تاريخ البابية - أمّ سلمى هانم ، ثم سُميت « زرّين تاج » بمعنى التاج الذهبي ، لأن شعرها كان ذهبياً ، وهي كريمة « الملائح الباركاني » من أسرة معروفة بالعلم في قزوین ، وكانت الفتاة ذات ذكاء حاد وجمال بارع مشرق فتان ، وُلدت عام ١٢٣٠ أو ١٢٣١ هـ ، وطالعت كتب « الشيخية » ورغبت فيها ، وكان بينها وبين السيد « كاظم الرشدي » مكاتبات ، تسأله فيها عن بعض المسائل الغامضة ، وهو الذي لقبها « قرّة العين » ؛ قال العلامة « الأوسي » :

« القرّتیة أصحاب امرأة اسمها (هند) ، وكنيتها أمّ سلمى ، ولقبها قرّة العين ، لقبها بذلك السيد كاظم الرشدي في مراسلاته لها ؛ إذ كانت من أصحابه ، وهي بمن قلد (الباب) بعد موت الرشدي ، ثم خالفته في عدة أشياء : منها التكليف ، فقيل إنها كانت تقول برفع التكليف كلّها ، وأنا لم أحسّ بشيء من ذلك مع أنها بقيت في بيتي نحو شهرين ؛ وكمن بحث جرى بيني وبينها رفعت فيه حجاب التقية ، فرأيت من الفضل ما لم أراه في كثير من الرجال . وهي ذات عقل وأدب ، وفريده حياء وصيانة ، وقد ذكرنا من المباحثات في غير هذا المقام ما إذا وقفت عليه تبين لك أن ليس في فضلها كلام . والذي تحقّق عندي أن البابية والقرّتیة طائفة واحدة ، وهم يزعمون انتهاء زمن التكليف بالصلوات الخمس ، وأن الوحي غير منقطع ؛ فقد يوحى للكامل ، لا وحي تشريع ، بل وحي تعليم لما شرع من قبل ، ولنحو ذلك ،

وهو رأى بعض المتصوفة . وأخبرني بعض من خالطهم أنهم يوجبون على من نظر إلى أجنبية من غير قصد ، أن يتصدق بمثقال من الذهب ، وعلى من نظر إليها بقصد التصدق بمثقالين منه ، وأن منهم من يجي الليل بكاء وتضرعاً ، وأنهم يخالفون الاثنى عشرية ، ويكفرونهم ، ويرأون منهم . وهكذا حال هذه الفرقة مع كل من خالفها^(١) .

قال الباحثة الفارسية « ميرزا عبد الحسين آواره » معقباً على قول الأوسى :
« وما لاريب فيه أن مازعه هذا الفاضل (يعنى الأوسى) عن تسمي قرّة العين بهند غير صحيح ؛ فإنه من المستبعد استعمال هذه التسمية بين الشيعة ، لا سيما بين أكابر العلماء منهم ، أضف إلى ذلك أن هذا التسمي لم يرد في كتاب ما غير كتابه ، ولم يُسمع من أحد قط ، والمحتمل أن يكون الحادى به إلى هذا الزعم ، اعتباره كلمة « أم سلمى » كنية طبق القاعدة العربية المتبعة بين العرب ، فتوهم هذه التسمية ، وفاته أن كلمة « أم سلمى » كانت ولم تزال تُستعمل بمثابة الاسم في بلاد العجم ؛ فيتضح من ذلك إذاً أن اسمها كان كما ذكرنا أى « أم سلمى » . نعم لقبها قرّة العين كما قال ، وأن السيد الرشتي لقبها بذلك . ونقول إنها لُقبت بعد ذلك بالطاهرة ، لقبها بذلك حضرة « الباب » ، وأهل البهاء يذكرونها في أكثر محادثاتهم بهذا اللقب الأخير^(٢) .

أخذت الدعوة « البابية » - كما قلنا - في الانتشار ، وكثر أتباعها وعظم شأنها ، حتى عدّ خطراً يهدد كيان الدولة الفارسية ، فأجمعت الحكومة على استئصال شأفة « البابين » ، وابتدأت سلسلة طويلة من المعارك الدموية ، والمجازر البشرية بينها وبينهم ، وجيء بالباب من سجنه إلى « تبريز » ؛ حيث أُعدم رمياً بالرصاص

(١) الكواكب الدرية - ١٥ ص ١١٥

(٢) المصدر السابق ص ١١٦

في ٢٨ شعبان عام ١٢٦٦ هـ = ٩ يوليو عام ١٨٥٠ م ، ومع أن الرمية الأولى أخطأته ، وعدّها أصحابه معجزة ، فقد أصابت منه الثانية مقتلاً ، ثم مُثِّل بجثته أشنع تمثيل ، وطُرح جسمانه في حفرة قذرة ، انتشله منها أتباعه سرّاً ، حيث قاموا بدفنه في طهران ، وقيل دفنه خليفته « بهاء الله » في عكّا ؛ وبهذه الخاتمة انتهت حياة النبي « على محمد » على أشنع صورة وأشنعها .

وقد تعقبت الحكومة أتباعه في كل سهل وجبل ، وجدّوا في أثرهم ، ففثروا عقدم شذر مذر في ٢٨ شوال سنة ١٢٦٨ هـ = ١٦ أغسطس سنة ١٨٥٢ م ، وأخرجوا الأخوين « صُبْح أزل » و « بهاء الله » إلى بغداد ، ثم أرسلوا إلى « أدرنه » باتفاق بين الدولتين العثمانية والفارسية ، ثم وقع الخلف بين الأخوين ، فنفت الحكومة التركية « بهاء الله » إلى قلعة عكّا و « صبح أزل » إلى جزيرة قبرص . أما « قرّة العين » فقد أخرجوها قبل ذلك التاريخ إلى بغداد ، حيث نزلت في بعض منازل أعيانهم ومنهم العلامة « الأوسى » كما حدثنا هو بذلك ، بيد أن حكومة الأستانة لم ترض عن بقاء هذه المرأة في بغداد ، فأخرجتها ثانية إلى إيران .

وهكذا انتضى الدور الأول من دورى هذا الدين المحدث ، على أن الرواية لم تتم فصولا ، فقد قام بالدور الثاني في هذه المسرحية البابي « بهاء الله » باسم جديد ، بل دين جديد هو « البهائية » . . . !

البهائية

بعد مقتل «الباب» دبّ الشقاق بين صفوف «البايية» عنيفاً صارخاً ، ويرجع ذلك إلى أن صاحبهم ترك - بعد أن لاقى حتفه - تلميذين أخوين ، كان قد اصطفاهما وخصهما لهداية البشر ، فأمن بكل واحد منهما فريق ، وادّعى أن صاحبه هو وحده المترجم الأمين لتعاليم «الباب» ، وقد التفّ الأقولون حول «صُبح أزل» المبعّد إلى جزيرة قبرص كما أسلفنا ، وكان هذا - لجُود في تفكيره - يرغب في إبقاء «البايية» على الصورة التي تركها عليها مؤسسها ، وأتباعه - تبعاً لذلك - هم «البايون» المحافظون . أما الأكترون فقد انفصوا حول أخيه من أبيه ، ذلك الرسول الآخر المبعّد إلى عكّا «بهاء الله» .

ويزعم أتباع «البهاء» أن «الباب» لم يصطف أحداً للقيادة غير صاحبهم ، وأنه أكثر من التصريح بذلك بله التلميح ، وقد وضع اسم «بهاء الله» في «البيان» وعبر عنه «بمن يظهره الله» ، وأمر الناس بطاعته والانقياد له ، بيد أن «الباب» وهو في محنته خاف أن تمتد يد السوء إلى مصطفاه «بهاء الله» فأغفل أمره محافظة عليه ، وأعلن اصطفاء أخيه «صُبح أزل» ، الذي كان يعلم سوء دخلته وفساد طويته ، راجياً بذلك أن يظل أمر «البهاء» سرّاً مكتوماً ، فيسلم من الأذى ويشتهر أمر أخيه فيفضي عليه ، وبذا يفتدى «البهاء» صفية الأوحى بأخيه الدعوى «صُبح أزل» .

وُلد «ميرزا حسين علي نوري» الملقب بهاء الله ببليدة «نور» من أعمال «مازندران» في الثاني عشر من نوفمبر عام ١٨١٧ م ، وعند ما أعان «الباب» السيد علي محمد رسالته ، وصدع بها عام ١٨٤٤ ، كان «بهاء الله» شاباً ممتلئاً في السابعة والعشرين من سني عمره ، وقد آمن بالدعوة على يد أكبر دعواتها وأعظم أساطينها ، الشيخ الداعية حسين البشروئي «باب الباب» ، ثم التحق «بهاء الله» بالباب ،

وصار من أبرز تلامذته المخلصين ، وما زال معه يناضل ويكافح ، حتى فصلت الحكومة بينهما بفتكها بالباب ، ثم بنفى « البهاء » إلى البلاد التركية ، ومنها إلى مدينة « عكا » .

ولما كان « الباب » قد أعلن غير مرة ، أن الروح الإلهية التي تجسدت في شخصه لهداية البشر سوف يتكرر تجسدها في المستقبل ، فقد رغب تلميذه الواسع المطامع - بعد عام ١٨٦٠ م إبّان إقامة « البابين » المنفيين في أدرنة - في أن يبادر فيسعى إلى تحقيق المرحلة الثانية في النظام الدوري التعاقبي ، فأعلن أنه « المظهر الأكمل » الذي بشر به أستاذه ، والذي يتيسر بواسطته الارتفاع بالرسالة إلى مرتبة أعلى من مراتب الكمال . فعلى محمد « الباب » كان السابق المهد لظهور « بهاء الله » ، الذي عادت الروح الإلهية للتجسد في شخصه ، لكي تنجز على الوجه الأكمل ، العمل الذي ابتدأه ومهد له الداعية على محمد المبعوث من قبله ، فبهاء الله أعظم درجة من « الباب » لأن « الباب » « قائم » ، أما « البهاء » فهو « القيوم » أي الذي يظل ويبقى ، وقد اعترف « الباب » نفسه بأن من سيخلفه سيكون أعظم منه ، وذلك في قوله : « إن الذي يجب أن يظهر في يوم من الأيام لهو أعظم من ذلك الذي سبق ظهوره ^(١) » .

وقد آثر « بهاء الله » أن يتسمى باسم « مظهر الله » أو « منظر الله » ، الذي يُحتلى في طاعته جمال الذات الإلهية ، وهو الصورة المنبعثة عن الجوهر الإلهي ، ومعرفة هذا الجوهر لا تتيسر أبداً إلا عن طريقه هو ، وقد رأى فيه أتباعه « البهائيون » أنه كائن فوق مستوى البشر ، وأسبغوا عليه كثيراً من الصفات الإلهية . ولما احتدم النزاع بين « بهاء الله » وأخيه لأبيه « صبح أزل » أو بعبارة أخرى بين « البابين » المحافظين « والبهائيين » ، حول مبادئ « الباب » وتطورها ، أو الوقوف عندها ، فرقت الحكومة التركية بين الأخوين ، فأخرجت « صبح أزل »

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام لجولدزيهر Goldziher ص ٢٤٤ من الترجمة العربية .

منفياً إلى قبرص ، و « بهاء الله » مُبعداً إلى عكّا ، حيث استقرّ بها مقامه ، فألقى عصا
ترحاله ، وأخذ يبدط قواعد ديانته الجديدة ، التي لم يعارض بها فحسب الشريعة
الإسلامية^(١) ، وإنما عارض بها أيضاً الديانة « البائية البيانية » أي البايين الجامدين ،
الذين يناوئون الإصلاح ولا يريدون أن يتجاوزوا كتاب « البيان » . . .

وقد اعتبر « بهاء الله » نفسه مظهراً للروح الإلهية ، التي تجسدت في شخصه لإنقاذ
كافة النوع الإنساني ، وتحقيق المساواة والإخاء بين البشر جميعاً ؛ فاعتبر رسالته
عالمية ، وبعث بكتبه إلى مختلف الدول في العالمين القديم والجديد ، ودعا رؤساء
الجمهوريات الأمريكية « ليستمعوا إلى سجع الحمام على أفنان الأبدية^(٢) » .

ولعلّ من الأسباب الفعالة القوية التي ساعدت « بهاء الله » على رفعة قدره ،
وعلو شأنه بين أتباعه ، حتى بلغ عندهم مرتبة السكّان الإلهي ، ما امتاز به من
مواهب التنبؤ بالغيب والفراسة الصادقة ، ويحدثنا الرواة أنه بعث لنايليون الثالث
برسالة ، تنبأ له فيها بسقوطه الداهم قبل هزيمة « سيدان » بأربع سنوات^(٣) ،
وهكذا كانت أمثال هذه النبوءات ، التي يتاجر بها المشعبدون ، خير تمهيد عند
أتباعه لقبول أباطيله وأراجيفه ، دون نقد أو تمحيص .

وقد حتّ « بهاء الله » أتباعه وتلاميذه على العناية بدراسة اللغات الأجنبية ،
حتى يتهيأ لهم الاستعداد لبعث البعوث التي تقوم بالدعاية والتبشير لديانته العالمية ،
هذه الديانة التي يرى فيها صاحبها أنها جديدة بجمع شمل الإنسانية تحت لوائها .

وقد تحرّر النبي « بهاء الله » من كل القيود الدينية ؛ الإسلامية^(٤) منها
أو الخاصة بالديانة « البائية » القديمة ، التي انسلخ منها وأوسعها نقداً وتجريباً ، بعد
أن كان من أشد الناس تحمساً لها وانتصاراً لمبادئها ، وقد افترض صاحبنا أن الشريعة

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد زيهر Goldziher ص ٢٤٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٦

(٤) نفس المصدر .

الإسلامية قد نُسخت تماماً، وأن عهداً قد انقضى وباد؛ فبطلت أحكامها وأصبحت تاريخاً من التاريخ، فلحقت بذلك بالديانات البائدة^(١). . وهو في هذا يترسم خطأ أسقاده « الباب »

وقد جاءت ديانتها بطقوس وأوضاع جديدة للصلوات والعبادات؛ فنسخت صلاة الجماعة بمراسمها الخاصة، وأمرت الناس بالصلاة فرادى، ولم تحتفظ بصلاة الجماعة إلا في الصلاة على الموتى، على أن الصلاة نفسها تختلف في « البهائية » عنها في الإسلام اختلافاً جوهرياً في أقوالها وفي أفعالها، وحتى في التنبؤة فقد حولتها « البهائية » من مكة إلى المكان الذي يقيم فيه « البهاء » - ذلك الذي جعله الله مظهراً من مظاهره - تدور معه حيثما دار وأينما حل^(٢)

وقد عالجت « البهائية » الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية؛ فحُرمت الحرب تحريماً قاطعاً إلا دفاعاً عن النفس، كما منعت الرق منعاً باتاً؛ لأنها تدعو إلى المساواة بين أفراد الجنس البشري، وقد جعلت من هذه المساواة لبّ تعاليمها؛ فعنّف « بهاء الله » - فيما زعم أنه سورة أوحيت إليه سمّاها سورة الملوك - سلطان تركيا تعنيفاً شديداً؛ لأنه فرّق في الحقوق والامتيازات بين طوائف السكان^(٣)

واتجهت « البهائية » أيضاً نحو الصّلات الزوجية، فعملت على إصلاحها وتنظيمها، وهي التي سبق أن وجّه « الباب » إليها الكثير من عنايته، ومثّل « البهائية » الأعلى في هذا الصدد، هو الاقتصار على زوجة واحدة، بيد أنها قد أباحت التزوج باثنتين في حالات خاصة مستثناة، مع ملاحظة أن ذلك هو الحد الأقصى لتعدد الزوجات. وأقرت « البهائية » الطلاق، ولكن في حدود الضرورات الإنسانية، وهو يختلف في بعض صورته عما جاء في الشريعة الإسلامية^(٤). وليس للوظائف الكهنوتية وجود

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٤٧

(٢) نفس المصدر .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٦

(٤) المصدر السابق

عند « البهائية » ، وكل معتنق لهذه الديانة العالمية — كما يزعم مبتدعوها — عليه أن يخصص نفسه لأداء عمل منتج نافع للمجتمع الإنساني كله .

ولا يشك لقيف من الباحثين في أن مبادئ « بهاء الله » الأخلاقية ، إنما هو صدق المسيحية ، غير أنه يدعى نظاماً دينياً ، وفكرة ترجع في أصلها إلى انتظار رجوع الإمام الثاني عشر الشيعي محمد بن الحسن العسكري ، ويقول هؤلاء الباحثون : « ومهما كان مقدار ما أضافه بأسلوبه في اختيار الآراء المستحسنة لتوسيع تعاليمه ، فإن نفوذه يستند على ادعاءات « الباب » الذي وجد فرصته للظهور في اضطراب « الشيخية » في انتظار عودة الإمام الغائب » .

وقد أصبحت الحركة « البابية » منذ قيام « بهاء الله » هذا بدعوته لا تنسب إلى « الباب » ؛ فقد آثر الناس أخيراً أن يطلقوا على هذه الفرقة — التي تفرعت عن مذهب السيد علي محمد الباب ، والتي انتشرت تعاليمها شيئاً فشيئاً ، حتى اكتسحت بصنف المذاهب الأخرى المنافسة لها — اسم « البهائية » ، وبه أيضاً تسمى أتباعها ليمتازوا بذلك عن الحفنة الباقية من « الباييين » المحفظين أتباع « صبح أزل » المستمسكين — في جمود — بكتابتهم « البيان » معتبرين الخروج على تعاليمه قيد أملة ، خروجاً على ديانة « الباب » السماوية .

وقد توفي « بهاء الله » في ١٦ مايو عام ١٨٩٢ م ، وانتقلت بذلك رسالته إلى ولده وخليفته « عباس أفندي » الملقب « عبد البهاء » و « عُصْنِ أعظم — دون أن تلاقي بهذا الانتقال معارضة تذكر ، وقد وسَّع « عبد البهاء » في التعاليم التي ورثها عن أبيه ، وسعى تدريجياً في أن يوفق بينها وبين صور التفكير الغربي الحديث ، فاقتربت « البهائية » من هذا التفكير اقتراباً ملحوظاً ، كما سعى « عباس أفندي » للتحلل بقدر الإمكان من وطأة الخرافات الأسطورية وأضاليل الخوارق ، التي كانت لا تزال عالقة بالمراتب الروحية السابقة ، إن لم يكن قد انتبذها كلها جانباً وطرحها وراء ظهره لا يلقى على شيء . وكثيراً ما استعان بأسفار العهدين القديم

والجديد في تطعيم رسالة أبيه ، محاولاً بذلك أن يؤثر في بيئات أوسع مدى ، من تلك التي نشر فيها أبوه ديانته الجديدة .

وقد توفى « عبد البهاء عباس » بمدينة حيفا عام ١٩٢٢ م بعد عمر مديد ، إذ شارف الثمانين ، ويلوح أنه كان شخصية فذة قوية جذابة ، حتى لقد أنس به وأحبه ، الكثيرون ممن ليسوا على دينه ، وجزعوا لموته جزعاً كبيراً .

وقد انتشرت الديانة « البهائية » انتشاراً واسعاً في أوروبا وأمريكا ، لا سيما عند ما قام الدكتور « خير الله » — أحد أتباع « عبد البهاء » المعجبين به ، المتحمسين لديانته — بجولة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٢ ، لإلقاء محاضرات تبشيرية للدعوة إلى هذا الدين ، فنجح في مهمته نجاحاً كبيراً ، واستطاع بذلك جذب الآلاف من الأمريكيين إلى حظيرة « البهائية » .

يقول سيد الباحثين العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« إن النزعة العالمية الواسعة التي انصفت بها البهائية ، قد جمعت حولها الأتباع والأبصار ، لا من مساجد المسلمين فحسب ، بل من كنائس النصارى وبيع اليهود ونيران الجوس »^(١) .

وهكذا ازداد أعوان هذا الدين وأتباعه ، وإن كان من العسير على الباحث إحصاؤهم ؛ ويرجع ذلك إلى تكتم « البهائيين » واصطناعهم التقية وعدم الجهر بمعتقداتهم ، المناقضة تماماً للديانة الإسلامية ، وادعائهم أن هذه الديانة قد انقرضت وبطلت أحكامها ، وأن بهائيتهم دين جديد ؛ مما أثار عليهم الرأى الإسلامى العام ، وحرابهم كبار رجاله كالسيد جمال الدين الأفغانى — ذى النزعة الفلسفية ، وباعث النهضة الحديثة في الشرق — فاضطر البهائيون إلى الانزواء ، واصطناع التقية ، وإحاطة ديانتهم بسياج من السرية والسكران ، إلا حيث يجدون منتفساً في البيئات التي لا تدين حكوماتها بالإسلام .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٤٨

ونلاحظ أن بعض اليهود المتحمسين للبهائية ، قد بلغ بهم الأمر أن عكفوا على أسفار العهد القديم ، واستخرجوا منها بزعمهم ما ينبغي عن ظهور « بهاء الله » وولده « عباس » ، فحشروا « البهائية » في زمرة الأديان المنزلة ، المبشر بها في الكتب السماوية المقدسة^(١) .

على أننا نلاحظ أيضاً - كما لاحظ غيرنا من الباحثين - أن كلمة « بهائي » في البلاد الفارسية في العصر الحاضر قد تحورت تحوراً كبيراً ؛ فهي لا تعطينا الاندماج في هذا الفرع الأخير من « البابية » فحسب ، بل تعطينا أيضاً معنى التحرر من الديانات جميعاً ، وأن الكثيرين ممن يلقبون بها ، ليسوا في الواقع إلا عقليين ماديين لا يعترفون بدين ما^(٢) .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٥٠

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٩

المهدية في الهند

الإسلام في الهند :

يقول العلامة الفرنسي المسمى « كورديه » Cordier : « إنه لم توجد ديانة من الديانات الكبرى ، لا الزرادشتية ، ولا البوذية ، ولا النصرانية ، انتشرت بسرعة انتشار ملة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فإنها بدون عَضْد امتدت في ثلاثة قرون من البرانس إلى هماليا ، ومن قلب آسيا إلى قلب أفريقيا .

« ولم تكن أسباب سرعة هذا الانتشار سوى ضعف مملكتي بيزنطة وفارس ، وحماسة العرب الفاتكة وفروسيتهن الباهرة ، وسذاجة العقيدة التي نشروها ، ثم باختلاط الغالبين بالغلو بين تولدت هذه الحضارة الإسلامية التي لمعت لمعاناً شديداً ، بينما كان الغرب هائماً في الظلمات » (١) .

وقد عرف تجار العرب المسلمون البلاد الهندية قبل فتحها باسم الإسلام ، وأكبر الظن أن هذا الدين الخفيف ، قد دخل هذه البلاد — أول ما دخل — على أيديهم كبشرين ثم افتتح المسلمون السند وجانباً من الهند في صدر الإسلام ، إلى أن أكمل الفتح ناصر الملة ويمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي حوالي عام ١٠٠١م فرسخت قدم الإسلام في الهند من بعده وحفقت ألويته ؛ وكان إسلاماً سنيّاً ، ثم ارتحل إليها التشيع أول ما ارتحل من فارس حوالي عام ١٥١٢ م ، والتشيع هناك يكاد يكون إسماعيلياً ، والإسماعيلية بأصولهم العربية والهندوسية ، يؤلفون شطراً كبيراً من الإسلام الهندي ، ويتزعمهم الثرى الإسماعيلي المعاصر « أغاخان » .

ونحن مدينون بمعرفتنا لحالة الإسلام في الهند ، لتلك البيانات الرائعة التي حدثنا بها العلامة الطيب الذكر « جولدزيهر » Goldziher في كتابه القيم الممتع حقاً :

(١) « حاضر العالم الإسلامي » : (تعليقات شكيب أرسلان) - ٢٠ ص ٢٦١ الطبعة الثانية .

« العقيدة والشريعة في الإسلام » ، وهي حالة تستحق من الباحثين — كما يرى « جولد زيهر » بحق — عناية خاصة ، ودراسة مستقلة لما فيها من ظواهر فريدة لا امتزاج الوثنية بالإسلام^(١) ، لا نكاد نعتز عليها في أي قطر آخر من تلك الأقطار التي افتتحها وغزاها هذا الدين الحنيف ، ولا بدع فالهند قارة متباينة الأجناس ، مختلفة اللغات ، تموج فيها أنواع شتى من الديانات ، ولا يكاد يربط بين ساكنيها رباط من جنس أو لغة أو عقيدة^(٢) .

يقول العلامة الأمريكي « لوثروب ستودارد » Lothrop-Stoddard :

« الهند بلاد الغرائب والمتناقضات ، تشتمل على وحدة جغرافية طبيعية ، من حيث إنها لم يتألف فيها شيء من الوحدة السياسية في عصر من خاليات عصورها ، ولما كانت البلاد زاخرة بمختلف من الأقسام المتحدرة من الأروم المتنازعة والعروق المتقاطعة في كل عصور التاريخ ، كان ذلك مذهباً حولها وقوتها فعبزت عن صدّ الفاتحين ، ولم تقو على الوقوف في وجه أهل الغلب والاجتياح ، الذين توالوا عليها دوراً بعد دور .

« وليس هذا بالأمر الغريب ، وأهل البلاد المتباينون عرقاً وأرومة ، لم يحتلوا بعضاً ببعض ، بل ظلوا منقسمين انقسامات لا تحصى ، يتعادون ويتنازعون وهم على ما لا نهاية له من الفوارق ، دماً ولغة وتهذيباً وديناً^(٣) » .

والفتح الغزنوي لتلك القارة ، وإن كان بلا ريب قد استحدث شيئاً وأضاف للحضارة الهندية جديداً ، إلا أنه لم يستطع قط أن يغير أو يبدل من الأشكال

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٢٥١ وما بعدها .

(٢) انقسمت القارة الهندية أخيراً ، بعد جهاد طويل إلى مملكتين مستقلتين استقلالاً داخلياً ، وهما « هندستان » أو « الهند » الهندوسية ، و « باكستان » الإسلامية ، ويخضعان في سياستهما الخارجية للسياسة البريطانية ، وقد انفردتا أخيراً بالاستقلال أيضاً في هذه السياسة ، حتى لقد جنحتا في بعض الأحيان للناحية المضادة للسياسة البريطانية ، مما جعل لها مكانة فريدة بين دول العالم ، وإن كانت الاضطرابات والقلق — مع الأسف الشديد — تسود بين المملكتين حول موضوع « كشمير » الذي لم يجد حلاً حتى الآن .

(٣) أنظر حاضر العالم الإسلامي : The New Word of Eslam « الترجمة

العربية » ص ٤٧٧ الطبعة الثانية .

المختلفة للديانات الهندية ، التي احتفظت بكامل كيائها في المجتمع الهندي إبان الحكم الإسلامي . ومع أن الديانة الإسلامية قد استطاعت حقاً أن تغزو هذا المجتمع المعكك المنحل ، وتصل من النجاح إلى حدّ انزواء « البراهمية » ، وإسلام الكثيرين من أتباعها ، إلا أننا نجد أن القرآن الكريم — وهذه ظاهرة ملموسة — لم يحقل قط من نفوس هؤلاء المسلمين مركز « الثقيدا » (١) .

والباحث في علم الأديان المقارن — والهند مدرسة كبرى لذلك العلم — يستطيع بسهولة ويسر أن يضع يده على تلك الآثار البارزة ، التي حدثت نتيجة لتلقيح أديان القارة الهندية المختلطة للدين الإسلامي ، ذلك الدين الجديد الوافد إلى أراضيها من بعيد ؛ فهؤلاء البراهميون الذين خرجوا من « البرهمية » ليدخلوا حظيرة الشريعة الإسلامية أفواجاً وجماعات ، قد نقلوا معهم — دون شك — إلى حياتهم الإسلامية الجديدة الكثير من آرائهم ومبادئهم وتعاليمهم الاجتماعية والدينية ، كما قاموا في الوقت نفسه بتعديل بعض التعاليم السائدة في الإسلام ، تعديلاً يتفق وعقائدهم الهندية الماضية ؛ فتقدّس الأولياء — المنتشر في بيئات العامة من المسلمين — رغم كونه ليس من الإسلام في شيء ، قد هيأ — مع الأسف — مجالاً كبيراً للشعائر الهندية الشعبية ، في أن تتسرب وتنساب إلى الدين الإسلامي فتغزوه بقوة وبجاح ، وقد تفاقم أثرها في هذا الدين شيئاً فشيئاً ، حتى أنتجت — ولاسيما في التشيع الهندي كما لاحظ ذلك بحق العلامة « جولدزيهر » Goldziher — ظواهر دينية فريدة تسترعى النظر ؛ فقد تحولت الآلهة الهندية القديمة إلى مجموعة من الأولياء ، وصبغت الأماكن المقدسة بالصبغة الإسلامية ، فامتزجت الديانات الوثنية بالإسلام ، حتى يرى الباحث أن العبادة الظاهرية المحضة لله الواحد ، والتلاوة السطحية للقرآن ، واتباع السنن الإسلامية دون نظر أو تفكير ، قد قامت بجانبها بصورة قوية صريحة عيادة الموتى والشياطين وغيرها من الأساطير الهندية القديمة (٢) .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٥١

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٢ .

ويقول الدكتور « تيتوس » :

« في بلاد كالهند نرى غالب المسلمين فيها من الطوائف الهندوكية الدنيا ، التي اعتنقت الإسلام إما رهبة من القوة الحربية ، أو رغبة في نوال أسر يرجونه ، أو بدافع الإغراء . وإسلام هؤلاء كان بطبيعة الحال إسلاماً سطحياً ، فلم تصل روح هذا الدين قط إلى قلوبهم ، وإنما لئرى بين هؤلاء طوائف كبيرة متفرقة ، تتم حياتها الدينية والاجتماعية في كل مناسبة تقريباً عن أصلها الهندوكي ، وهي مزيج غريب من القديم والجديد ، ولا نعجب من هذا كثيراً فجيوش المسلمين قد زحفت على البلاد موجة بعد موجة في فترات مختلفة ، واستمر ذلك قرناً ، وكان ضغط البيئـة الوثنية على من اعتنقوا الإسلام كبيراً ، وقد قام بجانب هؤلاء المسلمين ، جيرانهم وأقاربهم الوثنيون فلا عجب أن تبقى عبادة الأوثان في القرى كما كانت ، وأن تبقى العقائد الوثنية قائمة ، وأن يظل الفسـس البراهمة يؤدون عملهم ، وأن تظل الأعياد الهندوكية مرعية . وليس موطن العجب في أن يتمسك الناس بهذه العقائد والعادات الموروثة ، بل العجب أنهم مع ذلك يدينون بالإسلام^(١) ! » .

وهذه الحالة المؤسفة حقاً في الإسلام الهندي ، قد آلمت الكثيرين من رجال الإسلام السنّي بالهند ، المتأثرين إلى حد كبير بالتعاليم الوهابية الصارمة ، فدفعتهم إلى العمل على تطهير الإسلام مما شابه من الشوائب ، والرجوع به إلى حالته الأولى النقية الخالصة مع الحيولة دون تعلق المسلمين بالأولياء ، الذين ليسوا في الواقع سوى صورٍ منقولة عن آلهة الديانات الهندية .

وفي هذا المعترك قام الكثيرون من دعاة « المهديّة » في الهند ، ينشدون الإصلاح بدافع من غيرتهم الدينية ، ويطول بنا المقام لو تحدثنا عن هؤلاء الدعاة جميعاً ، فسنقتصر دراستنا على اثنين منهم كانا أبعدهم خطراً ، وأعظمهم أثراً ، هما أحمد الباريلي وأحمد القادياني .

(١) عن « وجهة الإسلام » بتصرف تعريب محمد عبد الهادي أبي ريدة .

الباريلية

دفعت النزعة الوهابية في الهند حفيداً للحسن بن علي^(١)، هو السيد أحمد بن محمد الباريلي على القيام برسالته الإصلاحية، وأدعائه المهديّة. وقد ولد صاحبنا هذا بمدينة « بريلي » في غرة المحرم عام ١٢٠١ هـ = ٢٤ أكتوبر عام ١٧٨٦ م، وتلقى دروسه الأولى بمدينة « لكنهؤ »، ثم حدها تعطشه للعلم وشغفه به إلى التوجه إلى « دهلي » حيث درس عام ١٢٢٢ هـ = ١٨٠٧ م على الشاه عبدالعزيز الصفوي، المتمتع إذ ذاك بنفوذ علمي واسع، وهو الابن الأكبر للصوفي الكبير الشاه وليّ الله، الذي كان من أشد الناس تأسفاً على حالة الإسلام في الهند، وشوقاً إلى تطهيره من أدران الوثنية الهندية، حتى ليقال إنه هو الذي أوحى إلى السيد أحمد الباريلي، بأن يقوم بدعوته بعد أن مال إليه وأنس منه الإخلاص للدين، وصدق العزيمة في الجهاد. وقد تمكن ذلك الصوفي الكبير من إقناع الشاب — كما يقول الرواة — بأنه « صاحب الزمان » و « المهدي » المنتظر، الذي يتم على يديه صلاح حال المسلمين في الهند؛ فبادر السيد أحمد وأدعى المهديّة، وسرعان ما ذاع صيته، وامتد نفوذه، واعتنق آراءه الوهابية آلاف المسلمين، وبويع له في كل مكان على أنه « المهدي » المنتظر. وقد عمل هذا المهدي الجديد خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر، على نشر المذهب الوهابي في بقاع مختلفة من الهند الإسلامية، كما جدّ في تنقية الدين الإسلامي الحنيف من أدران الوثنية الهندية، التي غشيتها غشياناً ظاهراً، بصورة صارخة في عبادة الأولياء وما يتصل بها من التقاليد الأسطورية، مما ياباه الإسلام الصحيح وتفكره الوهابية — بحق — أشد الإنكار. ولم يدخر « الباريلي » جهداً في القيام بدعاية تبشيرية دينية واسعة النطاق بين الهنود، لترغيبهم في اعتناق الديانة

(١) يزعم الرواة أنه الحفيد السادس والثلاثون. !، أنظر: دائرة المعارف الإسلامية

الإسلامية ، حتى ليقول بعض المؤرخين في هذا الصدد : إن نيفكاً وأربعين ألفاً من الهندوس قد اعتنقوا الإسلام تحت تأثير دعوته القوية^(١) .

وفي عام ١٢٣٢ هـ = ١٨٢١ م اعتزم مهدي الوهابية الهندية زيارة الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج ، وفي طريقه إليها عرج على « كلكتا » فأقام بها عدّة أشهر يبت فيها دعوته الإصلاحية ، وقد كانت في جملتها ترمي إلى إعادة الحياة الإسلامية إلى بساطتها الأولى ، ثم توجه إلى الحجاز حيث أدّى فريضة الحج ، وبعد عامين أي حوالي ١٨٢٣ م عاد إلى الهند وهو أكثر حماساً لمبادئه ، وأشدّ غيرة وأمضى عزيمة .

وأكبر الظن أنه رأى أن الوسائل السلمية لا تجدي في نشر دعوته ، رغم ما أحرزه من نجاح ، فأخذ يعدّ العدة لإعلان الجهاد في « البنجاب » متذرعاً بتحرير المسلمين القاطنين في ذلك الإقليم من نير « السيخ » ، ولما وثق السيد أحمد من معاونة مسلمي « كابل » و « قندهار » قام بمحلمته عام ١٢٤١ هـ = ١٨٢٦ م ، وسار في جيش لجب وجموع غفيرة من أنصاره المتحمسين ، واشتبك مع « السيخ » في معارك دامية ، وبعد عدة أعوام كانت الحرب فيها سجلاً بين الفريقين . نشبت المعركة الفاصلة في « بالكوت » عام ١٢٤٦ هـ = ١٨٣١ م ، وفيها دارت على المهدي الدوائر فلاقى مصرعه ، وفرت فلول جيشه المتحطم لاتسكاد تلوى على شيء ، ومع أن مغامرة الجهاد ، وما ارتبط بها من محاولات سياسية ، قد انتهت - كما يقول العلامة « جولزيهير » Goldziher - بهذه النهاية المؤلمة ، إلا أن الحركة الدينية التي ابتعثها المهدي الوهابي « أحمد الباريلي » بين الجماعات الإسلامية ، ظلت بعد وفاته قوية الأثر في الإسلام الهندي^(٢) .

(١) أنظر دائرة المعارف الإسلامية . مجلد ١ ص ٤٩٦

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٥٣

الأحمدية أو القاديانية

على أطلال « الباريلية » المتهدمة ، وبدافع من الغيرة الدينية ، قامت أحدث فرقة إسلامية في العالم الإسلامي وهي « الأحمدية » الفاجمة من « البنجاب » — أو أرض الأنهار الخمسة ، وهي إحدى الولايات التي تشغل الركن الشمالي الغربي من الهند ، وتعتبر اليوم أهم جزء في كيان دولة « باكستان » الهندية الإسلامية الوليدة — ففي « قاديان » إحدى مدن البنجاب وُلد — حوالي منتصف القرن التاسع عشر — مؤسس هذه الفرقة « ميرزا غلام أحمد القادياني » وسط معتزك متضارب من التيارات العقلية ، ولما شبَّ واكتمل ، اتخذ من سلفه « أحمد الباريلي » أستاذاً ، وادّعى — هو الآخر — أنه « المهدي » الذي ينتظره المسلمون ، وقام يحدثنا — كما حدثنا كثير من الدعاة — أن النبي عليه السلام قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » ، واستناداً على هذا الحديث — الذي طالما اتخذته الدعاة وسيلة لظهورهم ، والذي يرجع تاريخ وضعه إلى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري — زعم « القادياني » أن الله قد اصطفاه وبعثه على رأس القرن الرابع عشر الهجري ، ليجدد مابلي من معالم الدين ويحيي ما اندثر من شعائره (١) .

وقد كانت البذور الإصلاحية التي ألقاها « أحمد الباريلي » من قبل ، تعمل في نفوس المسلمين الهنود الملتهمين حماسة وغيرة ، وتدفعهم إلى الإصلاح بعنف وقوة ، وبذلك تمكن « القادياني » — في سهولة ويسر — من الجهر بمهديته عام ١٨٨٠ م ؛ حيث ظهر المجلد الأول من كتابه « براهين أحمدية » مفعماً بالدلائل والحجج ، التي رآها تؤيد دعواه ، بيد أنه لم يطالب أصحابه بالبيعة إلا في ٤ مارس عام ١٨٨٩ م (٢) عندما كثرت أتباعه وقوى عوده .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٦٠

(٢) أنظر ما كتبه العلامة « هوتسما » Houtsma عن « الأحمدية » بدائرة المعارف

الإسلامية ، مجلد ١ ص ٥٠٤ ، الترجمة العربية .

ولما وجد أن في الآثار الملققة ، ما ينبي بأن ظهور « المهدي » سيكون مقروراً ببعض الظواهر الفلكية ، سارع فأول كسوف الشمس وخسوف القمر ، الواقعين في رمضان عام ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤ م ، لصالحه ، ودعم بوقوعها مهديته بلباقة وفطنة^(١) . وأكبر الظن أن صاحبنا هذا — هو الآخر — كان ذا فراسة صادقة ونبوءات لا تخفى ؛ فقد حدثنا الرواة^(٢) أنه تنبأ بحدوث كوارث فادحة من الطاعون والزلازل ، كما تنبأ بوفاة بعض الأفراد ، وقد صدقت — بطريق المصادفة — نبوءاته هذه ، فاستغل ذلك استغلالاً حسناً في ترويج بضاعته .

ومهدية « القادياني » هذه تلفت — بحق — نظر الباحثين ؛ فهي من نوع جديد ، يكاد يخالف تماماً عقيدة « المهديّة » كما جاءت في الروايات المتسمة بالصبغة الإسلامية ، سواء في ذلك الإسلام الشنّي والشيوعي ؛ فهديّة الروايات الإسلامية ، تصور لنا « المهدي » قائداً حربياً يقاتل الكفار بالسيف ، وتلجّ في هذا التصوير ، وتلجّ فيه ، بينما مهديّة « القادياني » لأول مرة في التاريخ الإسلامي تتسم بالطابع السلمى ؛ إذ يقول « القادياني » : « إن مهمة المهدي هي الدعوة إلى الإسلام ، أما الجهاد فيجب ألا يقوم على امتشاق الحسام بل على وسائل سلمية »^(٣) .

وبذلك أسقط مهدينا هذا فريضة الجهاد من الفرائض الإسلامية ، وحبّب إلى أتباعه المسالمة والتسامح ونهاهم عن التعصب ، وقد أظهر هو وجماعته الولاء الخالص للحكومة البريطانية ، التي أمّنت جانبهم ، وتركتمهم يبشرون بمذهبهم السلمى ، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا لا تنظر بعين الارتياح ، إلى أي حركة تتسم بطابع « المهديّة » في العالم الإسلامي ، بل تسارع من فورها فتقضى عليها وليدة في مهدها ، وذلك بعد الدروس القاسية التي تلقتهما عن مهدي السودان .

ولم يكتف « القادياني » بمخالفته للإسلام في إسقاطه فريضة الجهاد فحسب ،

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٦٠

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٥٠٥

(٣) أنظر « هوتسما » Houtsma في دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٥٠٥ ، وانظر

أيضاً « جولدزهر » Goldziher في « العقيدة والشريعة في الإسلام » ص ٢٦٠ وما بعدها .

بل نجده أيضاً قد خالف العقائد الإسلامية الصريحة مرة أخرى مخالفة تامة في عقيدته في « عيسى » ؛ إذ يقول — بجرأة — إن عيسى لم يصلب ولم يُرفع إلى السماء ، وإنما مات موتاً ظاهرياً ، ودُفن في قبر خرج منه بعد ذلك ، حيث توجه لتلقاء « كشمير » بالهند ليعلّم الإنجيل ، وهناك أدركه الموت بالغاً من العمر مائة وعشرين عاماً ، ودُفن في قبر يُنسب خطأً لولّى يدعى « يوس أساف » ، وقد خرج « القادياني » بدعواه هذه على الروايات الإسلامية والمسيحية على السواء ، وهي تلك الروايات المتعلّقة بحياة عيسى (١) .

وقد كان مهدي قاديان — بحق — كاتباً بارعاً وافر الإنتاج ؛ فبسط مذهبه للمسلمين في أكثر من ستين كتاباً دينياً ، في الفقه والعقائد باللغتين العربية والأوردية ، وساق فيها الأدلة التي رآها مؤيدة لمهديته ومساندة لمذهبه ، وكان الرجل محبباً للعلم خفيبه إلى أتباعه ، وحثهم على التزود منه بأكثر قدر مستطاع .

وقد وجدت اللغة العبرية — لغة الكتاب المقدس — مكاناً لاثقاً في برنامج المواد التي ارتأى دراستها لتلاميذه ، كما كان الرجل معنياً بالأخلاق ، فجعل الفضيلة أصلاً من أصول الإيمان ، وكان يستشهد في تعاليمه بشواهد من العهدين القديم والجديد ؛ مما يدلنا دلالة واضحة على قراءته لها وتأثره بهما ، كما كان يستشهد أيضاً بالآيات القرآنية ، وبالصحاح من الأحاديث .

وقد عمل « القادياني » على أن يكون دائماً على وفاق ظاهري مع ما جاء به القرآن في غير مسألتى « عيسى والجهاد » اللتين شدّ فيهما ، فانفرد بآراء تناقض صراحة ما جاءت به آيات القرآن . أما « الأحاديث » النبوية فقد كان يقبل منها ما يؤيد به مهديته ويدعّمها ، وفيما عدا ذلك كان كثير الشك في « الحديث » دائب النقد له ؛ فابتعد بذلك في نقط كثيرة أيضاً — كما يقول « جولد زيهير » عن المعالم الرسمية للإسلام السنّي ، بالقدر الذي تستند فيه هذه المعالم على « الحديث » (٢) .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٦٠ ، وانظر أيضاً ما كتبه العلامة « هوتسما »

Houtsma بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٥٠٥

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٦١

وقد توفي « أحمد القادياني » بمدينة « لاهور » في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨ م ،
ثم نقل جثمانه إلى « قاديان » حيث دفن هناك ، ونقشت على ضريحه هذه العبارة :
« ميرزا غلام أحمد موعود » ، ومعنى « موعود » : المهدي المنتظر
ولم ينس « القادياني » أن يخبرنا في وصيته ، بأن مهدياً جديداً آخر سوف يظهر
من أسرته ، واسكن أحداً من هذه الأسرة لم يفكر قط في استغلال هذه الوصية ،
للقيام بدعوة إلى مهديّة جديدة ، بل استكان المجتمع لتعاليم المهدي الراحل ، وأخذوا
في نشرها في سلم ولين ؛ فازداد عديد « الأحمدية » الذين يوجدون بكثرة ظاهرة
في « البنجاب » وطن الدعوة الأول ، وإن كانوا يوجدون كذلك في غيرها من
بلاد الهند .

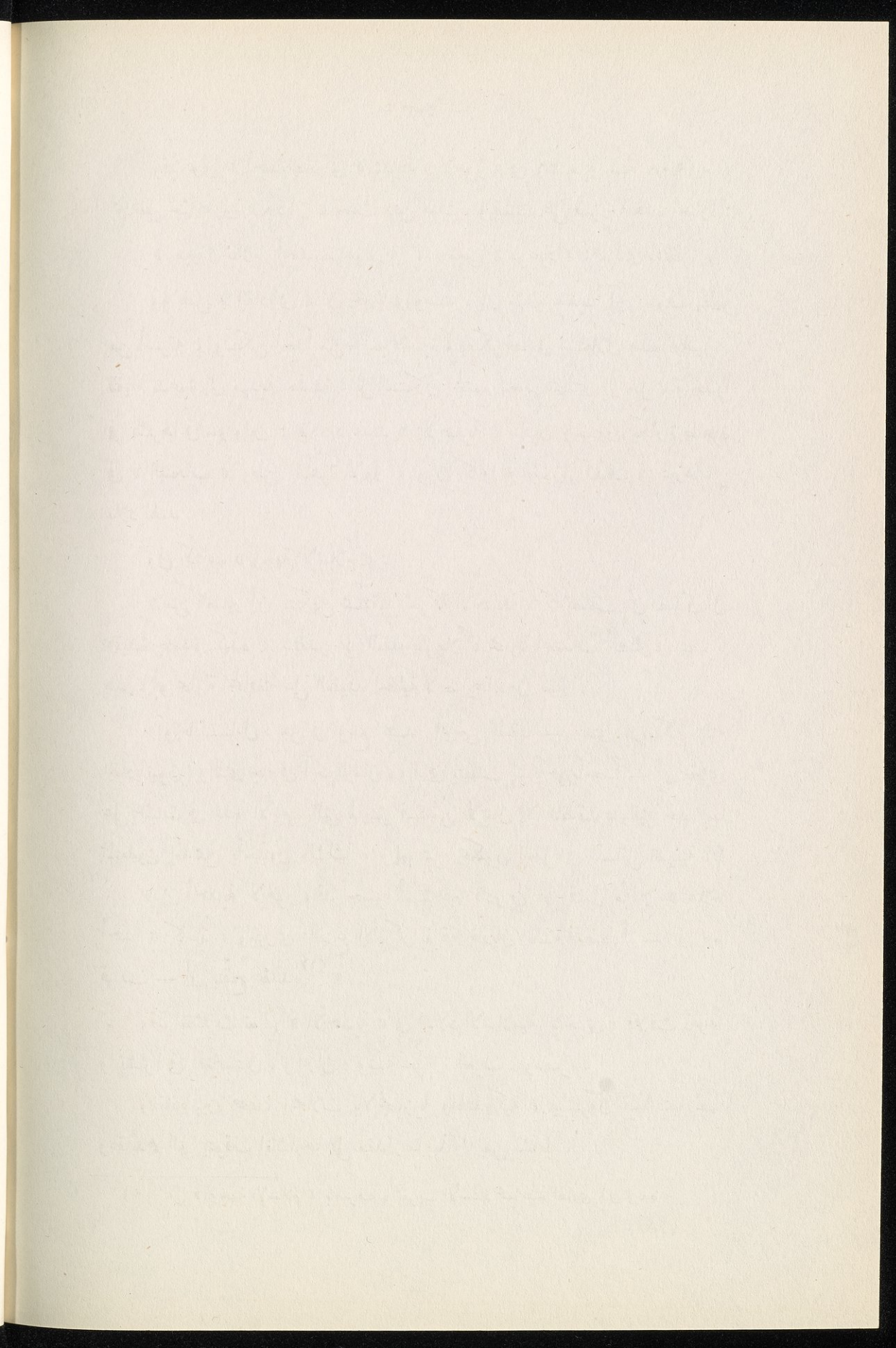
وفي كتاب « وجهة الإسلام » :

« من العسير أن نتكهن بمستقبل حركة الأحمدية ، كما يصعب أن نصدّق أن
عقيدة جامدة كهذه ، ستقدر على البقاء طويلاً ، محاولة اجتذاب أنصار في عصرنا
هذا ، أو محاولة المحافظة على العقيدة الحالية لأنصارها دون تغيير .

« وإنا لنتساءل : هل في وسع هذا الوحي المعقد — الذي يرتسكن إليه
القاديانيون ، والذي جاء في آخر الزمان ، والذي يتطلب إيماناً قوياً جداً — أن يقوى
على الثبات في هذه الأيام ، التي لم يبق فيها من الإيمان إلا النصف ، والتي نجد فيها
المتعلمين إما ممن يأخذون بالشك ، وإما ممن يحكمون العقل في المسائل الدينية ؟؟
« إن أحمدية لاهور ، قد أحسوا أنهم غير قادرين على قبول مزاعم « غلام
أحمد » كاملة ، وسيرى الفرع الأكبر لفرقة قاديان نفسه مضطراً — في يوم
قريب — أن ينفق عقائده (١) » .

وقد انتشرت تعاليم « الأحمدية » في البلاد الإسلامية الأخرى ، فلاقت ذيوعاً
وانتشاراً في أفغانستان ، وإيران ، وشبه جزيرة العرب ، ومصر .
وللقاديانيين صحف ومجلات بالإنجليزية والهندوكية ، يبشرون فيها بمبادئهم
وعقائدهم التي يتوقف انتشارها على مقدار ما يبذلونه من نشاط .

(١) عن « وجهة الإسلام » بتصرف ، تعريب الأستاذ محمد عبد الهادي أبي ربه .



مراجع الكتاب

- (١) «الكافي» للشيخ الصدوق ثقة الإسلام أبي جعفر الأعور محمد بن يعقوب الكليبي - نسبة إلى كليلين إحدى قرى الرمي - (المتوفى ببغداد عام ٣٢٨ هـ)، طبع طهران عام ١٢٨١ هـ.
- (٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» للإمام أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري الأندلسي (المتوفى عام ٤٥٦ هـ)، طبع المطبعة الأدبية ومطبعة التمدن ومطبعة الموسوعات بالقاهرة ١٣١٧ هـ - ١٣٢١ هـ.
- (٣) «الملل والنحل» للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (المتوفى عام ٥٤٨ هـ) على هامش الطبعة السابقة لكتاب «الملل والنحل» لابن حزم.
- (٤) «مقالات الإسلاميين واختلاف فرق المصلين» للإمام الأشعري أبي الحسن علي بن إسماعيل (المتوفى عام ٣٢٤ هـ)، طبع المستشرقين الألمان باستانبول عام ١٩٢٩ م.
- (٥) «فرق الشيعة» للنوبختي أبي محمد الحسن بن الحسين بن علي (المتوفى عام ٤٠٢ هـ) طبع المستشرقين الألمان باستانبول.
- (٦) «الفرق بين الفرق» للبغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر (المتوفى عام ٤٢٩ هـ) نشر السيد عزت العطار الحسيني بالقاهرة عام ١٩٤٨ م.
- (٧) «أصول الدين» للبغدادي أيضاً طبع استانبول عام ١٩٢٨ م.
- (٨) «مختصر الفرق بين الفرق» للرّسعي عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف (من رجال القرن السابع الهجري، وهو مجهول الوفاة) نشر الأستاذ فيليب حتى بمطبعة الهلال بالقاهرة عام ١٩٢٤ م.
- (٩) «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين»

للإسفرائيني أبي المظفر عماد الدين (المتوفى عام ٤٧١ هـ) ، نشر العطار بالقاهرة
مطبعة الأنوار عام ١٩٤٠ م .

(١٠) « التمهيد » للإمام الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب (المتوفى عام ٤٠٣ هـ)
طبع دار الفكر العربي بالقاهرة .

(١١) « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين »
لرازي فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين (المتوفى عام ٦٠٦ هـ) طبع
المطبعة الحسينية بالقاهرة عام ١٣٢٣ هـ

(١٢) « اعتقادات فرق المسلمين والمشركون » لرازي أيضاً طبع القاهرة
عام ١٩٣٨ م

(١٣) « فضائح الباطنية » للغزالي حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد

(المتوفى عام ٥٠٥ هـ) نشر العلامة « جولد زيهر » Goldziher بليدن عام ١٩١٦ م

(١٤) « المواقف » للإيجي عضد الملة والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن

عبد الغفار (المتوفى عام ٧٥٣ هـ) طبع مطبعة العلوم بالقاهرة عام ١٣٥٧ هـ .

(١٥) « الاعتصام » للشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي

(المتوفى عام ٧٩٠ هـ) طبع مطبعة المنار بالقاهرة عام ١٩١٣ م .

(١٦) « تلميس إبليس » لابن الجوزي أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن

أبي الحسن علي بن محمد (المتوفى عام ٥٩٧ هـ) طبع مطبعة النهضة بالقاهرة عام ١٩٢٨ م .

(١٧) « الإقتصار والرد على ابن الراوندي الملحد » للخياط المعتزلي أبي الحسين

عبد الرحيم بن محمد بن عثمان (من رجال القرن الثالث الهجري وهو مجهول الوفاة)

طبع دار الكتب المصرية بعناية الدكتور « نيبرج » Nyberg عام ١٩٢٥ م .

(١٨) « أعز ما يطلب » لابن تومرت مهدي الموحدين أبي عبد الله المرغني

(المتوفى عام ٥٢٤ هـ) ، نشر « لوسيانى » Luciani بالجزائر عام ١٣٢١ هـ .

(١٩) « عقيدة ابن تومرت » لمهدي الموحدين أيضاً ، طبعها « الكردى »

في مجموعة بالقاهرة عام ١٣٢٨ هـ .

- (٢٠) « الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي أبي العباس شهاب الدين أحمد ابن محمد (المتوفى عام ٩٧٣ هـ) ، طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣٠٧ هـ .
- (٢١) « مسند أحمد » للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي (المتوفى عام ٢٤١ هـ) ، طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ .
- (٢٢) « سنن أبي داود » للشيخ الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (المتوفى عام ٢٧٥ هـ) ، طبع المطبعة الكاستلية عام ١٢٨٠ هـ .
- (٢٣) « سنن ابن ماجه » لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي القزويني (المتوفى عام ٢٧٣ هـ) ، طبع المطبعة العلمية بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ .
- (٢٤) « سنن الترمذى » ويقال له أيضاً « جامع الترمذى » أو « الجامع الصحيح » للشيخ الإمام أبي عيسى بن محمد بن عيسى السلمى الترمذى (المتوفى عام ٢٧٩ هـ) طبع بولاق عام ١٢٩٢ هـ .
- (٢٥) « صحيح البخارى » أو « الجامع الصحيح » للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخارى (المتوفى عام ٢٥٦ هـ) ، طبع بولاق من ١٣١١ - ١٣١٣ هـ .
- (٢٦) « صحيح مسلم » أو « الجامع الصحيح » للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري (المتوفى عام ٢٦١ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٩٠ هـ .
- (٢٧) « جامع البيان فى تفسير القرآن » للطبرى أبي جعفر محمد بن جرير (المتوفى عام ٣١٠ هـ) ، طبع بولاق من ١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ .
- (٢٨) « تفسير الألوسى » (روح المعانى) للعلامة شهاب الدين محمود الألوسى (المتوفى عام ١٢٧٠ هـ) ، طبع بولاق عام ١٣٠١ هـ .
- (٢٩) « شرح نهج البلاغة » أو « شرح النهج » لابن أبي الحديد عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى (المتوفى عام ٦٥٥ هـ) ، طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣٢٩ هـ .

(٣٠) « مقدمة ابن خلدون » أبو زيد وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون التونسي الحضرمي الإشبيلي (المتوفى عام ٨٠٨ هـ) طبع بولاق عام ١٢٧٤ هـ .
(٣١) « تاريخ الأمم والملوك » أو « تاريخ الطبرى » لشيخ المؤرخين — هيرودوت — العرب أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (المتوفى عام ٣١٠ هـ) طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة .

(٣٢) « الكامل فى التاريخ » أو « تاريخ الكامل » أو « كامل التواريخ » أو « تاريخ ابن الأثير » للشيخ أبى الحسن عز الدين على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى الجزرى المعروف بابن الأثير (المتوفى عام ٦٣٠ هـ) طبع الحلبي بالقاهرة عام ١٣٠٣ هـ .

(٣٣) « تاريخ يعقوبى » لأحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الأخبارى (قيل إنه توفى عام ٢٨٤ وقيل توفى بعد عام ٢٩٢ هـ) طبع مطبعة الغربى بالنجف الأشرف بالعراق عام ١٣٥٨ هـ .

(٣٤) « طبقات الصحابة والتابعين » أو « الطبقات الكبير » أو « الطبقات الكبرى » أو « طبقات ابن سعد » لكاتب الواقدى أبى عبد الله محمد بن سعد (المتوفى عام ٢٣٠ هـ) طبع ليدين بعناية المستشرقين .

(٣٥) « الأغاني » لأبى الفرج على بن الحسين بن محمد الكاتب الأصبهاني (المتوفى عام ٣٥٦ هـ) طبع بولاق عام ١٢٨٥ هـ وطبع السامى عام ١٣٢٢ هـ وطبع دار الكتب المصرية .

(٣٦) « مقاتل الطالبين » لصاحب الأغاني أبى الفرج طبع الحلبي بالقاهرة عام ١٩٤٩ م .

(٣٧) « مروج الذهب » للمسعودى أبى الحسن على بن الحسين بن على (المتوفى عام ٣٤٥ هـ) طبع بهامش تاريخ ابن الأثير من الجزء الأول إلى الجزء العاشر ، نشر الحلبي بالقاهرة عام ١٣٠٣ هـ .

(٣٨) « البدء والتاريخ » لمطهر بن طاهر المقدسى (من رجال أواخر القرن الرابع الهجرى) ، والكتاب منسوب خطأ لأبى زيد أحمد بن سهل البلخى (المتوفى عام ٣٢٢ هـ) ، نشر « هيار » Huart بباريس عام ١٩٠٦ م .

(٣٩) « أنساب الأشراف وأخبارهم » للبلاذرى أحمد بن يحيى بن جابر (المتوفى حوالى عام ٢٧٩ هـ) طبع القدس .

(٤٠) « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لابن خلكان ، قاضى القضاة شمس الدين أبى العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الأربلى (المتوفى عام ٦٨١ هـ) طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣١٠ هـ .

(٤١) « فوات الوفيات » للكتبى محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) طبع بولاق عام ١٢٩٩ هـ .

(٤٢) « مختصر الدول » لابن العبرى غريغوريوس بن أهرون أبى الفرج الملقب (المتوفى عام ٦٨٥ هـ) ، نشر الأب اليسوعى أنطون صالحانى ببيروت عام ١٨٩٠ م .

(٤٣) « الأخبار الطوال » للدينورى أبى حنيفة أحمد بن داود (المتوفى عام ٢٨٢ هـ) طبع السعادة بالقاهرة عام ١٣٣٠ هـ .

(٤٤) « معالم العلماء فى فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً » لرشيد الدين أبى جعفر محمد بن على بن شهر آشوب السمرى (المتوفى عام ٥٨٨ هـ) ، والكتاب تنمة لكتاب « الفهرست » للشيخ أبى جعفر الطوسى ، وقد نشره فى طهران عباس إقبال عام ١٣٥٣ هـ .

(٤٥) « تذكرة الحفاظ » للمؤرخ الجليل الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان التركمانى الذهبى (المتوفى عام ٧٤٨ هـ) ، الطبعة الثانية بميدرا أباد بالهند عام ١٣٣٣ هـ .

(٤٦) « دول الإسلام » وهو مختصر فى التاريخ على ترتيب السنين للإمام الذهبى أيضاً ، الطبعة الثانية بميدرا أباد عام ١٣٦٤ هـ .

(٤٧) « البداية والنهاية » لابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (المتوفى عام ٧٧٤ هـ) طبع السعادة بالقاهرة عام ١٩٢٢ م .

(٤٨) « السكامل في اللغة والأدب » لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (المتوفى عام ٢٨٥ هـ) ، نشر وشرح سيد بن علي المرصفي باسم « رغبة الآمل من كتاب السكامل » طبع القاهرة ١٩٢٧ — ١٩٣٠ م .

(٤٩) « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لجير الدين أبي اليمن القاضي عبد الرحمن بن محمد الحنبلي (المتوفى عام ٩٢٧ هـ) طبع المطبعة الوهبية بالقاهرة عام ١٢٨٣ هـ .

(٥٠) « مختصر تذكرة الإمام أبي عبد الله الفرطبي » للشعراني عبد الوهاب ابن أحمد بن علي (المتوفى عام ٩٧٣ هـ) طبع بولاق عام ١٣٠٠ هـ .

(٥١) « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » أو « الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بهما من الأخبار » أو « خطط المقرئ » للشيخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ (المتوفى عام ٨٤٥ هـ) طبع بولاق عام ١٢٧٠ هـ .

(٥٢) « اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » للمقرئ أيضاً طبع القاهرة عام ١٩٤٨ م .

(٥٣) « رسائل الخوارزمي » لجمال الدين أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (المتوفى عام ٣٨٣ هـ) طبع بولاق (مطبعة عبد الرحمن رشدي) عام ١٢٧٩ هـ وطبع الجوائب عام ١٢٩٧ هـ .

(٥٤) « نكت الهميان في نكت العميان » للصفي صلاح الدين خليل ابن أبيك بن عبد الله (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) طبع المطبعة الجمالية بالقاهرة عام ١٩١١ م بعناية المرحوم أحمد زكي .

(٥٥) « الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » لابن الطقطقي

محمد بن علي بن طباطبا (من مخضرمي القرنين السابع والثامن) طبع مطبعة
الموسوعات عام ١٣١٧ هـ .

(٥٦) « العبر ودبوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاهدتهم
من ذوى السلطان الأكبر » ويعرف « بتاريخ ابن خلدون » للشيخ المؤرخ
أبي زيد وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨ هـ) ،
طبع بولاق عام ١٢٨٤ هـ .

(٥٧) « تاريخ بغداد » للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي
(المتوفى عام ٤٦٣ هـ) طبع مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٩٣١ م .

(٥٨) « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » للمؤرخ أبي الفلاح عبد الحى
ابن العماد القاضى الحنبلى (المتوفى عام ١٠٨٩ هـ) . نشر حسام الدين القدسى
بالقاهرة من ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ .

(٥٩) « اللباب في تهذيب الأنساب » لابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي
ابن محمد صاحب الكامل (المتوفى عام ٦٣٠ هـ) نشر القدسى بالقاهرة من
١٣٥٧ - ١٣٦٩ هـ .

(٦٠) « صبح الأعشى في كتابة الإنشا » للقلقشندي أحمد بن علي بن أحمد
(المتوفى عام ٨٢١ هـ) طبع بولاق من ١٩١٣ - ١٩٢٠ م .

(٦١) « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغرى بردى جمال الدين
أبي الحسن يوسف (المتوفى عام ٨٧٤ هـ) طبع دار الكتب المصرية ابتداء من
عام ١٩٢٩ م ولم ينته طبع الكتاب بعد .

(٦٢) « الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة الدينورى أبي محمد عبد الله
ابن مسلم (المتوفى عام ٢٧٦ هـ) . طبع مطبعة النيل بالقاهرة عام ١٩٠٤ م .

(٦٣) « عيون الأخبار » لابن قتيبة أيضاً طبع دار الكتب المصرية من
١٩٢٥ - ١٩٣٠ م .

- (٦٤) « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة كذلك طبع « السكردى »
بالقاهرة عام ١٣٢٦ هـ .
- (٦٥) « تهذيب الأسماء واللغات » للنووى أبى زكريا محى الدين بن شرف
النووى (المتوفى عام ٦٧٦ هـ) طبع منير الدمشقى بالقاهرة .
- (٦٦) « تهذيب تهذيب السكالم فى معرفة الرجال » لابن حجر العسقلانى
قاضى القضاة شهاب الدين أنى الفضل أحمد بن على بن محمد السكمانى (المتوفى عام
٨٥٢ هـ) طبع حيدر آباد عام ١٣٢٥ هـ .
- (٦٧) « العقد الفريد » لابن عبد ربه أنى عمر أحمد بن محمد الأندلسى القرطبى
(المتوفى عام ٣٢٨ هـ) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة من
١٩٤٠ - ١٩٥٣ م .
- (٦٨) « الفهرست » لابن النديم أبى الفرج محمد بن إسحاق بن أبى يعقوب
البغدادى الورّاق (المتوفى حوالى عام ٣٨٥ هـ) ، طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة
عام ١٣٤٨ هـ .
- (٦٩) « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » أو « معجم الأديب » لأبى عبد الله
ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (المتوفى عام ٦٢٦ هـ) طبع دار المأمون بالقاهرة .
- (٧٠) « رسائل الجاحظ » أبى عثمان عمرو بن بجر بن محبوب (المتوفى عام ٢٥٥ هـ)
نشر السندونى بالقاهرة عام ١٩٣٣ م .
- (٧١) « مجموعة رسائل الجاحظ » لأبى عثمان أيضاً ، نشر الساسى بالقاهرة
عام ١٣٢٤ هـ .
- (٧٢) « البيان والتبيين » لأبى عثمان الجاحظ كذلك ، نشر عبد السلام هارون
بالقاهرة من ١٩٤٨ - ١٩٥١ م .
- (٧٣) « ألف باء » لابن الشيخ أبى الحجاج يوسف بن محمد البلوى (قيل إنه
توفى عام ٥٧٦ وقيل إنه كان موجوداً عام ٦٠٣ هـ) طبع الوهيمية بالقاهرة عام ١٢٨٧ هـ .
- (٧٤) « نهاية الأرب فى فنون الأدب » للنوويرى شهاب الدين أحمد

ابن عبد الوهاب بن محمد البكرى التيمى القرشى (المتوفى عام ٧٣٣ هـ) ، طبع دار
الكتب المصرية ابتداء من عام ١٩٢٣ م ولم ينته طبع الكتاب بعد .

(٧٥) « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر » للمجتبى محمد أمين بن فضل الله
ابن محب الله الدمشقى (المتوفى عام ١١١١ هـ) طبع الوهيبية بالقاهرة عام ١٢٨٤ هـ .

(٧٦) « ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا » للخفاجى قاضى القضاة شهاب الدين
أحمد بن محمد بن عمر (المتوفى عام ١٠٦٩ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٧٣ هـ .

(٧٧) « المختصر فى أخبار البشر » أو « تاريخ أبى الفدا » للملك المؤيد عماد
الدين إسماعيل أبى الفدا صاحب حماة (المتوفى عام ٧٣٢ هـ) طبع المطبعة الحسينية
بالقاهرة عام ١٣٢٥ هـ .

(٧٨) « تكملة المختصر » أو « تاريخ ابن الوردى » لأبى حفص زين الدين عمر
ابن محمد (المتوفى عام ٧٤٩ هـ) طبع المطبعة الوهيبية بالقاهرة عام ١٢٨٥ هـ .

(٧٩) « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » أو « تاريخ الأندلس » للمراكشى
محيى الدين أبى محمد عبد الواحد بن على التيمى (من مخضرمى القرنين السادس
والسابع) طبع مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٢٤ هـ .

(٨٠) « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين » للسيوطى أبى الفضل عبد الرحمن
ابن السكّال (المتوفى عام ٩١١ هـ) طبع المطبعة الميمنية عام ١٣٠٥ هـ .

(٨١) « ذخائر العقبي فى مناقب ذوى القربى » لمحب الدين الطبرى أبى العباس
أحمد بن عبد الله (المتوفى عام ٦٩٤ هـ) نشر القدسى بالقاهرة .

(٨٢) « لواقح الأنوار فى طبقات السادة الأخيار » أو « طبقات الشعرائى »
للشعرائى أبى المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الأنصارى (المتوفى عام ٩٧٣ هـ) ،
طبع بولاق عام ١٢٧٦ هـ .

(٨٣) « الكشكول » للعاملى بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الرحمن الحارثى
(المتوفى عام ١٠٣١ هـ) طبع بولاق عام ١٣٢٩ هـ .

(٨٤) « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار » لابن غلبون
أبي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي (من رجال القرن الثاني عشر الهجري)
طبع القاهرة عام ١٣٥٤ هـ .

(٨٥) « غرر الخصاص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة » أو « الغرر
والعرر » للوطواط أبي إسحاق جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري ،
المروى الأصل المصري المولد الكتبي الورّاق (المتوفى عام ٧١٨ هـ) طبع بولاق
عام ١٢٨٤ هـ .

(٨٦) « القصائد الهاشميات » أو « هاشميات الكهيت » للشاعر المتشيع الكهيت
ابن زيد الأسدي (المتوفى عام ١٢٦ هـ) طبع مطبعة شركة التمدن بالقاهرة
عام ١٣٢٩ هـ .

(٨٧) « ديوان مهيار الديلمي » للشاعر المتشيع أبي الحسن مهيار بن مرزويه
الكتّاب الفارسي الديلمي (المتوفى عام ٤٢٨ هـ) طبع دار الكتب المصرية
من ١٩٢٥ - ١٩٣١ م .

(٨٨) « ديوان ابن هاني الأندلسي » للشاعر المتشيع متنبى الغرب أبي القاسم
محمد بن هاني الأزدي الأندلسي (المتوفى عام ٣٦٢ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٧٤ هـ .
(٨٩) « ديوان كثير » أو « شرح ديوان كثير » للشاعر المتشيع أبي صخر
كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي المعروف بكثير عزة (المتوفى عام ١٠٥ هـ)
طبع الجزائر بعناية « هنري بيرس » Henri Peres من ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م .

(٩٠) « ديوان حسان » أو « شرح ديوان حسان بن ثابت » لحسان بن ثابت
ابن المنذر الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول (المتوفى عام ٥٤ هـ) طبع المطبعة
الرحمانية بالقاهرة عام ١٩٢٩ م بعناية الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي .

(٩١) « ديوان سبط ابن التعاويذي » لجد الدولة والدين جمال الكتّاب
أبي الفتح محمد بن عميد الله بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي (المتوفى

- عام ٥٨٤ هـ) طبع بعناية الأستاذ « مرجليوث » Margoliouth بمطبعة المفتطف
بالقاهرة عام ١٩٠٣ م .
- (٩٢) « اللزوميات » أو « لزوم ما لا يلزم » لشاعر المعرّة أبي العلاء أحمد
ابن عبد الله بن سليمان القنوخى المعرّى (المتوفى عام ٤٤٩ هـ) طبع بمطبعة المحروسة
بالقاهرة بعناية عزيز زند من ١٨٩١ - ١٨٩٥ م .
- (٩٣) « النهاية فى غريب الحديث والأثر » لابن الأثير مجد الدين أبى السامات
المبارك ابن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى (المتوفى عام ٦٠٦ هـ)
طبع المطبعة العثمانية بالقاهرة عام ١٣١١ هـ .
- (٩٤) « لسان العرب » لابن منظور جمال الدين أبى الفضل محمد بن جلال الدين
أبى العز مكرم الأنصارى الإفريقى المصرى (المتوفى عام ٧١١ هـ) طبع بولاق من
١٢٩٩ - ١٣٠٨ هـ .
- (٩٥) « جبهة أنساب العرب » لأبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى
الأندلسى (المتوفى عام ٤٥٦ هـ) طبع دار المعارف بالقاهرة بعناية العلامة « ليفى
بروقنسال » Provençal عام ١٩٤٨ م .
- (٩٦) « مفاخر البربر » لمؤلف مجهول نشره بالرباط العلامة « بروقنسال »
Provençal عام ١٩٣٤ م .
- (٩٧) « معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع » للوزير أبى عبيد عبد الله
ابن عبد العزيز البكرى الأندلسى الأونبى (المتوفى عام ٤٨٧ هـ) طبع لجنة التأليف
والترجمة والنشر بالقاهرة بعناية الأستاذ مصطفى السقا من ١٩٤٥ - ١٩٥٢ م .
- (٩٨) « تحفة النظر فى غرائب الأمصار ومعجائب الأسفار » أو « رحلة ابن بطوطة »
لرحالة القرن الثامن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى الطنجى
المعروف بابن بطوطة (المتوفى عام ٧٧٧ هـ) طبع مطبعة التقدم بالقاهرة عام ١٣٢٢ هـ .
- (٩٩) « الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية » ملفتى الشافعية
بمكة أحمد بن زبى بن أحمد دحلان (المتوفى عام ١٣٠٤ هـ) طبع مكة عام ١٣١١ هـ .

(١٠٠) « الإسلام الصحيح » (الجزء الأول) للنشاشيبي محمد إسعاف طبع
القدس عام ١٣٥٤ هـ .

(١٠١) « الوشيعة في نقد عقائد الشيعة » لموسى جار الله طبع النجف الأشرف
بالعراق عام ١٩٣٥ م .

(١٠٢) « العقيدة والشريعة في الإسلام » Vorlesungen Uber Den Islam
للمستشرق العلامة « جولدزيهر » Goldziher « الترجمة العربية » للأستاذة محمد
يوسف موسى ، وعبد العزيز عبد الحق ، وعلى حسن عبد القادر ، طبع دار الكتّاب
المصري بالقاهرة عام ١٩٤٦ م .

(١٠٣) « السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية »
La Domination Arabe, Le Çhitisme et les Croyances Messianiques
Van Vloten « ثان فلوتن » Sous Le Khalifat des Omayyades
« الترجمة العربية » للأستاذين حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، طبع مطبعة
السعادة بالقاهرة عام ١٩٣٤ م .

(١٠٤) « عقيدة الشيعة » - وهو كتاب عن تاريخ الإسلام في إيران والعراق
- للدكتور « دوايت . م . دونالدسن » Donaldson تعريب « ع . م » طبع
مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٩٤٦ م .

(١٠٥) « دائرة المعارف الإسلامية » الترجمة العربية - مواد متفرقة .

(١٠٦) « دائرة معارف الدين والأخلاق » البريطانية : مقال للمستشرق
« مرجليوث » Margoliouth عن « المهديّة » .

(١٠٧) « دائرة معارف وجدى » لصاحبها محمد فريد وجدى .

(١٠٨) « ضحى الإسلام » لأحمد أمين (الجزء الثالث) طبع لجنة التأليف
والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٣٦ م .

(١٠٩) « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية » للأستاذ محمد عبد الله
عنان طبع دار النشر الحديث بالقاهرة عام ١٩٣٧ م

- (١١٠) « مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام » للأستاذ عنان أيضاً ، طبع دار
الكتب المصرية عام ١٩٣٤ م .
- (١١١) « تراجم إسلامية شرقية وأندلسية » للأستاذ عنان أيضاً ، طبع
دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٤٧ م .
- (١١٢) « أعيان الشيعة » لاسيد محسن الأمين الحسيني العاملي (الجزآن
الثالث والرابع) طبع دمشق عام ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ م .
- (١١٣) « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » Die Renaissance
Des Islams لآدم ميز Adam Mez ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبي ريده ، طبع
لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة من ١٩٤٠ - ١٩٤١ م .
- (١١٤) « تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين » Geschichte Spaniens
und Porbugals, zur Zeit der Herrschaft der Almorariden und
Almohaden للمؤرخ الألماني « يوسف أشباخ » Aschbach ترجمة الأستاذ محمد
عبد الله عنان وطبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة من ١٩٤٠ - ١٩٤١ م .
- (١١٥) « مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي » A Short History of
the Saracens لسيد أمير على ، ترجمة رياض رأفت طبع لجنة التأليف والترجمة
والنشر عام ١٩٣٨ م .
- (١١٦) « في التصوف الإسلامي وتاريخه » للأستاذ « نيكلسون » Nicholson
ترجمة الأستاذ أبي العلا عفيفي ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٧ م .
- (١١٧) « وجهة الإسلام » تعريب محمد عبد الهادي أبي ريده ، طبع القاهرة
- (١١٨) « حاضر العالم الإسلامي » The New World of Islam للعلامة
« ستودارد » Stoddard ترجمة عجاج نويهض وتعليقات شكيب أرسلان (الطبعة
الثانية) طبع القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- (١١٩) « تاريخ السودان القديم والحديث » لنعموم شقير ، طبع القاهرة .
- (١٢٠) « السودان بين يدي غردون وكتشنر » لإبراهيم فوزي ، طبع القاهرة .

- (١٢١) « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » لجرجى زيدان ،
طبع مطبعة الهلال بالقاهرة عام ١٩٠٢ م .
- (١٢٢) « تاريخ مصر الحديث » لجرجى زيدان أيضاً ، الطبعة الثانية بمطبعة
الهلال بالقاهرة عام ١٩١١ م .
- (١٢٣) « الإيقان » لبهاء الله ميرزا حسين على ، نشر المجمع البهائي بالقاهرة .
- (١٢٤) « الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية » للبحاث ميرزا
عبد الحسين آواره ، ترجمه عن الفارسية أحمد فائق رشد (الجزء الأول) ، طبع المطبعة
العربية بالقاهرة عام ١٩٢٤ م .
- (١٢٥) « معجم المطبوعات العربية والمعرّبة » ليوسف إيان سر كيس ، طبع
القاهرة ١٩٢٨ - ١٩٣١ م .
- (١٢٦) « القاموس المحيط » لمجد الدين الفيروزابادي محمد بن يعقوب بن محمد
ابن إبراهيم (المتوفى عام ٨١٧ هـ) ، طبع المطبعة المصرية بالقاهرة عام ١٩٣٣ م .

فهرست

لأعلام الأناسى والعقائد والفرق والأماكن والبلدان

(١)

ابن تفرى بردى أبو المحاسن : ص ١٧٧
 ابن تومرت مهدي الموحدين : ص ١٨٥
 ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦
 ابن التويم : ص ٢٠٧
 ابن جامع السهمى : ص ٦٦
 ابن جرير : انظر : الطبرى
 ابن حبان : ص ٨٩
 ابن حجر : ص ٧١ ، ٨٩ ، ١٣٦
 ابن حزم : ص ١٣ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٩ ،
 ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٦
 ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨
 ابن الحنفية : ص ٤٨ ، ٦١ ، ٧٧ ، ٩٥ ،
 ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
 ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٥٢ ،
 ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٩ ، ١٥٨
 ابن حوقل : ص ١٠٤
 ابن الخطاب : انظر : عمر
 ابن خلدون : ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٣ ، ٤١
 ٧٠ ، ٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨
 ابن خلكان : ص ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٥٢ ، ١٨٨ ، ١٨٦
 ابن خولة : انظر : ابن الحنفية
 ابن ديسان ميمون : ص ١٧٠
 ابن الرومى : ص ٥٤ ، ٦٦
 ابن الزبير : ص ٦١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
 ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣
 ابن الساهر (رواية الحميرى) : ص ١٥٦
 ابن سبأ : انظر : ابن السوداء
 ابن سعد : ص ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
 ١٠٥ ، ١٨٢ ، ١٨٣
 ابن السكيت : ص ٥٧
 ابن سلام : ص ١٥٠ ، ١٥٢
 ابن السوداء عبد الله بن سبأ : ص ٨ ، ٢٨ ،

آبا (موقعة) : ص ٢٢٢ ، ٢٢٣
 آب تركى (جزيرة) : ص ٢٠٠
 الاباضية : ص ١٧٣
 أبان بن عثمان ص ١٠٣
 الأبتى : انظر : كثير النواء
 ابراهيم بن الأستر : ص ١٠٠
 ابراهيم الامام العباسى : ص ٨٦ ، ١١٥
 ابراهيم بن جعفر المتقى : ص ١١
 ابراهيم الخليل عليه السلام : ص ١٤ ، ١٦ ،
 ٤٧ ، ٤٩ ، ٨٢ ، ١٤٢ ، ١٧١ ، ٢١١
 ابراهيم الدولابى الكردفانى : ص ٢٣٥
 ابراهيم بن الرسول : ص ١٢١
 ابراهيم بن العباس الصولى : ص ٦٦
 ابراهيم بن عبد الله بن الحسن : ص ٥٩ ،
 ١١٣ ، ١١٥
 ابراهيم فوزى : ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٣
 ابراهيم بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 ابراهيم الموصلى : ص ٦٦
 الأبترية : ص ١١٠
 أبليس : ص ٦٤ ، ١٤١ ، ١٤٤
 ابن الأثير : ص ١ ، ١٣ ، ٣٧ ، ٤٨ ، ١٠٠ ،
 ١٠١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٠
 ابن أروى : انظر : عثمان بن عفان
 ابن الأشعث حمدان قرمط : ص ١٧٠
 ابن أبى الحديد : ص ١ ، ٢ ، ٣ ، ٨ ، ١٤ ،
 ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٥٢ ، ٥٠ ،
 ٧٤ ، ٧٥
 ابن أبى الشوارب : ص ٦٤
 ابن أبى مريم المدينى : ص ٦٦
 ابن باب : انظر : عمرو بن عبيد
 ابن بطوطة : ص ١٣٠
 ابن البيهقي أبو بكر بن على السنهالجي :
 ص ١٨٧ ، ١٩٥

٢٥٢
 أبو بكر الباقلاني : ص ١١ ، ٢٣ ، ٢٥
 أبو بكر الطرطوشي : ص ١٨٨ ، ١٨٩
 أبو تراب المروزي : ص ٦٣
 أبو ثميلة الأبار : ص ١١٠
 أبو الجارود : انظر : زياد بن المنذر
 أبو جعفر الطوسي : ص ٧٤
 أبو جعفر الصدوق : انظر : محمد بن علي
 ابن بابويه
 أبو جعفر المنصور : الخليفة العباسي : ص ٥٤ ،
 ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٨٠ ، ١٨٤
 أبو الحكم القيسي : ص ١٠٧
 أبو حنيفة : الامام : ص ٢٩ ، ٦٨ ، ٨٨ ،
 ١٢٣ ، ١٢٧
 أبو الخطاب الاسدي : ص ٧٩
 أبو داود : صاحب السنن : ص ٧٠ ، ١٨٤
 أبو داود سليمان بن سفيان : رواية الحميري :
 ص ١٥٦
 أبو دهبيل الجمحي : ص ٦٥
 أبو ذر : ص ٥ ، ٤٦ ، ٥٩
 أبو الزناد : ص ١١٤
 أبو سفيان : ص ٧ ، ٨
 أبو سلمة : داعية العباسيين : ص ٨٦ ، ٨٧
 أبو السمط بن أبي الجون : ص ٦٤
 أبو طالب : ص ١٢٣ ، ٢٠١
 أبو الطفيل الكناني : ص ٦٢
 أبو عاصم : ص ٢٩
 أبو عبد الله الجدلي : ص ١٠١ ، ١٠٢
 أبو عبد الله الشيعي : ص ١٢٨ ، ١٣٩
 أبو عطاء أفلح بن يسار : ص ٥٥
 أبو العلاء عفيفي : ص ٧٣
 أبو العلاء المعري : ص ٨٣
 أبو عمر بن كيسان : ص ٦١
 أبو عبيد الله البكري الأونبي : ص ١٧
 أبو عبيدة بن الجراح : ص ٢١
 أبو عبيدة معمر بن المثنى : ص ١٨
 أبو الفداء : ص ٥ ، ٨
 أبو الفرج الأصفهاني : ص ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٧٢ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ،
 ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،
 ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٨
 أبو قبيس : ص ٧٣
 أبو كرب الضرير : ص ١٠٥ ، ١٥٠
 أبو محمد الدرزي : ص ١٤٨

٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٧٦ ، ٧٩ ،
 ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٨٠
 ابن سيرين : ص ١٥٤
 ابن سينا الشيخ الرئيس : ص ٢٤١
 ابن شاعر الكتبي : ص ٥٥
 ابن شهاب الزهري : ص ٨ ، ٩٦
 ابن شهر آشوب السروي : ص ٧٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٠
 ابن الشيخ : انظر : يوسف بن محمد
 ابن طولون : ص ١٠٧
 ابن عباس : ص ٦ ، ٢٦ ، ٦١ ، ٩٧ ، ١٠١ ،
 ١٠٢ ، ١٦٠ ، ١٨٠
 ابن عبد ربه : ص ٢ ، ٤١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٥١
 ابن العبري : ص ١٧٢
 ابن عدى : ص ٨٨
 ابن عربي : محي الدين : ص ٧٣ ، ٨٣ ، ٢١١
 ابن عساکر : ص ١٠٨
 ابن عفان : انظر : عثمان بن عفان
 ابن العماد : المؤرخ الفقيه الحنبلي أبو الفلاح
 ص ٨٨ ، ١٥٢ ، ١٨٧ ، ١٨٩
 ابن عمر : ص ١٨٢
 ابن عليّة : ص ٧٠
 ابن غلبون : ص ١٩٠
 ابن الفارض : ص ٢٧ ، ١٧٣
 ابن فخر الدين الحسني : ص ٥٥
 ابن قتيبة الدينوري : ص ٧ ، ٣٩ ، ٧١ ،
 ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣
 ابن كثير : ص ١ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ،
 ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨
 ابن ماجة : ص ٧٠
 ابن مسعود : ص ١٨٠
 ابن المعتز : ص ١٦٠
 ابن المعلي : ص ١٧
 ابن منظور : ص ٤٨
 ابن ميمون : عبد الله القداح : ص ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٧٠
 ابن هانئ الاندلسي : متنبى الغرب : ص ٣٢ ،
 ٣٣ ، ٣٤ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٩
 ابن هبيرة : ص ١٢٠
 ابن واضح : انظر : اليعقوبي
 ابن الوردي : ص ٨ ، ٥
 الأبوأب : ص ١١٥
 أبو بكر الصديق : ص ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ،
 ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٦ ،
 ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨٥ ،
 ٩١ ، ١٢٦ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،

الاستانة : ص ٢٥٦
 اسحاق بن ابراهيم : ص ٤٩
 اسحاق الترك : ص ١٨٤
 اسحاق بن سويد العدوي : ص ٧٨
 الأسفرايني : ص ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٤ ،
 ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ،
 ١٣٨ ، ١٥٨ ، ١٧٢
 الاسكندرية : ص ١٨٨ ، ١٨٩
 أسلم (قبيلة) : ص ٢٤
 اساعيل بن جعفر الصادق : ص ١٣٧ ، ١٣٨ ،
 ١٤٥ ، ١٤٦
 اساعيل الصفوي : ص ١٣٧
 اساعيل بن علي بن عبد الله بن عباس
 ص ٨٧
 اساعيل بن محمد الحميري : انظر : السيد
 الحميري
 اساعيل بن مسلم المكي : ص ٣٩
 أسوان : ص ٢٠٠
 الاساعيلي : ص ٢٦
 الاساعيلية : ص ٣٢ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧٠ ،
 ٢٤٨ ، ٢٦٤
 اشباخ Aschbach : ص ١٨٨ ، ١٨٩
 الأستر النخعي : ص ٥٩
 الأشعري : ص ٧٨ ، ١٢٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،
 اشيدراما : ص ١٨٤
 أصحاب الكساء : ص ٧٨
 اصطخر : ص ١٨٤
 اصفهان : ص ٤٨ ، ٦١ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ٢٥٣
 الأصفهاني : انظر : أبو الفرج
 الأصمعي : انظر : عبد الملك بن قريب
 أعشى همدان : ص ١٠٤
 الأعمش : ص ٦٢ ، ٧٧
 أفا خان : ص ١٤٨ ، ٢٦٤
 الاغانى : أو صاحب الاغانى : انظر : ابوالفرج
 أغمات : ص ١٩١
 الافشين الأشروسني : ص ٦٦
 أفغانستان : ص ١٤٨ ، ٢٧٣
 أفلاطون : ص ١٤٦ ، ١٦٤
 الأكراد : ص ١٣٠
 آل البيت : ص ١٦ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٩ ،
 ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٦ ،
 ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
 ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١١٦ ،
 ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٣٧

أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية :
 ص ١٧٩
 أبو مسلم الخراساني : ص ٤٩ ، ٦١ ، ٧٩ ،
 ١٢٠ ، ١٨٤
 أبو منصور المجلي : ص ٧٩
 أبو هاشم بن محمد بن الحنفية : ص ٧٧
 أبو هريرة : ص ٣٧ ، ١١٤ ، ١٧٧
 أبو الهيثم بن التيهان : ص ٣٠
 أبو أيوب بن الأديب : ص ١١٣
 أبي بن كعب : ص ٥ ، ٦٠
 الأبيض : ص ٢٢٢
 الأتراك : ص ٢٠٤
 الأثرم : ص ١٨
 الاثناعشرية : ص ٤١ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١٢٩ ،
 ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٥ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤٨ ، ٢٣٩
 الأئيم : انظر : محمد كريم خان
 الاجتهادية : ص ٢٣٧ ، ٢٣٨
 الاجاشي : ص ٤٣
 أحد (جبل) : ص ٢
 أحد : أمام اليمن : ص ١٢٧
 أحد أمين : ص ٢٠ ، ٤٠ ، ٨٨ ، ١٢٦ ،
 أحد الاحساني : ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨
 أحد بن أدريس : ص ٢١١
 أحد الباريلى : ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٦٩ ،
 ٢٧٠
 أحد بن حنبل : ص ٦ ، ٢٦ ، ٧٠
 أحد بن شميظ : ص ٦١
 أحد بن عبد الله (النبي) : ص ٢٥ ، ٩١ ،
 ١٥٧ ، ١١٢
 أحد بن علي الزيدى : ص ٦٢
 أحد القادياني : ص ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٣
 أحد بن محمد بن الحنفية : ص ١٧١ ، ١٧٢ ،
 الاحدية : ص ١٩٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣
 الاخبارية : ص ٢٣٧ ، ٢٣٨
 الاخلط : ص ٢٣ ، ١٥٠
 أدونة : ص ٢٥٦
 آدم أبو البشر : ص ١٤١ ، ٣٤ ، ١٧١ ، ٢٠٩ ،
 ٢١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٥٠
 أدربيجان : ص ١٣٧ ، ٢٥٣
 أرسطو Aristote : ص ٣٥ ، ١٤٦
 الأزدي (قبيلة) : ص ٣٠
 أزد عمان : ص ٩٥
 الأزهر : ص ٤٧

أهل البيت : انظر : آل البيت
 أهل الرفض : ص ١٥٥
 أهل السنة : ص ١ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ،
 ٢٦ ، ٢٣ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٧ ،
 ١١٠ ، ١٣٦ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ،
 ٢٣٧ ، ٢٤١
 الأهواز : ص ٦٦
 أوديهوس udème : ص ٣٥
 أوريجونس Origenes : ص ٧٩
 الأوس : ص ٢
 الابجي عضد الدين : ص ٩ ، ١٢٩ ، ١٧٢
 ايران : ص ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٩٨ ، ٢٥٦ ،
 ٢٧٣
 ايلياء : أو الياس : النبي : ص ٤٨
 ايليا منصور : ص ١٩٧
 أيوب : النبي : ص ٨٢

(ب)

بابا الكنيسة : ص ١٥
 الباب : انظر : على حمد الباب
 باب الوزير : انظر : حسين البشروي
 باب الوزير : ص ١٩٩
 بابك الخرمي : ص ١٨٤
 بابل : ص ١٧٩
 البابية : ص ١٣٧ ، ١٩٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ،
 البابيون : ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦١
 الباريلي : انظر : أحمد الباريلي
 الباريلية : ص ١٩٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠
 بساطنية : ص ١٣٧ ، ١٧٠
 الباقر أبو جعفر حمد : ص ١٦ ، ٥١ ، ٧٧ ،
 ٨٥ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧١
 باكستان : ص ٢٦٥ ، ٢٧٠
 بالكوت : ص ٢٦٩
 البخارى : الامام : محمد بن اسماعيل : ص ٦٠ ،
 ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
 بختيشوع : ص ٦٦
 البداء : ص ١٠٤
 بدر (موقعة) : ص ٢ ، ٦ ، ١٢٣
 البراء بن عازب : ص ٥
 براهما : ص ٤٣
 البراهمية : ص ٢٦٦
 البراهميون أو البراهمة : ص ٢٦٦ ، ٢٦٧

آل ابي سفيان : ص ١٧٧
 آل ابي طالب : ص ٨٦ ، ١١٣ ، ١١٤
 آل بنى سفيان : ص ٦٥
 آل حرب : ص ١٥٣
 آل الرسول : ص ٥٧ ، ١٠١
 آل ساسان : ص ٥٩
 آل العباس : ص ١١٤
 آل عبد مناف : ص ٧
 آل علي : ص ٥٣ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧١ ،
 ٩٧ ، ١٠١ ، ١١٥ ، ١١٦
 آل محمد : ص ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١١٢ ، ١٨٤
 آل مروان : ص ٦١ ، ١١٥ ، ١٥٠
 آل النسي : ص ٦٥ ، ٧١
 آل هاشم : ص ٦٥
 الألوسي شهاب الدين : ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ،
 ٣٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
 ألوهية : ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٣ ،
 ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٤٨
 الامام : ص ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ،
 ١٥ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٨ ،
 ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١١١ ، ١١٩ ،
 ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
 ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ،
 ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٩٥ ، ٢٤٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦١
 الامامة : ص ١ ، ٣ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ،
 ١٤ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٤١ ،
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٧٦ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،
 ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
 ١٤٦ ، ١٧٢
 الامامية : ص ٧٤ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٢٥ ،
 ١٢٩ ، ١٤٦
 أم درمان : ص ٢٠٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦
 امرؤ القيس بن حجر : ص ١٥٤
 أم سلمة : ص ٧١
 أم فروة بنت القاسم بن محمد : ص ٨٥
 أمل الشط : ص ١٢٨
 آمنه بنت وهب : ص ١٢٠
 أم نعيم : ص ٢٠٥
 الامويون : ص ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧١ ، ١١٦ ،
 ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣
 أمية : ص ٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ١١٢
 الانجيل : ص ٨٣ ، ١٤٤ ، ٢٧٢
 الأندلس : ص ٥٩ ، ١٨٨ ، ١٨٩
 الأنصار : ص ٢ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠

براون (الأستاذ) : ص ٢٤٢
 بربر : ص ٢٠٢
 برصوما الزامر : ص ٦٦
 بركة قارون : ص ١٠٧
 بروفنسال Provençal : ص ١٨٧ ، ١٩٥
 بريلي (بلدة) : ص ٢٦٨
 البسامي الشاعر : ص ٥٧
 يسر بن ارةاة : ص ٥٠
 بشار بن برد : ص ٧٢ ، ١٥٣ ، ١٦٥
 بشير بن سعد : ص ٧ ، ٢٢
 البصرة : ص ٦٠ ، ٩٢ ، ١٢٨ ، ١٥٣ ، ١٨٢
 بعلبك : ص ١٦٠
 بقا التركي : ص ٦٦
 بغداد : ص ٤٠ ، ٥٧ ، ٧٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٦٠ ، ٢٥٦ ، ١٨٨ ، ١٦٠
 البغدادي : الخطيب صاحب التاريخ : ص ٢٧
 البغدادي : صاحب الفرق : انظر عبد القاهر البغدادي
 البقارة : ص ٢٠٥ ، ٢٢٣
 بقيق الفرقد : ص ٨٥ ، ١٠٣ ، ١٢٨ ، ٢٤٢
 بكار بن عبد الله : ص ٦٤
 بكر (قبيلة) : ص ٥٦ ، ٥٩ ، ٩٥
 البكري : انظر : أبو عبيد الله البكري
 البكرية : ص ٦٨
 بلاد البحرين : ص ٢٤٠
 البلاذري : ص ٩٨
 بلال بن رباح : ص ٢٢٢ ، ٢٥٢
 بلال بن عبد الله بن عمر : ص ١٨٣
 بلخ : ص ١٤٨
 البلخي : ص ١٨٠
 بلوخرستان : ص ١٩٧
 البلوي أبو الحجاج : انظر : يوسف بن محمد
 البنجاب : ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣
 بنو اسد : ص ٥٥
 بنو اسرائيل : ص ٨٣ ، ١٤٢
 بنو أمية : ص ٢ ، ٢٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٧ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٧٩ ، ١٨٣
 بنو بدر : ص ٢٤
 بنو بويه : ص ١١
 بنو تميم : ص ٧٢ ، ٩٥
 بنو تميم : ص ١٦٠
 بنو جمح : ص ١٨
 بنو حسن : ص ١٢٥
 بنو حنيفة : ص ٩٦ ، ١٠٤

بنو سليم : ص ١٩٠ ، ١٩١
 بنو صخر : ص ٢٤٠
 بنو ضبة : ص ٣٠ ، ١٥٣
 بنو العباس : ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٧ ، ١١٥ ، ١٥٤ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ٢٣٧
 بنو عبد شمس : ص ١٨٣
 بنو عبد المطلب : ص ١٢٢
 بنو عبيد : ص ١٣٩ ، ١٨٥
 بنو عدى : ص ١٦٠
 بنو القاسم الرسي : ص ١٢٧ ، ١٢٨
 بنو كلب : ص ١٧٧
 بنو مخزوم : ص ٧٢
 بنو مروان : ص ١٧٨

بنو هاشم : ص ٢ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٧٢ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٩

بهاء الله : ص ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣
 بهاء الدين العاملي : ص ٨٦ ، ١٣٦ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩

البهرا : ص ١٤٨
 البهائية : ص ١٣٧ ، ١٩٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣

البهائيون : ص ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢
 البوذية : ص ٢٦٤
 بيان بن سمعان : ص ٧٦ ، ٧٧
 البيانية : ص ٧٦
 بيت المقدس : ص ٦٥ ، ١٧٢
 بيروت : ص ١٨٠
 بيژنطة : ص ٢٦٤

(ت)

تبريز : ص ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
 التحكيم : ص ٢٨
 الترك : ص ٦٦ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢
 التركمان : ص ٧٧
 تركيا : ص ٧٧
 الترمذي : ص ٧٠ ، ٢٤٨
 التستري : ص ٧٣
 التعايشي : انظر : عبد الله التعايشي
 التميمي : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١
 التميمية : ص ١٧٦

جمال الدين الأفغاني : ص ٢٦٢
 جندب بن زهير الأزدي : ص ٦٢
 جنكيز خان : ص ٤٣
 جهريق : ص ٢٥٣
 الجهمية : ص ٦٨
 جهينة (قبيلة) : ص ٢٤
 جوزجان : ص ١٠٨
 جولدزيهر Goldziher ص ٣٢ ، ٤١ ، ٤٤ ،
 ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨١ ،
 ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ ،
 ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٣٧ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ،
 ١٩٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢
 جيحون (نهر) : ص ١٤٨

(ح)

حاج شريف : ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
 حاجر : ص ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٧٥
 الحارث الاعور الهمداني : ص ٦٢
 الحارث بن زياد : ص ٦٠
 الحارث بن سريج : ص ١٨٣
 حارث همدان (قبيلة) : ص ١٦٠
 حارثة بن قدامة السعدي : ص ٦٢
 حاضر بن غسان الخزاعي : ص ٦٢
 الحاكم بأمر الله : الخليفة الفاطمي : ص ١٤٨
 حبيب بن مظهر الأسدي : ص ٦٠
 الحجاج بن يوسف الثقفي : ص ٥٢ ، ٦١ ،
 ٦٧ ، ٩٦ ، ١٩٩
 الحجاز : ص ٥٩ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٩٦ ، ١٢٢ ،
 ١٧٩ ، ٢٣٤ ، ٢٦٩
 حجر بن عدى الكندي : ص ٦٠
 حجر موسى : ص ٨٢
 الحجون : ص ١٦٦
 حذيفة بن اليمان : الصحابي : ص ٢٦ ، ٢٧ ،
 ١٠٨ ، ١٧٨ ، ٢٣٢
 الحرووية : ص ٦٨
 حزوي : ص ١٦٣ ، ١٦٦
 حسان بن ثابت : شاعر الرسول : ص ٢ ،
 ٤٦ ، ٢٠٧
 الحسن البصري : ص ٢٦
 الحسن بن الحسن بن علي : ص ٥٣ ، ٥٤ ،
 ١٢١
 الحسن بن زيد بن محمد : ص ١٢٨
 الحسن بن صالح بن حي : ص ١١٠
 الحسن بن العباس المعروف : ص ١٦
 حسن بن عدى : تاج العارفين : ص ١٩٧

التناسخ : ص ٤٠ ، ٧٧ ، ١٥٠
 تنجانيقا : ص ١٤٨
 التوراة : ص ٨٣ ، ٩٢ ، ١٤٤
 توفيق : خديو مصر السابق : ص ٢١٤
 التوزيعي : ص ١٩٦
 تينوس (أستاذ) : ص ٢٦٧
 تيل هلمند (بلدة) : ص ١٩٨
 تيم بن مرة (قبيلة أبي بكر) : ص ٣ ، ٤ ،
 ٧ ، ٩٢ ، ١٥٩
 تينمل (بلدة) : ص ١٩٦
 تيودور : ص ٤٣

(ث)

ثعل : ص ٩٥
 ثقيف : ص ٩٥

(ج)

جابر بن حيان : ص ٨٨
 جابر بن يزيد الجعفي : ص ٢٩ ، ٦٢
 الجاحظ : أبو عثمان : ص ١٢٧
 الجارودية : ص ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
 ١٢٧
 الجاهلية : ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٢
 الجامعة (صحيفة) : ص ٣١ ، ٨٢ ، ٨٤
 جبريل : ص ٥ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٧٥ ، ٨٣ ،
 ٨٤ ، ٨٥
 جبل الجراد : ص ٢٢٢
 الجحفة : ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩
 جرجان : ص ١٢٨
 جرجي زيدان : ص ٢١٤ ، ٢٢٥
 جرير بن عطية : الشاعر : ص ٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦٨
 الجزائر : ص ١٩٥
 الجزيرة : ص ٦٨ ، ١٠٠
 جعفر بن أبي طالب : ص ٢٥ ، ٥٦ ، ٦٩ ،
 ١٢٢
 جعفر الأصغر بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 جعفر الأكبر بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 جعفر الصادق بن محمد الباقر : ص ٣٢ ، ٧٩ ،
 ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ،
 ٨٩ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
 ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ،
 ١٧١
 جعفر بن يحيى البرمكي : ص ٦٣
 الجعفرية (فرقة امامية) : ص ١٥٥
 الجعفر : ص ٣١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٨

(خ)

خالد بن سعيد بن العاص : ص ٤
خالد بن عبد الله القسري : ص ٦٥ ، ٧٧ ، ٧٩
خالد بن الوليد : ص ٢٠٧
خالد بن يزيد بن معاوية : ص ١٧٧ ، ١٧٨

١٧٩ ، ١٨١
خديجة بنت خويلد : ص ١٨ ، ٦٧ ، ١١٩
خراسان : ص ٦١ ، ٦٨ ، ١٠٨ ، ١٢٢
الخرطوم : ص ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٣

الخرمية : ص ١٨٤
الخرزج : ص ٢
الخضر : ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٦

الخطابية : ص ٦٨
الخفاجي : شهاب الدين : ص ١٦٢
الخلافة : ص ٢ ، ٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ٧٠ ، ١٢٣ ، ١٤٩٦ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢١٩

الخليفة : ص ٩ ، ١٥
خم : غدیر : ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ١٧١

خمط (أم ولد) : ص ١٣٠
الخناني : ص ٢٠٠ ، ٢٠١
الخوارج : ص ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٧٨ ، ١٥١ ، ١٧٢ ، ١٧٢ ، ١٨٥
الخوارزمي أبو بكر : ص ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٨
خولان : ص ٩٥
خولة بنت جعفر : ص ٩٦
خولة (الحنفية) : أم محمد بن علي : ص ١٥٧
الخياط المعتزلي : ص ١٢٧
خيبر : ص ٧٦
خير الله : ص ٢٦٢

(د)

داب بن الكناني : ص ٦٣
الدارقطني : ص ١٥٣
داود بن علي : ص ٦٣
داود : النبي : ص ٢٠٨
الدر : ص ٢٠٠
الدروز : ص ١٤٨
دعبل بن علي الخزازي : ص ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ١٤٩

دمشق : ص ٨١ ، ١٠٧ ، ١٧٩
دنقلة : ص ٢٠٠ ، ٢٠١

حسن العراقي : ص ٨١

الحسن المسكري : ص ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦
الحسن بن علي بن أبي طالب : ص ٦ ، ٥٧ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٧١ ، ٢٦٨

الحسن بن علي الوشاء : ص ٨٨
الحسن بن القاسم : ص ٥٩
الحسن بن القاسم البطحائي : ص ١٢٨
الحسن بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
الحسين بن اسماعيل المصعبی : ص ٥٩
حسين البشروئي : باب الباب : ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧

الحسين زهراء : ص ٢٠٢
الحسين بن علي بن أبي طالب : ص ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ٢١٢ ، ٢٤٤

الحسين بن علي : الوزير المغربي أبو القاسم : ص ٢

حسين علي نوري : انظر : بهاء الله
الحسين بن القاسم الرسي : ص ١٢٧
الحشوية : ص ٦٨
الحقيقة : ص ٧٣ ، ٨٨ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٣٥
حكيمه بنت محمد بن علي : ص ١٣٠
الحلة (قرية) : ص ١٣٠
حمزة بن عبد المطلب : ص ٢٥ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ١٢٢

حمزة بن علي : شيخ الدروز : ص ١٤٨
حمزة بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
حصص : ص ١٧٩

حيد بن قحطبة : ص ١٢٤
الحميري : انظر : السيد الحميري
الحنبلية : ص ٦٨
حنظلة بن أسعد : ص ٦٠
الحنفية : ص ٦٨
حنين : ص ٣
حواء : ص ١٤١
حوران : ص ٢

حيدر : لقب علي بن أبي طالب : ص ٩١
الحيرة : ص ٩٣
حيفا : ص ٢٦٢

الزراردشتمية : ص ١٨٤ ، ٢٦٤
زرارة بن أعين : ص ٦٢
زلزل : الضارب : ص ٦٦
زميزم : بئر : ص ٧٣ ، ١٠١ ، ١٢٢
زنجبار : ص ١٤٨
الزهري : انظر : ابن شهاب الزهري
زيد بن سمية : ص ٦٠ ، ١٥٢
زيد بن المنذر العبدي : أبو الجارود : ص
١١١ ، ١٢٥

زيد بن حارثة : ص ١٠٨ ، ٢٠٧
زيد بن صرحان العبدي : ص ٦٢
زيد بن علي بن الحسين : ص ٥٨ ، ٦١ ، ٦٧ ،
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٦
الزيدية : ص ٩١ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٥ ،
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨
زين الدين الاحساني : ص ٢٤٠
زينب بنت نصر : ص ١٩٩ ، ٢٠١

(س)

السائب بن مالك : ص ٦١
ساباط المدائني : ص ٩٤
سالم مولى أبي حذيفة : ص ١٣
سامرا : ص ٥٩
السيابة : ص ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣
سبط ابن التعاويذي : ص ٤٨
سجستان : ص ٦١
سخينة : ص ٢
سدبر الصيرفي : ص ٨٥ ، ٨٦
السرداب : ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ،
١٧٥ ، ٢٤١
سرمين رأى : ص ١٢٩
سعد بن عباد : ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨
سعيد بن جبير : ص ٦
سعيد بن الحسين : الداعية الاسماعيلية :
ص ١٣٨ ، ١٣٩
سعيد بن عبد الله : ص ٦٠
سعيد بن المسيب : ص ١٨٢ ، ١٨٣
السفاح الخليفة العباسي : ص ١١٥ ، ١١٦ ،
١٨٠
سفيان بن عيينة : ص ٢٦
السفياني : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
١٨٠ ، ١٨١
السفيانية : ص ١٧٦
سقيفة بنى ساعدة : ص ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ،
٥٨ ، ٩١ ، ٩٣
سل Sell : ص ١٩٧
سلمة بن أسلم الجهني : ص ١١٣

دهلي : ص ٢٦٨
الدور : ص ٢٥
دوايت دونلدسن : Doneldson : ص ١٤ ،
٢٠ ، ٥٢ ، ٧٠ ، ٧٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢
ديقتسكي Devitzki : ص ٧٨
الديلم : ص ٦٦
الديثوري : ص ١٠٠
ديوجينيس : ص ٢٤٤

(ذ)

ذبيان : ص ٩٥
الذهبي : ص ٣٩ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ٨٩
ذو الفقار : سيف النبي : ص ٨٢
ذو قار : ص ١٦٣
ذو النورين : انظر : عثمان بن عفان

(ر)

راشد بك (موفعة) : ص ٢٣٢
الراعي : الشاعر : ص ١٥٠
الرافضة والرافض : ص ٢٣ ، ٧٢ ، ٨٣ ،
٨٤ ، ١٠٨ ، ١٥١
الرافعي : الامام : ص ١٠
الراوندية : ص ٦٨
الرباط : ص ١٨٧
الربذة : ص ٥٩
الربيع بن يونس : الحاجب : ص ١٥٩
الرجفة : ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٥ ،
١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،
١٥١ ، ١٧٢ ، ١٩٧
الرسعني : ص ٢٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٦ ،
٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ،
١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٣٨ ، ١٥٨ ، ١٧٢
الرشتي : انظر : كاظم الرشتي
رشيد الهجري : ص ٦٢
الرضا من آل محمد : ص ٦٨ ، ١١٦ ، ٢٣٧
رضوى : ص ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٥٤ ،
١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٥
الرضي : الامام : محمد بن الحسين : ص ١٥ ،
١٦ ، ٧٤
رفاعة بن يزيد : ص ٦١
رقية بنت محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
الري : ص ٨١ ، ١٨٤
رينيه باسيه Rene Basset : ص ١٨٨

(ز)

الزبير بن العوام : ص ٤ ، ٣٠ ، ٧١ ، ١٢١ ،
٢٢٢
زرادشت : ص ١٨٤

الشهرستاني : ص ١٣ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣

شيبية : ص ١٢٣

الشيخ : انظر : أحمد الاحساني

الشيخية : ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، شيراز : ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، الشيعة : ص ١ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٢ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٥

(ص)

صاحب الأمر : ص ٨٢

صاحب الزمان : ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٣ ، ٢٦٨

صالح بن علي : ص ١١٥

الصالحية (فرقة) : ص ١١٠ ، ١٢٦

صبح أزل : ص ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١

صريح قریش : ص ١١٢

الصفاء (جبل) : ص ١٤١

صفين : ص ٦٤

صلاح الدين الصفدي : ص ١٠ ، ١١

صنهاجة : ص ١٩٠

صهيب : ص ٢٥٢

الصوفية : ص ٢٦ ، ٢٩ ، ٧٣ ، ٨٩ ، ١٧٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣

(ض)

ضرار (جزيرة) : ص ٢٠٠

سلم المازني : ص ١٠٨

سلمان الفارسي : الصحابي : ص ١٣ ، ٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢

السلمي : ص ٧٣

سليمان بن جرير الزيدي : ص ١١٠

سليمان بن سرد : ص ٤٧ ، ٦١

سليمان بن عبد الملك : ص ٤٦ ، ٤٧

سليمان بن قتة : ص ٦٥

سليمان : النبي : ص ٢٠٨

السليمانية : ص ١١٠ ، ١٢٦

السمانية : ص ٢٠٣

سمرقند : ص ١٩٧

سمية : ص ٦٥

السند : ص ٦٢ ، ٢٦٤

السواد : ص ٦٦

السودان : ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦ ، ٢٧١

السوس : (جبل أو ناحية) : ص ١٨٨ ، ١٩٦

سويقة (مكان) : ص ٥٣

السيخ (طائفة) : ص ٢٦٩

سيد أمير علي : ص ١٨٧ ، ١٨٩

سيدان (موقعة) : ص ٢٥٩

السيد الحميري : ص ٢٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٧٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠

(ش)

الشافعي : الإمام : ص ٨٨ ، ١٢٧

الشافعية : ص ٦٨

الشمام : ص ٢ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧

شاه زند : ص ١٩٧

شبه جزيرة العرب : ص ٢٧٣

شداد بن معقل : ص ٢٦

الشرقي بن الفطامي : ص ٦٣

شريح بن هانيء المرادي : ص ٦٢

الشريعة : ص ١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٣٥

شريك : ص ٦٢

الشعبي : ص ٧٢

الشعراني : ص ٢٧ ، ٨١

شكيب أرسلان : ص ٢٦٤

شنقيط : ص ٢٠٢

عبد القادر الجبلى : ص ٢١٢ ، ٢٢٦
عبد القاهر البفدادى : ص ١٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ،
٧٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،
١٧٢

عبد الكريم بن الفضل : الخليفة الطائع :
ص ١١
عبد الله بن أبى سفيان بن الحارث : ص ٣٠
عبد الله التمايشى : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦
عبد الله بن الحسن بن الحسن : ص ٥٣ ،
١١٣ ، ١١٥ ، ١٥١

عبد الله بن الزبير : انظر : ابن الزبير
عبد الله بن سبأ : انظر : ابن السوداء
عبد الله بن طاوس : ص ١١٣
عبد الله بن عباس : انظر : ابن عباس
عبد الله بن عبد المطلب : ص ١٢٠
عبد الله بن على : الخليفة المستنكى بالله :
ص ١١

عبد الله بن عمار البرقى : ص ٦٣
عبد الله بن عمر العبلى : ص ٥٣
عبد الله بن فحل : ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
عبد الله بن كامل : ص ٦١ ، ٩٨
عبد الله بن مصعب الزبيرى : ص ٦٣ ، ١٢٤
عبد الله بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنى : ص ٦٢
عبد الله بن معاوية بن جعفر : ص ٤٨ ، ٤٩ ،
٦١ ، ٧٨

عبد الله بن وال التيمى : ص ٦١
عبد المطلب : ص ٦٩ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ٢٠١
عبد الملك بن قريب الأصمى : ص ٦٣
عبد الملك بن مروان : ص ٦١ ، ٦٧ ، ١٠٢ ،
١٠٦ ، ١٩٩
عبد الملك بن ميسرة : ص ٦
عبد المؤمن بن على : ص ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥
عبد الواحد بن أيمن : ص ١٠٣
عيسى (قبيلة) : ص ٩٥
عبيد الله بن زياد : ص ٥٠ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٩٦ ،
١٠٠ ، ١٥٣

عبيد الله بن العباس : ص ٥٠
عبيد الله بن معاوية بن يسار : ص ١٦٠
عبيد الله المهدي : ص ١٣٩
عتبة بن أبى لهب : ص ٤٤ ، ٥٠ ، ١٢٣
عتيق : انظر : أبو بكر
عثمان بن عفان : ص ٨ ، ٣٠ ، ٥٩ ، ٩٢ ،

(ط)

الطائف : ص ١٧٩
الطائى : ص ١٦٥
طارف وطريف (ابنا عبد الله بن دجاجة)
ص ١٠٤
الطالقان : ص ١٢٥
طاوس : ص ٦
طبرستان : ص ٥٩ ، ١٢٨
الطبرى : ص ١ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٣ ،
٣٧ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٧٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٧ ،
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣
الطف : ص ٥٠ ، ٦٥
طلحة بن عبيد الله : ص ٣٠ ، ٧١ ، ١٢١
طهران : ص ٧٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
٢٥٦
طوس : ص ١٦٣

(ع)

عائشة أم المؤمنين : ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ١
عابس بن أبى شبيب : ص ٦٠
عازم : سجن : ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣
عاصم : راوى أحاديث المهدي : ص ٧٠
عاصم بن عمر بن الخطاب : ص ١٨٣
عامر بن عبد قيس التميمى : ص ٥٩
عامل (جبل) : ص ١٦١
العاملى : انظر : بهاء الدين
عباس اقبال : ص ٧٤
عباس الصفوى : الشاه : ص ١٦١ ، ١٦٢
العباس بن عبد المطلب : ص ٧ ، ٨ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٩٩
العباس المرى : ص ١٠٧
العباس بن الوليد بن عبد الملك : ص ٥٢
العباسيون : ص ٥٣ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
١٨٠ ، ١٨١
عبد البهاء عباس : ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
عبد الحسين آواره : ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ،
٢٥٥
عبد الرحمن بن الأشعث : ص ١٧٧
عبد الرحمن بن الحكم : ص ٦٥
عبد الرحمن بن شريح : ص ٩٩
عبد الرحمن بن عوف : ص ١٢١
عبد الرحمن بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
عبد شمس : ص ٣ ، ١٧ ، ١٨
عبد العزيز بن ربيع : ص ٢٦
عبد العزيز الصفوى : الشاه : ص ٢٦٨

على محمد : الباب : ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢
٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨
٢٦٠ ، ٢٦١

على بن موسى الرضى : ص ٧ ، ٥٩

على وفا : الصوفى : ص ٢٧

على بن يقطين : ص ٦٢

عمار بن ياسر : ص ٥ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٢٥٢

عمر بن بانه : ص ٦٦

عمر بن الخطاب : ص ١ ، ٢ ، ٨ ، ١٣ ، ٢٠

٢٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٧١

٧٤ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٩

١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٥٢

عمر بن زرارة : ص ٥٩

عمر بن عبد العزيز : ص ١٨٢ ، ١٨٣

عمرو بن الحمق الخزاعى : ص ٦٠

عمرو بن العاص : ص ٧٢

عمرو بن عبيد : ص ٧٨

عمرو بن فرطة : أبو موسى : ص ٦٠

عمير بن الفضل الحثمى : ص ١١٦

عون بنت محمد بن الحنفية : ص ١٠٣

عيسى بن زيد : ص ٥٩

عيلان (قبيلة) ص ٩٥

عيسى بن موسى : ص ٥٩ ، ١٢٤

عيسى : النبى : ص ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٤٩ ، ٧٩

٨٠ ، ٨٢ ، ١٤٢ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ١٩٣

٢٧٢

(غ)

الغرابية : ص ٧٥

غردون : ص ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٣٦

الغزال : انظر : واصل بن عطاء

الغزالي أبو حامد : ص ٨٣ ، ١٣٧ ، ١٧٢

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠

الغنوصية : ص ٧٣ ، ٢٥٠

الغنوصيون : ص ٢٤٢

الغور : ص ١٧٩

الغوير : ص ١٦٣

(ف)

فارس : ص ٤٩ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ١٦٢ ، ١٩٣

٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٤

الفاروق : انظر : عمر بن الخطاب

فاطمة أم أبى طالب : ص ١٢٠

فاطمة أم على بن أبى طالب : ص ١٢١

فاطمة بنت الرسول : الزهراء : ص ٤ ، ٥

٨٤٧ ، ١٦٤ ، ٢٢ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١

٧٨ ، ٨٤ ، ٩٦ ، ١١٩ ، ١٢٠

٩٣ ، ١٢١ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ٢٥٢

عثمان بن حنيف الأنصارى : ص ٦٢

العثمانية : ص ٦٨

عدى (قبيلة عمر) : ص ٤ ، ٧ ، ٩٢ ، ١٥٩

عدى بن حاتم الطائى : ص ٥٩

الصراق : ص ٥١ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٨٨ ، ٩٢

٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٣٠

١٦١ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠

العزيب : ص ٩٨ ، ١٦٣

عزير : ص ٣٨

العسكر : ص ١٢٩

عقبة بن مسلم الهنائى : ص ١٥٤

العقيق : ص ١٦٦

عقيل بن أبى طالب : ص ٥٠ ، ٥١ ، ١٢٣

عكا : ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩

عكرمة : مولى ابن عباس : ص ٧١ ، ١٥٢

علوية : المغنى : ص ٦٦

العلويون : ص ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٩٦ ، ١١٥

١١٦ ، ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٨٠

١٩٩

العلياية : ص ٧٥

العليا بن ذراع الدوسى : ص ٧٥

على بن أبى طالب : ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧

٨ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٠

٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣

٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥

٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٥

٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢١

١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣

١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧١

١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٤

٢٤٨ ، ٢٥٢

على بن الأقطس : ص ٦٢

على بن بابويه القمى : ص ٨١

على بن جعفر بن الأسود : ص ٨١

على بن الجهم : ص ٦٣

على بن الحسين المرتضى : انظر : المرتضى

على الخواص : ص ٢٧

على زين العابدين بن الحسين : ص ٣٢ ، ٥٠

٩٧ ، ١٠٥ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦

على بن العباس الرومى : انظر : ابن الرومى

على بن عبد الله بن العباس : ص ٥٦

على بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣

القرامطة : ص ١٤٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣
 قررة العين : ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
 القرشي : ص ٢٠٤ ، ٢٠٥
 قرطبة : ص ١٨٨ ، ١٨٩
 قريش : ص ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٠ ، ٥١ ، ٦٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ١٥٩
 قزوين : ص ٢٤٠ ، ٢٥٤
 القطان : ص ٨٨
 قطرى بن الفجاءة : ص ١٣
 القلقشندي : ص ١٨ ، ١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢
 قلعة الطبرسي : ص ٢٤٧
 قنبر : خادم علي : ص ٧٦
 قندهار : ص ٢٦٩
 قنسرين : ص ١٧٩
 القوقاز : ص ١٩٧
 قيس (قبيلة) : ص ٩٥
 قيس عيلان : ص ١٩٠ ، ١٩٣

(ك)

كابل : ص ٢٦٩
 كاظم الرشتي : ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
 الكافي أو صاحب الكافي : انظر : محمد بن يعقوب الكليني
 كتامة (قبيلة) : ص ١٢٩
 كتشنر : ص ٢٣٦
 كتير عزة : ص ٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٨
 كتير النواء : الأبتري : ص ١١٠
 كريلاء : ص ٤ ، ٦ ، ١٥٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
 الكربية : ص ١٠٥ ، ١٥٠
 كوردي : ص ٢٠٠ ، ٢٠١
 كركين خان : ص ٢٥٣
 كرمان : ص ١٩٧
 كرمانشاه : ص ٢٤٠
 الكرمانى : انظر : محمد كريم خان
 الكسفية (فرقة) : ص ٧٩
 كشمته : ص ٢٠٠
 كشمير : ص ٢٦٥ ، ٢٧٢
 كعب الاحبار : ص ٤٨ ، ١٥٢
 الكهبة : ص ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٧٠ ، ٢٠٨

فؤيمة بنت عمرو : ص ١١٩
 شان فلوتن Van Vloten ص ٤٣ ، ٥٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨
 فنج (موضع) : ص ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٢
 فدلک : ص ٥٠
 الفرات : ص ١٣٠
 الفرزدق : الشاعر : ص ٤٦ ، ١٥٠
 الفرس : ص ١٣٧
 فرعون : ص ١١٨ ، ١١٩ ، ٢٢٦
 الفسطاط : ص ١٩٩
 فشنو : ص ٤٤
 فضل بن العباس بن عبد الرحمن : ص ١٠٨
 الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب : ص ٢٤
 فلسطين : ص ١٨٠
 الفناء : ص ٧٣
 فيثاغورس Pythagore : ص ٣٥ ، ١٤٦
 الفيدا : ص ٢٦٦

(ق)

قاديان (مدينة) : ص ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
 القادياني : انظر : أحمد القادياني
 القاديانية : انظر : الأحديية
 القاديانيون : ص ٢٧٣
 قارس (مقاطعة) : ص ٧٧
 قاسم الخياط : غلام السيد الحميري : ص ١٥٦
 القاسم الرسي : ص ١٢٧
 قاسم بن عباس : ص ١٩٧
 القاسم بن علي : ص ٦٢
 القاسم بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 قاشان : ص ١٣٠
 قبا : ص ١٦٧
 قبرص : ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩
 القبشي (قبيلة) : ص ٢٠٢
 قتيبة بن سعد : ص ٢٦
 قتيبة بن مسلم الباهلي : ص ٥٩
 قحطان : ص ١٠٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧
 القحطاني : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١
 القحطانية : ص ١٧٦
 قدير (جبل) : ص ٢١٠ ، ٢٢٩
 القرآن الكريم : ص ١ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢

المستعين بالله : الخليفة العباسي : ص ١٢٦
 مسعود بن عمرو الثقفي : ص ٩٥
 المسعودي : المؤرخ الجليل أبو الحسن : ص
 ١٧٧ ، ١١٤ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٨٦ ، ٥٢
 مسلم بن الحجاج النيسابوري : ص ٦ ، ٧٠
 مسلم بن عقيل : ص ٥١ ، ٦٠ ، ٩٦
 مسلم بن قتيبة : ص ١١٧
 المسلمية : ص ٢٠٢
 المسيب بن نجية : ص ٦١
 المسيخ : ص ٤٣ ، ٧٩ ، ١٧٥
 المسيحية : ص ٤٩ ، ٧٩ ، ١٧٥ ، ٢٦١
 مشهد الرأس : ص ١٠٧
 مصحف علي : ص ٨٢ ، ٨٣
 مصحف فاطمة : ص ٣١ ، ٨٢ ، ٨٤
 مصر : ص ٦٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٦١ ، ١٣٨ ،
 ١٦٢ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
 ٢٧٢
 مصعب بن الزبير : ص ٦١ ، ١٠٤
 مصمودة : ص ١٨٧ ، ١٨٨
 مضر : ص ١١ ، ١٢ ، ٥٦ ، ٥٩
 المصريون : ص ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١
 المطهر بن طاهر المقدسي : ص ١٨٠
 معاذ بن كثير : ص ٢١
 معاوية بن أبي سفيان : ص ٥٠ ، ٥١ ، ٦٠ ،
 ٦٧ ، ٧٢ ، ١٢٢ ، ١٥٣
 معاوية بن اسحاق الأنصاري : ص ٦١
 المعتزلة : ص ٧٨ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧
 المعتصم الخليفة العباسي : ص ١٢٥ ، ١٢٩
 معد : ص ١٠٩ ، ١٥٨
 المعز لدين الله أبو تميم معد : ص ١٤٩
 معقل بن قيس الرياحي : ص ٦٢
 المعلى بن حبيش : ص ٦٣
 المقول : ص ٢٠٤
 المفيرة بن سعيد المجلي : ص ٧٧ ، ٧٩
 المفيرية : ص ٧٩
 مقاتل بن سليمان : ص ٧١
 المقداد بن عمرو : ص ٤
 القرن : ص ٢٠١
 المقرئ : تقي الدين : ص ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٧٢
 المقنع الخراساني : ص ٧٩
 مكة : ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٦ ،
 ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٧٩ ،
 ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٠
 المكتفى بالله : الخليفة العباسي : ص ١٣٨

محمد بن علي بن بابويه القمي : أبو جعفر
 الصدوق : ص ٨١ ، ٨٢
 محمد بن علي بن الحسين : ص ٣٢ ، ١٢١
 محمد بن عمر : ص ١٢٦
 محمد عبد الله عنان : ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
 ١٩٢ ، ١٩٦
 محمد عبد الهادي أبو ريدة : ص ٢٦٧ ، ٢٧٣
 محمد بن عثمان السري : ص ١٣٥
 محمد فريد وجدى : ص ٧٠
 محمد بن القاسم : ص ١٢٥
 محمد كريم خان : الكرمانى الأتيم : ص ٢٤٩ ،
 ٢٥٠
 محمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق :
 ص ١٣٨
 محمد المهدي الحنفي : ص ٤٧
 الحمديّة : ص ١٢٥
 محمد بن يعقوب الكليني : أبو جعفر الأعور :
 ص ١٥ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٨٢ ،
 ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩
 محمود بن سبكتكين الفزنوي : ص ٢٦٤
 محي الدين بن عربي : انظر : ابن عربي
 محي الدين بن عبد الظاهر : ص ١٠٧
 مخارق : ص ٦٦
 المختار بن أبي عبيد الثقفي : ص ٦١ ، ٩٥ ،
 ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
 ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٨٢
 المخلص : ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١١٢ ، ١٨١
 المخرق : ص ٢٠٢
 المدائن : ص ٧٦ ، ٩٤
 المدينة : ص ٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٥ ،
 ٦٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
 ١٠٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٥٢ ،
 ١٥٧ ، ١٧٩ ، ٢٤٢
 المزار (ناحية قرب الكوفة) : ص ١٠٤
 مدحج : ص ٩٥
 مربع بن دعدعة : ص ٢٤
 المرتضى : الشريف علي بن الحسين : ص ٤٠ ،
 ٧٤
 مراکش : ص ١٩١ ، ١٩٦
 المراكشي : ص ١٩٣ ، ١٩٤
 مرجليوث Margoliouth : ص ٤٨ ، ١٠٥
 مروان بن أبي حفصة : ص ٦٣
 مروان بن الحكم : ص ١٧٨
 مروان بن محمد : ص ٤٩
 المروة (جبل) : ص ١٤١
 مزاحم بن خاقان : ص ٥٩
 مزينة (قبيلة) : ص ٢٤

(ن)

نابليون الثالث : ص ٢٥٩
الناصر الاطروشي : ص ١٢٨
الناصر لدين الله : ص ١١ ، ٤٨
نافع بن الأزرق : ص ١٣
نافع مولى ابن عمر : ص ١١٢ ، ١٨٢
نافع بن هلال : ص ٦٠
الناوسية : ص ٨٦
النوبة : ص ٣ ، ١٤ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٨٥ ، ٢٥٣
النبي : ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠
النجارية : ص ٦٨
النجباء : ص ٣١
نجد : ص ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٩
النجدات : ص ١٣
نجدة بن عامر : ص ١٣
نجم الدين بن عثمان : ص ١٩٩
نجم الدين بن عون الله : ص ٢٠٠
نرجس (أم ولد) : ص ١٣٠
النسائي : ص ٦ ، ٧
النصاري : ص ٦٥ ، ٨٠ ، ١٥٥ ، ٢١٧ ، ٢٦٢
النصرانية : ص ٢٦٤
نصر بن خزيمه الأسدي : ص ٦١
نصر بن سيار : ص ٥٢ ، ١٠٨
نصر الدين بن عبد الكريم : ص ١٩٩ ، ٢٠٠
نصر بن مزاحم بن يسار المنقري : ص ٢٩ ، ٣٠
النصيرية : ص ٢٤٨
نعوم شقير : ص ٢١٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٥
النفس الزكية : انظر : محمد بن عبد الله بن الحسن
نهار بن توسعة : ص ٤٦
النوبختي : ص ٤٩
نوح : النبي : ص ٢٧ ، ٨٢ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ٢٣٣

المنجرة (بلدة) : ص ٢٠١
منصور بن الزبيرقان : ص ٦٣ ، ٦٥
النصورية : ص ٧٩
المنقذ : ص ٤٢ ، ١١٢
منوچهر خان : ص ٢٥٣
المنيئي : أحمد بن علي : ص ١٦١ ، ١٦٣
المهاجرون : ص ٢ ، ٧ ، ٢٢
المهدي : المنتظر : ص ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣
المهدي بن منصور : الخليفة العباسي : ص ١١٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠
المهديه : ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٦٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧١
مهيار الديلمي : ص ٤ ، ١٧ ، ٩١
موسى جار الله : ص ٨٢ ، ٨٤
موسى بن طلحة بن عبيد الله : ص ١٨٢
موسى الكاظم بن جعفر : ص ٥٩ ، ١٢٩ ، ١٣٧
موسى : النبي : ص ١٨ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٨٢ ، ١١٨ ، ١٤٢ ، ١٧١ ، ٢٠٨ ، ٢٣٥
ميرزا آقاسي : ص ٢٥٣

الوصى : ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٢٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
٦٤ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٩ ،
١٣١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠

ولى الله : الشاه : ص ٢٦٨
للوليد بن عبد الملك : ص ١٩٩
الوليد بن يزيد : ص ٦٧ ، ١٠٨
الوهابية : ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
وهب بن منبه : ص ٦٣
وهب بن وهب البخترى : ص ٦٣

(ى)

ياقوت الحموى : ص ٢٥ ، ١٣٠ ، ١٨٥
ياجوج ومأجوج : ص ١٤١
يحيى بن زيد بن على : ص ١٠٨ ، ١٢٢
يحيى بن سعيد : ص ٨٨
يحيى بن عبد الله : ص ٥٩
يحيى بن عمر : ص ٥٤ ، ٥٩ ، ١٢٥
يحيى بن معين : ص ٨٨
يحيى حميد الدين : ص ١٢٧
يحيى نورى : انظر : صبح ازل
يزد (بلدة) : ص ٢٤٠
يزيد بن انيسة : ص ١٧٣
يزيد بن ربيعة الحميرى : ص ١٥٣
يزيد بن قيس الكلابى : ص ٢٤
يزيد بن معاوية : ص ٦٧ ، ١٠٦
اليزيدية : ص ١٧٣

يسوع : ص ٧٩
يعقوب بن السكيت : انظر : ابن السكيت
يعقوب بن الليث : ص ٥٩
اليقوبى : ابن واضح : ص ٢٨ ، ٢٩ ،
٣٦ ، ٣٧ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢

يفر Yver : ص ١٨٧
اليمامة : ص ٩٧
اليمن : ص ٩٢ ، ٩٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٧٧ ، ١٨١
اليمينون : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠
اليهود : ص ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٨٠ ، ٨٩ ،
١٩٢ ، ٢١٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣

اليهودية : ص ٤٩
يوس اساف : ص ٢٧٢
يوسف حسن الشلالى : ص ٢٣١
يوسف بن عمر الثقفى : ص ٦٧ ، ٧٩ ، ١٠٧
يوسف كرم : ص ٣٥
يوسف بن محمد البلوى : أبو الحجاج ابن
الشيخ : ص ٢٥

يوسف : النبى : ص ٢٢٠
يوسف بن يعقوب (السلطان) : ص ١٩٦
يوشع بن نون : ص ٤٩
يونس : النبى : ص ٣٤ ، ١٥١

نور (بلدة) : ص ٢٥٧
النويرى : ص ١٨
نيسابور : ص ٥٧ ، ٥٨
نيكلسون Nicholson : ص ٧٣
النيل : ص ٢٢٩ ، ٢٣٦

(ه)

هاروت وماروت : ص ١٤١
هارون عليه السلام : ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٨ ،
٤٩
هارون الرشيد : الخليفة العباسى : ص ٥٩ ،
٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥
هارون بن سعد بن هارون العجلي : ص ٨٣
هاشم : ص ٥ ، ١٦ ، ٩٢ ، ١١٩ ، ١٢١
الهاشميون : ص ١١٥
هامان : ص ١١٩ ، ٢٢٦
هانء بن عروة : ص ٥١ ، ٦٠
هبة الله : انظر : محمد المهدي الحفنى
هجر : ص ٦٤
هرقة : ص ١٨٧ ، ١٨٨
هشام بن الحكم : ص ٦٢
هشام بن عبد الملك : الخليفة الأموى : ص
٤٧ ، ٧٩ ، ١٠٧

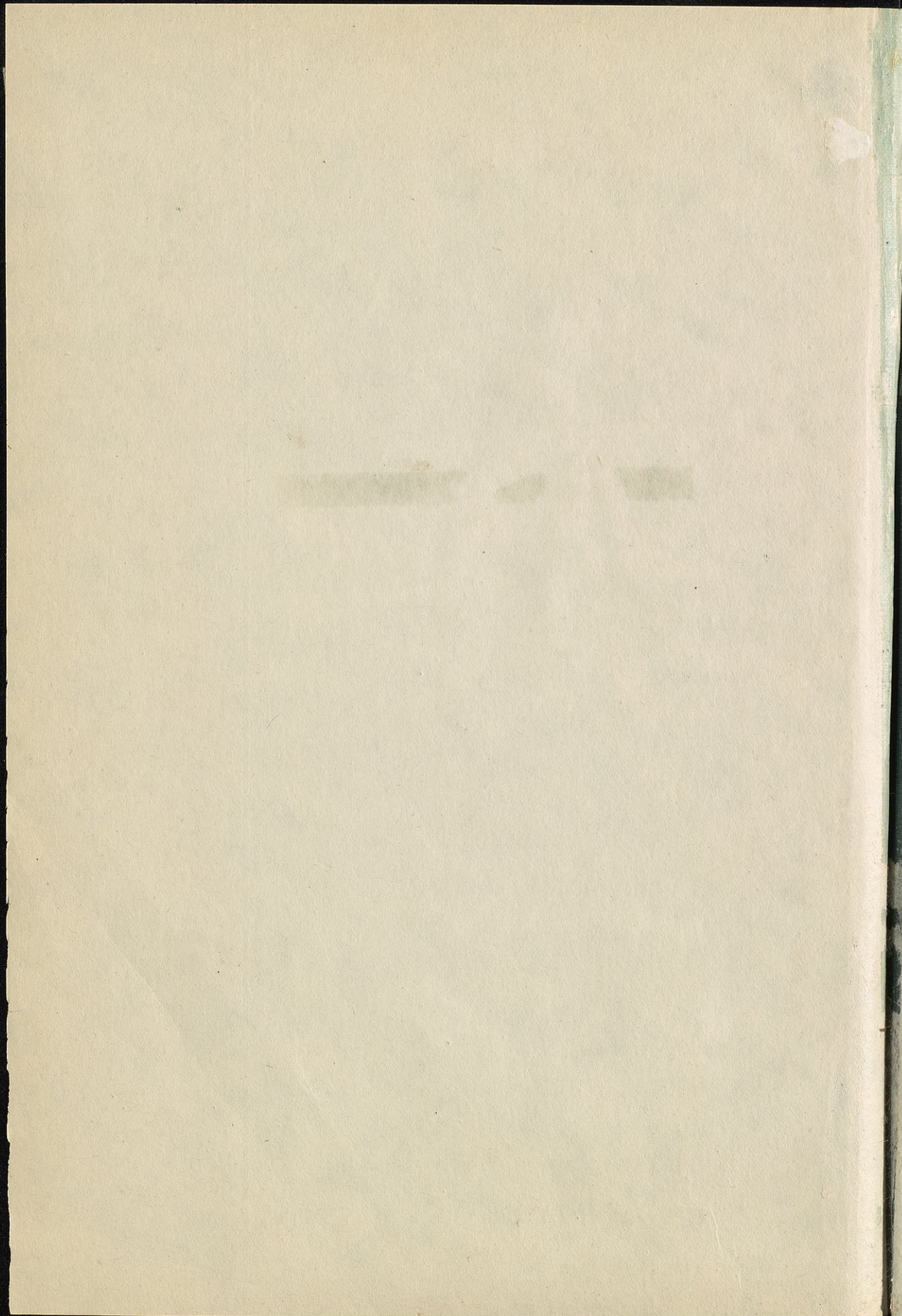
هشام بن عمر التغلبى : ص ٦٢
هكس : ص ٢١٤
الهليستية : ص ٧٣
همدان : ص ٩٥
الهند : ص ٥١ ، ٦٧ ، ١٢٧ ، ١٤٨ ، ١٩٧ ،
١٩٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

هند بنت أسماء : ص ١٨٣
هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله : ص ١١٢
الهندوس : ص ٢٦٩
الهنود : ص ٤٤
هوازن : ص ٣
هوتسما Houtsma : ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
٢٧٢

هود : ص ١٠٩
هيار Huart : ص ١٢٧ ، ١٤٨ ، ٢٤٢
الهيثم بن عدى : ص ٦٣

(و)

واصل بن عطاء الفزال : ص ٧٨ ، ١١٣ ، ١٠٨
الواقدى : ص ٦٣ ، ٩٨ ، ١٥٢ ، ١٨٢
الواقفية : ص ٦٨
وصاية : ص ٩٣



BP
166.93
.H37

SEP 24 1975

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU55320112

BP166.93 .H37 al-Mahdiyah fi al-Is

D
3
7